الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية كلية الآداب والحضارة الإسلامية

-قسنطينة- -قسم التاريخ-

-الرقم التسلسلي:.....

-رقم التسجيل :.....

الحراك الفكري لعلماء المغرب خلال القرن 16م

الشيخ أبي عبد الله محمد الخروبي الطرابلسي نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص"العلاقات الاقتصادية والثقافية للجزائر العثمانية و دول المغرب الكبير"

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. أحمد صاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر . قسنطينة .	رئيسا
أ.د. أحميدة عميراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر . قسنطينة .	مشرفا ومقررا
د. خليفة حماش	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر . قسنطينة .	مناقشا
د. خير الدين شترة	أستاذ محاضر	جامعة محمد بوضياف – المسيلة –	مناقشا

إعداد الطالب

الحمزة بوقادوم

إشراف الأستاذ الدكتور

أحميدة عميراوي

السنة الجامعية : 2014/2013

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صدق الله العظيم

سورة طه الآية 114

إهـــــــداء

إلى كل من يلتمس طريقا لكي يسخّر طاقاته البناءة في سبيل رفعة أمتنا الخالدة، ووطننا الحبيب.

إلى أرواح أساتذة العلم ومحبي الإصلاح.

إلى الجيل العامل من الباحثين الذين يتوقف عليهم حمل مشعل البحث العلمي.

أهدي هذا العمل المتواضع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المختصرات.

باللغة العربية:

ج : الجزء.

د . ت : دون تاريخ.

د . ط : دون طبعة.

(ms178-p1.html): أرقام للمخطوطات الواردة في مؤسسة الدار البيضاء بالمغرب.

ط : الطبعة.

مج: مجلد.

ق: قسم.

ص:صفحة.

م:ميلادي / هـ: هجري.

(*):تعريف وشرح مصطلحات.

باللغة الفرنسية:

G. A .L : Grand Alger Livres

E .N .L : Entreprise Nationale Du Livre

Éd : Édition

Imp. : Imprimer

O.P.U: office de publications universitaire

R.A : Revue Africaine

Trad : traduction

P : Page.

PRÉ: présentation

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

تميز القرن 16م بسمات واضحة وملامح بارزة، فهو عصر التحولات ؛ حيث شهد تغيرات كبيرة بظهور الأتراك العثمانيين كأكبر قوة إسلامية، وضعت نصب عينيها ضرورة السيطرة الكاملة على جميع بلاد المغرب، من طرابلس شرقا إلى الأطلسي غربا، وجاء ربط بلاد المغرب العربي خلال النصف الأول من هذا القرن، كمبادرات شخصية كانت إيذانا بتبعية الفضاءات المغاربية للباب العالي، بدءا بالجزائر وطرابلس.

والملفت للنظر في كل تلك التطورات الا هتمام بالميادين السياسية والعسكرية وقلة الاهتمام بالجوانب الثقافية، وما ميّز هذه الفترة تلك الهجرات البينية بين أقطار المغرب العربي، التي قام بها الكثير من العلماء، نتيجة حالة الا ضطراب السياسي وكثرة الفتن، ما أدّى إلى انعدام حالة الا ستقرار؛ التي تتطلبها الحركة الفكرية، فشكلت هذه التنقلات مظهرا من مظاهر التواصل الثقافي والعلمي، التي أرست دعائم وقواعد لعلاقات ميّزتها الوحدة والترابط؛ وساعدت على تقوية روابط المودة والمحبة، خاصة وأنّ المجتمعات المغاربية تقاطعت في مجموعة من الموروثات الحضا رية؛ من تجانس بين شعوبها في العادات والتقاليد والسمات اللغوية والثقافية، ووحدة الفكر الديني والعقائدي والا متداد الطبيعي للفضاء الجغرافي المغاربي الموحد، مازاد من حركية النخب العلمية المغاربية؛ التي كان لها الدور الفاعل في أغلب الأحداث، وكانت كلماتها تنفذ إ لى القلوب ما لا تنفذ الإبر ، حيث أسهمت في عملية التبادل العلمي والتواصل المعرفي، فتكون بذلك قد فتحت المجال لنسج خيوط شبكات فكرية، وبناء علائق مغاربية قوامها التواصل الفكري والتآصر الثقافي، خاصة وأن الفكر الإنساني لا يؤمن بالحواجز السياسية ولا يعرف الحدود الجغرافية التي من شأنها أن تعيق الاتصال بين نخبه ؛ والمنتمين إلى حقوله المعرفية. لذلك اتسم تاريخ الأقطار المغاربية باللاحدود واللاقيود ، وربطت بين دوله روابط مختلفة تجلت بوضوح في الصلات الثقافية المتينة التي لكانت الهجرة العلمية النخبوية إحدى آلياتها.

إنّ الحراك الفكري لهذه النخب العلمية، التي لعبت دور الوسيط الثقافي، كان له الأثر الإيجابي في عمليات الا لتقاء والتعارف، وحدوث التلاقح الفكري في ظل الاحتكاك القائم على الأخذ والعطاء ، وحصول بوادر تحول تجلت في استمرارية صلات العلماء؛ بمراكز الإشعاع العلمي والفكري في مختلف أقطار بلاد المغرب، ما سيسهم في بعث الانتعاش الثقافي؛ في فترة تميّزت بالتراجع النوعي للإنتاج الفكري وانحصار مجال العلم في الدين.

ومن بين هذه النخب العلمية التي كان لها حضور متميز في هذا الحراك الفكري المغاربي : الشيخ العا لم أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، أحد الرموز التي كان لها نشاط فكري وسياسي رائد، امتدت أنواره لتغطي منطقة بلاد المغرب بأسرها، ولذلك ارتأيت أن يكون أنموذجا لمجال هذه الدراسة التي أحاول من خلالها الإلمام بظاهرة ملفتة للا نتباه وهي حركية النخب العلمية المغاربية عموما، وحراك هذا العا لم على وجه الخصوص، الذي يعد من أصحاب المكانة

الرفيعة والشهرة والتأثير والعلاقات، لذلك ارتبط اسمه بأكثر من قطر مغاربي . وعليه فقد وقع اختياري على الموضوع الموسوم بـ: **الحراك الفكري لعلماء بلاد المغرب خلال القرن 16 م**

محمد بن علي الخروبي الطرابلسي أنموذجا .

دواعي اختيار الموضوع :

لم يكن إختياري لموضوع تنقلات العلماء خلال القرن 16 م وليد الصدفة وإنما نتيجة المطالعة التي أدركت من خلالها أهمية البحث في هذا الموضوع والوقوف على حراك النخب العلمية؛ على غرار الشيخ محمد بن علي الخروبي الذي يعد من أخصب العلماء إنتاجا وأكثرهم شهرة على المستو ى الخاص، بالإضافة إلى مجموعة من الأسباب والدواعي الأخرى ولعل أهمها :

* الرغبة الملحة والميول الذاتية في تتبع حراك النخب العالمة ببلاد المغرب خلال العهد العثماني، والتساؤلات الكثيرة التي كانت تراودني حول هذه الفئات ومجالات اهتمامها وآثارها وعلاقتها بالتواصل الفكري المغاربي.

* أنّ القرن 16م يمثل قرنا محوريا، إذ شهد تحولا كبيرا جدا، على جميع المستويات في المغرب وأوروبا .

* كتابات الإخوة المشارقة الذين جعلوا التأثير الفكري مشرقيا أكثر منه مغربيا، فكأنّ المشرق منتج للثقافة والمغرب مستهلك لها.

* النقص الكبير الذي مازال يشكو منه البحث في تاريخ الفكر المغاربي، في ظل ميل أغلب الباحثين إلى التاريخ السياسي والعسكري الذي تبدو فيه المادة أوفر وأسهل منالا.

* أن موضوع العلاقات الثقافية لم يتم التطرق إليه بالشكل الكافي خاصة بين أقطار بلاد المغرب، حيث لا تتعدى كتابات المؤرخين سوى صفحات قليلة لا تفيد البحث العلمي ولا تلّم بجوانب الموضوع .

* سطحية بعض الدراسات في تناول مسألة تنقلات العلماء وهجراتهم؛ وعدم تركيزها على أدوارها في التواصل الحضاري .

* ظاهرة حركية العلماء الملفتة للانتباه خلال هذه الفترة (القرن 10 هـ/ 16 م).

* تتبع مسار حراك الشيخ محمد الخروبي الطرابلسي الذي لم يحض حسب اعتقادنا بدراسة معمقة، تغطي جوانب شاملة ومتكاملة تميط اللثام عن زوايا الغموض التي تكتنف مسار حياة هذه الشخصية الهامة.

الهدف من الدراسة :

هناك جملة من الأهداف التي أرنو الوصول إليها من خلال هذه الدراسة و لعل أبرزها :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* توضيح وجه المفارقة بين عدم الاستقرار والجهل والجمود الفكري من جهة، وبين حيوية التنقلات البينية للعلماء المغاربة.

* إدراك كنه حركية النخب العلمية المغاربية كظاهرة اجتماعية لها أسبابها و تأثيراتها.

* معرفة هذه الفئة النخبوية من أهل العلم والدين في المجتمع المغاربي، ومدى تحكمها في الأوساط العامة.

* واقع التواصل الثقافي بين الأقطار المغاربية ودور العلماء في ذلك، من خلال النشاط والتأثير والتأثر الحاصل على جميع الأصعدة بدايةً بالاحتكاك.

* إبراز الروابط الفكرية والعلمية بين بلدان المغرب العربي، ودور العلماء في التأسيس لبناء وتوطيد هذه العلاقات على دعائم وأسس متينة.

* التنويه بالدور البارز لنخب العلماء والوقوف على الدور الذي اضطلعت به هذه الفئة بالعمل على رصد تنقلاتها و تأثيراتها وانعكاساتها على مسار العلاقات المغاربية.

* ترجمة حياة العالم أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي وتتبع آثار هذه الشخصية ؛ والأدوار التي قامت بتأديتها خلال القرن 16م، خاصة في ميدان التواصل الفكري والسياسي بين أقطار بلاد المغرب.

* إبراز الدور الذي قام به محمد الخروبي الطرابلسي؛ في العمل على رّص الصف المغاربي وجمع الشمل، و مساعيه الرامية إلى إحياء فكرة الوحدة المغاربية؛ في ظل التطورات والأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها المنطقة.

الإطار الزماني والمكاني للموضوع :

لقد جعلت عنوان هذه الدراسة محددا جغرافيا وزمنيا، بحيث يتضح جليا أن المجال الزمني للموضوع، هو ذلك القرن الذي شهد تحولا كبيرا ومنعرجا خطيرا في شتى الميادين، وقد أثرت في هذا التحول مجموعة من العوامل؛ جعلته يعتبر بحق قرن التحولات والتغيرات ، إنه القرن 10 هـ/16 م، أما عن المجال الجغرافي فهو يخ ص البلدان المغاربية الممتدة من طرابلس الغرب شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، أي أنه يغطي الفضاء الجغرافي الممتد من أقصى الحدود الشرقية الليبية إلى السواحل المغربية المطّلة على الأطلسي.

الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة :

شهد المجتمع المغاربي في القرن 16م حالة من الا نحلال الفكري والتخلف العلمي، حيث عشعش الفكر الخرافي وانتشر الإيمان بالغيبيات، لأنه كما يرى البعض عصر حكم عليه بالعقم المعرفي؛ وضيق أفق شخصياته وتبعيتها الثقافية لإنتاج السلف، وعلى الرغم من ذلك فقد كان العلماء يشكلون وحدة متماسكة على مستوى هذه الأقط ار، التي عرفت

حراكا فكريا تجلى في هجرة وتنقلات العديد من العلماء بين هذه البلدان، في مقدمتهم محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الذي شكل حلقة الوصل وجسر التواصل الثقافي بينها، لذلك فالإشكالية المطروحة في هذا الموضوع تتمحور حول هذه التساؤلات :

– هل كان لحراك ال نخب العلمية المغاربية تأثير على واقع العلاقات الثقافية بين أقطار بلاد المغرب؟ وما مدى إسهام ذلك في توطيد عرى العلاقات الفكرية ومد جسور التواصل العلمي بينها؟ ماهي السمات والملامح التي اتخذها الحراك الفكري لهذه الفئات العالمة؟

– وهل كان للشيخ محمد بن علي الخ روبي الطرابلسي؛ الذي كان أحد هذه النخب، حضور في الحراك الفكري العلمي المغاربي؟ وفيما تجلت بصمات ومظاهر حراكه؟ وهل استطاع أن يكون له من التأثير ما يجعله متميزا عن غيره ؟ وفيما تجلت مساعيه لبعث وتفعيل حركية التواصل الفكري والتآصر الثقافي بين أقطار بلاد المغرب؟.

وعليه ارتبطت اشكالية الموضوع حول **حركية النخب العلمية وأدوارها في التواصل الثقافي المغاربي**.

و ضمن هذه الأفكار سأحاول إثارة جملة من التساؤلات الفرعية :

* هل يمكن الحديث عن حراك للنخب العلمية المغاربية في عصر طغى عليه الجمود الفكري وشابه الركود العلمي، وتخلله تراجع النسق الحضاري؟ إذا سلمنا بذلك ؛ فماهي الأدوار التي اضطلعت بها هذه الفئات العالمة؟ ؛ وما هي مؤشرات حراكها الفكري؟ هل كان لها من الا نعكاسات ما أثر على الواقع الثقافي؟ وهل حدث هناك تلاقح، وتفاعل وتثاقف مغاربي في خضم هذا الحراك النخبوي؟ هل كانت تلك القوى العلمية دعامة من دعائم الوحدة أم أنها شكلت عاملا من عوامل التفرقة والتفكك؟ بماذا نفسر إذن حركية الشيخ محمد الخروبي؟ هل هذا يعود إلى الح الة التي كانت سائدة في بلاد المغرب؟ وكيف كانت رؤيته لها؟ هل كان هناك أخذ وعطاء في ظل حراكه الفكري؟ مامدى مساهمته في نشر أفكاره وعلمه؟ وإن كان قد حصل شئ من هذا؛ فمن هم شيوخه وتلاميذه؟ وما هي علاقاته بعلماء المناطق التي زارها أو استقر بها؟ وهل كانت له إسهاما ت فكرية وأنشطة سياسية؟ وفيما تجلت مظاهرها؟ وهل كان لها أثر؟ وهل تمكن هو الآخر من أن يسهم في بث فكرة الإتحاد والعمل على رصّ الصف المغاربي؟ .

أهمية الدراسـة :

– تسليط الضوء على قضايا تاريخية هامة؛ كونها دراسة لمرحلة من مراحل التطور والتغير الثقافي المتعلق بالحراك الفكري للنخب العلمية على غرار محمد الخروبي ودوره في تمتين وتوثيق عرى التواصل الفكري والتآصر الثقافي المغاربي .

– أنّ الموضوع من المواضيع الفكرية الحساسة التي تتداخل فيها الكثير من القضايا التاريخية والسياسية والدينية .

– أنّ الموضوع يختلف عن الكثير من المواضيع التاريخية التي اكتفت بسرد الأحداث السياسية والعسكرية، وترتيبها زمنيا أو تلك التي انحصرت في النقل، عمن سبق من المؤرخين .

– أنّ موضوع الدراسة يشكل حلقة من حلقات تاريخ المغرب العربي .

– أنّ شخصية الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي، حسب اعتقادنا لم تحض بالقدر الكافي من الدراسة والبحث الذي يغطي جوانب هامة من حياتها، خاصة ما يتعلق بدورها العلائقي الفكري بين الأقطار المغاربية .

في وقت لا تزال فيه جملة من الثغرات والغموض الذي يكتنف حركية النخب المثقفة بين أقطار بلاد المغرب، في الكثير من المحطات والمنعطفات، فكانت جّل الدراسات السابقة التي عالجت هذا الموضوع على قلتها من زوايا متعددة (عامة)، مجرد كتابات تناولت أو أشارت إلى علاقات بين دولة وأخرى خاصة بين الجزائر والمغرب، والتي ركزت بالدرجة الأولى على الجوانب السياسية، كما أن المصادر والمراجع التي تطرقت لشخصية الشيخ الخروبي وترجمت لجوانب من حياته تبقى مجرد شذرات وومضات، على غرار الدراسة التي قام بها الأستاذ المهدي البوعبدلي في المجلة الإفريقية (1952) ومجلة الثقافة (1983)، وما ورد من معلومات في كتاب الأستاذ أبو القاسم سعد الله " تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)"، والأستاذ عمار بن خروف في كتابه (العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 16م)، والأستاذ محمد حجي في كتابه (الحركة الفكرية في العهد السعدي)، والأستاذ عبد الله كنون في كتابه (النبوغ المغربي)، أمّا الدراسة التي حاولت حسب علمنا الوقوف على بعض الجوانب الهامة من الموضوع، هي (أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي) للدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، وعلى الرغم من ذلك تبقى دراسات ناقصة ومبتورة في ك ثير من زواياها وجوانبها، لذلك حاولنا في دراستنا تغطية هذا النقص والوقوف على جوانب الضعف من خلال البحث والدراسة .

خطة الموضوع :

للإحاطة بتساؤلات الإشكالية رأيت أن أقسم موضوع الدراسة إلى أربعة فصول :

الفصل الأول: تناولت فيه الظروف العامة لبلدان بلاد المغرب، حيث وقفت على الواقع السياسي والا قتصادي والثقافي لكل قطر من هذه الأقطار خلال القرن 16م، بداية بالجزائر ثم المغرب الأقصى، فتونس وليبيا .

الفصل الثاني: تطرقت فيه إلى حراك النخب العلمية المغاربية، بداية بالوقوف عند مصطلح الحراك وأنواعه، ثم تحديد عوامل حراك العلماء المغاربة، وبعدها تناولنا مظاهر الحراك الفكري لعلماء بلاد المغرب والأدوار التي اضطلعت بها هذه النخب، ثم أخذنا نماذج لحركية هذه الفئات العالمة وتأثيراتها.

الفصل الثالث: خصصته كترجمة لحياة النموذج الذي انتقيناه كعينة لحراك هذه النخب، وهي شخصية ال شيخ محمد بن علي الخروبي، حيث تطرقت في البداية إلى نشأته وطلبه العلم في بلده الأم، ثم توقفت عند حركيته و انتقاله إلى بقية البلدان المغاربية؛ وحراكه الديبلوماسي، ثم أشرنا إلى النتاج الفكري للشيخ ومكانته العلمية.

الفصل الرابع : تحدثت فيه عن جوانب من الحراك الفك ري للشيخ محمد بن علي الخروبي، الذي عكسته نشاطاته وإسهاماته الفكرية والسياسية، ودور هذا العا لم في مد جسور التواصل الفكري والعلمي بين أقطار بلاد المغرب .

المنهج:

تحتم علينا ظروف دراسة الموضوع تطبيق المنهج التاريخي الذي يهتم بتتابع الأحداث وتقديم وصف دقيق و شامل عنها ويعطينا سياقا زمني ا مترابطا خاصة ونحن في القرن 16م الذي يمثل كما أسلفنا قرن التحولات، والمنهج الوصفي الاستنتاجي التحليلي القائم على جمع الحقائق والمعلومات ومقارنتها وتحليلها وتفسيرها على ضوء كتب السير والتراجم وأهم الدراسات المتعلقة بالحياة الثقافية للوقوف تشخيص ظاهرة حركية العلماء والدواعي الكامنة وراءها، والوصول إلى تعميمات عن طريق الدراسة والتحليل والتفسير وتوصيف العلاقات للتوصل إلى نتائج وإستنتاجات محددة تلقي الأضواء الكافية على الحراك الفكري للنخب العلمية ومظاهره وتأثيراته على الواقع العلمي والثقافي السائد.

المصادر والمراجع المعتمدة لمعاجة الموضوع :

لمعالجة هذا الموضوع والإحاطة بجوانبه، اعتمدت على جلة من المصادر المخطوطة وغير المخطوطة، وبعض المراجع على اختلاف أنواعها، وتباين قيمتها التاريخية وهي كثيرة نظرا لكون الدراسة تتناول تراجم وسير ومن أهمها :

أولا المصادرالمخطوطة:

عدنا إلى بعض المخطوطات المفيدة النافعة التي ساهمت في إثراء الموضوع منها : **مخطوط التحفة الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية ومخطوط ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع** لمحمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي (ت.1109هـ)، ومجموعة من مخطوطات محمد الخروبي على غرار : **مخطوط الأجوبة، ومزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس، أذكار وأوراد، ووصايا ونصائح الخروبي** ، وهذه التآليف ساعدتنا على الوقوف على الكثير من المحطات الغامضة في حياة الشيخ الخروبي وجوانب من نشاطه الفكري ، تليها مجموعة من المصادر المطبوعة والمحققة.

ثانيا المصادر:

من المصادر الهامة التي اعتمدناها في موضوع الدراسة نذكر:

01- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، المتوفى سنة 986هـ/1578م، والكتاب بمثابة فهرسة ترجم فيها المؤلف لشيوخه في علمي الظاهر والباطن، إلاّ أنه توسع فذكر كل من عرف من مشايخ القرن العاشر الهجري 16م، وهو يضم 153 ترجمة خاصة من المغرب الأقصى، غير مرتبة لا حسب حروف المعجم ولا حسب الوفيات،كما استفدنا منه في الوقوف على مسائل فكرية كثيرة.

02- مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن لشيخ الإسلام الإمام أبي محمد بن العربي بن يوسف الفهري (988-1052هـ/1580-1642م)، الذي يمثل خزانة علمية في العديد من مجالات العلوم (تصوف، توحيد، عقيدة وسيرة، أنساب، كما أنه كتاب تاريخ)، وهو من أقرب المصادر التاريخية للفترة المدروسة، والذي أفادنا من الوقوف على بعض القضايا العقدية، التي شكلت جانبا من جوانب الحراك الفكري للخروبي، كما استوقفنا عند تراجم لبعض النخب العلمية.

03- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ودرة الحجال في أسماء الرجال للشيخ الإمام الحافظ المؤرخ أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي (960هـ/1052هـ)، صاحب التآليف العديدة، في الفقه والحساب والهندسة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون، هذين المصدرين اللذين أشرنا إليهما استفدنا منهما في تراجم للكثير من علماء المنطقة المغاربية.

04- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمؤلفه محمد الصغير الإفراني (1669-1727)، إقتبست منه الكثير من المصادر اللاحقة، هذا الكتاب له قيمة تاريخية كبيرة كما يمتاز بالتفصيل الوافي، غير أنه كثير الا ستطرادات، وغير مرتب زمنيا، استفدت منه في الكثير من فصول البحث، خاصة الأوضاع السياسية في بلاد المغرب والحراك الديبلوماسي للشيخ الخروبي.

05- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للعلامة الأستاذ محمد بن محمد بن مخلوف الذي أفادنا هو الآخر بالكثير من التراجم للعديد من العلماء.

06- سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من ا لعلماء والصلحاء بفاس لشيخ الإسلام محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274هـ/1345هـ)، الذي أفادنا بالكثير من المعلومات والإشارات، التي تم إستغلالها في العديد من القضايا الفكرية المختلفة.

07- وصف إفريقيا لمؤلفه الحسن الوزان (ليون الإفريقي)، الذي أفادني في وصف الحالة الا قتصادية والثقافية للأقطار المغاربية في أوائل القرن 10هـ/16م.

08- كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، فرغم أن الكثير من الباحثين يجمعون أن هذا الكتاب مرج ع من مراجع التاريخ المغربي ، وذلك أن مؤلفه عاش في القرن 13هـ/19م، إلا أنه يبقى من أهم من المصادر المغربية التي لا بد للباحث في التاريخ المغربي أن يعتمد عليه، رغم أنّ ما كتبه بخصوص الفترة المدروسة لم يتعد ماهو موجود في كتاب نزهة الحادي للإفراني، بل أنه ينسخ حرفيا ما هو في الكتاب.

09- البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد بن أحمد الملقب ب ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني المتوفى (1014هـ/1605م)، يذكر فيه نبذة عن حياة المترجم له وشيوخه، وقد ترجم فيه للمشايخ والعلماء، وقد تستغرق الترجمة صفحة أو عدة صفحات، وقد أفادنا هو الآخر في تراجم لبعض المشايخ.

بالإضافة إلى المؤلفات التونسية مثل : كتاب " ***المؤنس في أخبار إفريقية وتونس*** " لابن أبي دينار، و" ***إتحاف تونس وعهد الأمان*** " لابن أبي الضياف، أما بالنسبة لأهم المصادرالليبية التي تم اعتمادها " ***التذكار فيمن ملك طرابلس*** " لابن غلبون الطرابلسي المصراتي، وكتابي أحمد النائب الأنصاري من أعيان طرابلس في القرن 19م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وهما " ***المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب*** " و" ***ونفحات النسرين***" ، التي تنقل لنا جوانب من الأوضاع الس ياسية والفكرية، وتراجم للكثير من العلماء والولاة خلال العهد العثماني، ولكن ما يلاحظ عليهما هو تفسير الأحداث والوقائع والسير وفق المناهج القديمة للتاريخ.

ثالثا الرحلات :

عدنا إلى بعض الرحلات على غرار ***"النفحة المسكية في السفارة التركية*** " للتمجروتي، ورحلة أبي العياشي المسماة ***"ماء الموائد"*** ، ورحلة الورتيلاني المعروفة ***"نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار*** " التي تعتبر من أشهر الرحلات التراثية التي تحتوي على كم هائل من المعطيات والأخبار في شتى العلوم، حيث تم إستغلال بعض الإشارات الواردة خاصة ما يتعلق بالجانب الثقافي.

رابعا المراجع :

بالإضافة ما سبق تم الا عتماد على مجموعة من المراجع، ففيما يخص الجزائر نذكر : الموسوعة الثقافية للأستاذ أبو القاسم سعد الله " ***تاريخ الجزائر الثقافي*** " وبشكل خاص الجزء الأول والثاني منها، كما كان لكتاب " ***العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر والمغرب***" للأستاذ عمار بن خروف في القرن 10هـ/16م، أهمية في في كشف طبيعة العلاقات الثقافية بين البلدين ، أمّا بالنسبة للمغرب الأقصى، فقد استفدنا من مجموعة الدراسات للتعرف على مميزات الحياة الثقافية في الفترة المدروسة، ككتاب " ***الحركة الفكرية في عهد السعديين*** " للأستاذ محمد حجي، وكتاب "

المغرب في عهد الدولة السعدية " لعبد الكريم كريم، ومن المراجع الليبية كتاب " ***أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي*** " لعبد الحميد عبد الله الهرامة وغيرها من المراجع التونسية.

خامسا الدوريات:

المجلة الإفريقية وهي مجلة لا تقل أهمية عن المصادر السابقة لما تحتويه عن مواضيع متنوعة ؛ اقتصادية اجتماعية إثنية دينية سياسية وحتى فكرية، ومما استفدنا منها تلك الدراسة التي قدمها الشيخ البوعبدلي حول شخصية الخروبي.

سادسا الرسائل الجامعية:

كما تمّ العودة إلى الكثير من الرسائل الجامعية، مثل مذكرة الماجستير المعنونة بـ ***"حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 16م "*** لصباح بعارسية، ورسالة ماجستير حول " ***الإجازت العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830*** " للأستاذة فوزية لزعم.

الصعوبات:

من الطبيعي أن توا جه الباحث مجموعة من المعيقات والمصاعب، التي تؤثر بصورة أو بأخرى على جودة العمل وقيمته، فأنا كغيري ممن يطرق باب البحث في التاريخ واجهتني بعض العقبات، من أهمها قلة المصادر وصعوبة الوصول إلى المتخصصة منها، مثل المخطوطات المغربية والليبية التي تعتبر من صميم الم وضوع؛ ما دفعنا في العديد من الأحيان إلى التنقل، وكذا الصعوبة في جمع المادة الخبرية من مصادرها الأساسية، وفهم أسلوب العصر، وتشابه ما ورد في الكثير من المصادر؛ ذلك أننا نجد عددا من المصادر ينقل حرفيا عن مصدر واحد، وتشابك الكثير من القضايا ما يزيد في تعقيدها . بالإضافة عدم وجود دراسات متخصصة تهتم بدراسة العلاقات والروابط الفكرية بين الأقطار المغاربية؛ وإن وجدت فأغلبها مغربية، و صعوبة التحكم في الدراسة لا تساع الفضاء الجغرافي المغاربي، ووجود أغلب مصادر ومراجع البحث بالمكتبات المغربية، و ضيق الوقت المحدد بعام؛ ما يصعب من عملية إنجاز عمل أكاديمي أصيل.

وعلى الرغم من المصاعب فقد حاولنا الإلمام بجوانب الموضوع وإعطاء صورة واضحة عن حراك النخب العلمية ودورها في تفعيل وإثراء التفاعل الثقافي وتمتين عرى العلاقات المغاربية ومد جسور التواصل الفكري بين أقطار بلاد المغرب. فإن أصبت فمن الله وفضله، وإن أخطأت فمن نفسي، وحسبي أجر المجتهد . كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف على صبره وسعة صدره ؛ وإشرافه الجاد والمفيد ، وعلى توجيهاته السديدة وإرشاداته النيّرة ونصائحه القيّمة طيلة مراحل البحث ليخرج هذا العمل إلى النور، فله منا خالص الشكر والعرفان؛ وإلى كل من قدم لنا يد المساعدة ووقف إلى جانبنا ولو بكلمة دعم وتشجيع من قريب أو بعيد .

الفصل الأول:الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية للأقطار المغاربية خلال القرن 16م.

المبحث الأول: أوضاع الجزائر.

أولا: الأوضاع السياسية.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية.

ثالثا: الأوضاع الثقافية.

المبحث الثاني: أوضاع المغرب الأقصى.

أولا: الأوضاع السياسية.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية.

ثالثا: الأوضاع الثقافية.

المبحث الثالث: أوضاع تونس.

أولا: الأوضاع السياسية.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية.

ثالثا: الأوضاع الثقافية.

المبحث الرابع: أوضاع ليبيا.

أولا: الأوضاع السياسية.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية.

ثالثا: الأوضاع الثقافية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل:

لقد بلغ التفكك السياسي ببلاد المغرب العربي أقصاه في مطلع القرن 16م، حيث عجزت دويلات المنطقة عن توحيد جهودها لدفع الخطر الإسباني البرتغالي، ما سهل على هاتين الدولتين مهاجمة البلاد بلستمرار واحتلال أجزاء منها [1]، نتيجة الصراع المتوازن بين المرينيين والزيانيين والحفصيين، الشئ الذي لم يعط الفرصة لأي عصبية للوصول إلى الحكم وتوحيد المغرب العربي، بل بالعكس لقد زرع بذور تقسيم المنطقة إلى وحدات من جهة، إلى جانب الصراع العثماني الأوروبي في السيطرة على حوض البحر ا لأبيض المتوسط من جهة أخرى ، ما أدى إلى سقوط المغرب ضحية لهاتين القوتين المتناحرتين [2]، وإذا كان البعض يربط هذه الحملات الصليبية على مسلمي شمال إفريقيا؛ لكون منطقة المغرب نقطة الوثوب لا حتلال إسبانيا والسند العسكري القوي الذي أخر عملية الاسترداد، فإنّ البعض الآخر يرى أنّ هذه الهجمة؛ جاءت كنتيجة لهزيمة المسيحية في المشرق أمام العثمانيين. بعد أن قطع الهجوم العثماني طريق الشرق عليها ، فقد استطاعت المسيحية تجميع قواتها باتجاه المغرب، باعتباره الحلقة الأ ضعف في العا لم الإسلامي [3]؛ حيث أفسح ضعف القدرات العسكرية لهذه الدويلات ، وغياب السلطة السياسية الفاعلة المجال لانتشار الفتن والا نقسامات الداخلية ، ما جعلها هدفا للتوسع الإيبيري المسيحي، ومن بعده التوسع العثماني الإسلامي في القرن 16م، وهو ما سنقف عنده .

المبحث الأول: أوضاع الجزائر.

أولا – الأوضاع السياسية : تميز الواقع السياسي للبلاد طيلة القرن 16م بسمات وميزات تجلّت في:

01 – التجزؤ الداخلي:

كانت الحالة ا لعامة السياسية في مطلع القرن 16م بالجزائر؛ حالة تأخر وانحطاط ، بسبب الفوضى والا ضطرابات الداخلية، وعدم الاستقرار وكثرة التنازع على الرئاسة ، وعدم الانتباه إلى الأخطار المحدقة بها من ألدّ الأعداء على الضفة المقابلة من البحر المتوسط ، وإهمال أمر الرعية وتركها وشأنها، فبنو زيان وبنو مزغنة الثعالبة بالجزائر ، وبنو حفص بتونس وشرق الجزائر، كانوا في نزاع مستمر كل واحد يود الإ حاطة بالآخر ليحل محله في عرشه [4]، وقد كان لضعف دولة بني زيان تأثير على أوضاع الجزائر التي انقسمت على نفسها إلى إمارات صغيرة متناحرة ، فبنو زيان لا يحكمون عمليا إلاّ

---

[1]. محمد عبد الله عودة وآخرون: **تاريخ العرب الحديث**،(د.ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1989، ص 12.

[2]. بلقاسم بوقرة: **من الاستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 159.

[3]. عبد القادر جغلول: **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط**، ترجمة: فضيلة الحكيم، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982، ص 87.

[4]. محمد بن علي شعيب: **أم الحواضر في الماضي والحاضر– قسنطينة –**، (د.ط)، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1980، ص 46.

تلمسان و ضواحيها وساحل البحر على مقربة من الجزائر [1]، وقد وصل تأزم الأوضاع درجة، لم يعد في وسعهم حماية المناطق الموالية لهم من الهجمات الإسبانية من جهة، وهجمات الوطاسيين من جهة أخرى، وقد اغتنمت القبائل البربرية هذه الأوضاع لاسترجاع نفوذها، فكانت تؤيد وتعارض الأمراء المطالبين بالحكم [2].

أمّا بقية البلاد فقد كانت مقر إمارات قبلية صغيرة مفككة أمثال إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل، والإمارة الحفصية بقسنطينة، وإمارة الذواودة بالحضنة والزاب ، وإمارة بني جلاب بتقرت ووادي ريغ ، وإمارة بني زناسن وفقيق بالحدود الغربية، وإمارة الثعالبة بجزائر مزغنة ومتيجة [3]، وكان التنافس على أشدّه بين كوكو وقلعة بني عباس و إمارات أخرى تقتسم الرقعة الوسطى، لا تدين في الغالب بالولاء لأحد ، أمّا القبائل الكبرى العربية والأ مازيغية (البربرية)، فقد كانت تسيطر على المناطق المتبقية من المغرب الأ وسط [4]، وهذا يظهر جليا مدى ضعف الملوك ، وتنمر القبائل التي كانت تتمتع بنسبة استقلال في إقطاعاتها، فعندما فوجئت الجزائر بالاحتلال الإسباني كانت مجزأة إلى نحو 25جزء، كل جزء تهيمن عليه قبيلة بربرية أوعربية، فضلا عن ذلك طرأت كارثة الأ ندلس بسقوط غرناطة ، والسيل الجارف من المهاجرين الأندلسيين الذين حذروا السكان وأطلعوهم على جرائم الإسبان، وأهدافهم الرامية إلى إخلاء المغرب من سكانه وتعميره بالمسيحيين[5]، فكان ذلك أحد عوامل غزو الإسبان للمدن والشواطئ الجزائرية.

02 – الغزو الإسباني :

إنّ حالة الضعف والانحلال الذي شهدته المنطقة في مطلع القرن 16م، شجع الإسبان على مهاجمة مناطق المغرب الأوسط، ولم يكن الهجوم الإسباني بغالبه يحمل مضامين اقتصادية، بل كان طابعه الرئيسي الانتقام من المسلمين، وكان للوصايا التي تركتها الملكة إيزابيلا عام 1504م الدور الرئيسي في مواصلة الحملات العسكرية ضد مناطق المغرب [6].

لذلك كان التعصب الديني والرغبة في نشر المسيحية وزحزحة حدود الإسلام، هي التي دفعت الإسبان أواخر القرن 15م وطوال القرن 16م، إلى التدخل في البلاد الإسلامية بشمال إفريقيا؛ إذ يقول بروديل :« إنّ الحروب الإسبانية في إفريقيا

---

(1). أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492–1792)**، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 83.

(2). رشيدة شدري معمر: **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671–1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005، ص 12.

(3). يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 08.

(4). أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص 83.

(5). أحمد بن محمد بن علي سحنون: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، (د.ط)، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص 12.

(6). عزيز سامح التر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ص 17.

أخذت صبغة الصليبية الحقيقة ، وذلك نظرا للدور العظيم الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت، فالكنيسة بإسبانيا قد ساهمت بكل ما لديها من حماس ومن جرأة في هذه المعركة، معركة خاصة بها » [1].

ولاشك أنّ بروديل بالغ في اعتبار العوامل الدينية ذات أهمية كبرى في بدء الحروب الصليبية ، دون أن ننكر بوضوح ما كان يتحلى به فرديناند الكاثوليكي من حماس ديني، فالواقع أنّ المصالح المادية سرعان ما لعبت الدور الأكبر لاعتبارات سياسية داخلية وخاصة خارجية لا علاقة لها بالدين[2]، وقد أدى سقوط غرناطة عام 1492م وهجرة الأندلسيين ، إلى اشتداد المخاوف في إسبانيا من الهجوم الإسلامي المضاد، إثر ثورة المسلمين في الجبال المحيطة بغرناطة سنة 1501م، التي كانت أهدافها كما يعتقد هي الا تصال بالسلطان العثماني وبقية حكام الشمال الإفريقي، بقصد التهيئة لغزو إسلامي[3]، وشجع هذا التفكك الإسبان على القيام بغزو الموانئ والمدن الساحلية، وفق مشروع استعماري واسع يهدف إلى استعمار المغرب العربي كله ، ممهدين له بحركة جوسسة واسعة بعدها، ثم الشروع في إعداد خطط الغزو [4].

هذه العوامل مجتمعة دفعت الملك الإسباني فرديناند، إلى توجيه حملات عسكرية منظمة بدافع السيطرة و الانتقام وتحقيقا لهوسه الاستعماري، فقد تمكن الإسبان خلال الفترة (1505-1535م) من احتلال مواقع ومدن عديدة بالساحل الجزائري، ففي 09 سبتمبر 1505م رست الحملة الإسبانية أمام المرسى الكبير، وفرضت عليه حصارا انتهى باحتلاله، وبتكرار تعرض السواحل الإسبانية للهجمات أخذ الملك بنصيحة خزيمناس (أسقف طليطلة) وقرر احتلال وهران، وكان الإنزال في ماي 1509م حيث أخضعوا المرتفعات المشرفة على المدينة واستمر الضغط إلى أن استسلمت المدينة، وفي عام 1510م تم إنزال 14 ألف جندي على مقربة من بجاية، وعلى الرغم من المقاومة التي تبناها القيّ اد والقرويين، فقد تمكن بدرونافارو من الدخول إلى المدينة، في حين انسحب حاكمها الحفصي إلى قسنطينة وأخذ في شحن حكام كوكو وبني عباس للدفاع عن دواخل البلاد [5]، وفي أعقاب سقوط هذه الأخيرة سارعت بقية الموانئ التي لم يصلها الاحتلال إلى قبول الخضوع للسيادة الإسبانية، ودفع الضريبة اتقاء شرهم [6]، فمدينة مستغانم فتحت أبوابها للعدو في 26 ماي 1511م ممضية معاهدة استسلام ؛ تعهد فيها القادة المرابط ون وشيوخ مستغانم بخدمة ملك قشتالة بصدق

---

(1) . Fernand Braudel :" **l'espagnols en afrique du Nord de (1492-1577)**", in.R.A, Volume 69, paris, 1928, pp : 198-199.

(2). جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، 1985، ص 322.

(3). وليم سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب و تقديم: عبد القادر زبادية، (د.ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 34.

(4). يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 08.

(5) . Mahfoud Kaddache : **L'Algérie durant la période ottomane**, O.P.U, Alger, 2002, pp : 04-05.

(6). مبارك بن محمد الميلي :**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم: محمد الميلي، ج4، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011 ص 43.

وأمانة، والالتزام بدفع الرسوم و الضرائب [1]، وفي نفس العام توجه وفد من مدينة الجزائر يرأسه حاكمها سالم التومي إلى بجاية، التي جعلها نافارو مركزا لقيادته ، فأبرم معه صلحا تعهد فيه بالخضوع للنفوذ الإسباني والإفراج عن جميع الأسرى المسيحيين، وتسليم إحدى الجزر المواجهة لميناء الجزائر على بعد 300م منه ، حيث أقام الإسبان على هذه الصخرة حصنا وضعوا فيه حامية ومدفعية أصبحت شوكة في جنب الجزائر [2].

وقد أثارت هذه الحملات الخوف في قلوب الحكّام المتناحرين، الذين لم يفكروا في الوحدة بل تسابقوا إلى التحالف مع الإسبان، ودفع الضريبة خوفا من تكرار ما حصل لوهران [3]، فلم يلبث أبو عبد الله محمد الزياني ملك تلمسان أن بعث عام 1512م وفدا إلى إسبانيا، يعلن خضوعه وتبعيته للملك الإسباني [4]، وفي سنة 1533م أرسل شارلكان قائد أسطوله دم ألفاري سان إلى مدينة هنين غربي وهران ، حيث تمكن من نهبها و أقام بها حامية [5]،كما تمكن الإسبان من احتلال عنابة عام 1535م، وبذلك استطاعوا بسط سيطرتهم على الشواطئ الجزائرية ، ويعزى عدم احتلالهم للمدن الداخلية إلى انشغالهم بالحروب الخارجية، ولعل أهم نتيجة نجمت عن الغزو هي التدخل العثماني في الجزائر لإنقاذها [6].

03 – التدخل العثماني وتأسيس إيالة الجزائر:

لما كان الإسبان يغزون الشواطئ والمدن الساحلية الجزائرية مطلع القرن 16 م، كان غزاة البحر العثمانيين يتقدمهم الإخوة بربروس[*] عروج وخير الدين، قد وصلت أخبارهم إلى الحوض الغربي للمتوسط، وقد ساقتهم الظروف إلى جزيرة جربة شرق تونس حوالي 1504م؛ فلستقر بها عروج ولحق به خير الدين و إسحاق، وأصبحت لديهم حوالي 12 سفينة واتفق مع الأمير الحفصي أبي عبد الله محمد بن الحسن على أن يسمح لهم بجعل جربة مركزا لأسطولهما ، وتفتح كل الموانئ التونسية لهم عند الضرورة مقابل خمس الغنائم التي يغتنمونها في البحر [7]، ولبعد جربة عن ميدان الجهاد الحقيقي في

---

(1) . Moulay Belhamissi : **Histoire de Mostaganem**, **Centre Nationale d'étude historique**, Alger , 1976, pp : 60-61.

(2). محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث**، ط2، مكتبة دار الشرق، دمشق، سوريا، 1979 ص 21.

(3) . Primaudaie (E.de la) :" **Document inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en afrique (1506–1574)**" .in, R.A, volume : 20, paris, 1876, p : 73.

(4). عمار بن خروف: **العلاقات بين الجزائر والمغرب** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب ، دمشق، سوريا، 1983، ص 22.

(5). مارمول كاربخال: **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج2، (د.ط)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1989، ص 296.

(6). عمار بن خروف: **العلاقات بين الجزائر والمغرب** ، ص 22.

(*). **يذكر خيرالدين** أن أباه يعقوب كان ابنا لأحد فرسان الصبايحية، استقر بجزيرة مدللي اليونانية، التي فتحها السلطان محمد الفاتح ، وقد تزوج من إحدى نساء الجزيرة وأنجب منها 04 إخوة: إسحاق الأخ الأكبر وعروج و خضر(خير الدين) وإلياس، للمزيد انظر **مذكرات خيرالدين**، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 21–22.

(7). ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان**، ج2، ط2، الدار التونسية، تونس، 1977، ص 10.

الحوض الغربي للمتوسط ، اتفقوا مع الأمير الحفصي على نقل مركزهم إلى حلق الوادي في أقصى شمال شرق تونس في نفس العام تقريبا [1]، ولم تحن سنة 1510م حتى انتشرت ملاحم وقصص غنائم هؤلاء البحارة، انتشارا واسعا في الشرق والغرب، ولم يكن إلقاء القبض على سفينتين كبيرتين محملتين بأشياء ثمينة ، واللتان كانتا ملكا للبابوية ؛ إلاّ واحدة من العمليات التي أعطت لعروج الشهرة فتزايدت عدد سفنه الخاصة [2].

وبعد أن أصبح المغرب الأوسط ممزق وضعيف نتيجة الحروب طويلة الأمد، لم يكن في مقدوره القيام في وجه الصليبية الجديدة؛ لذلك استنجد بالأتراك [3]، بعد أن لفت عروج بأنظاره وقوة أسطوله سكان الموانئ الجزائرية المحتلة أو المهددة، حيث استنجد به حاكم بجاية و أعيانها عام 1512م ليساعدهم على تحرير المدينة من الإسبان؛ فلبى الدعوة [4]وحاصرها بأسطوله بحرا، وحاكم المدينة برا بدعم من رجال عروج ، إلاّ أنّ الحصار فشل وعاد عروج إلى تونس بعد أن فقد ذراعه اليسرى التي بترت [5]، وفي عام 1514م أعاد الكرة ولكن سوء الأحوال الجوية ووصول أسطول إسباني ورجوع رجال القبائل، دفعه إلى فك الحصار من جديد، وعوض عروج عن فشله أمام بجاية بفتكاك جيجل التي اتخذها قاعدة له [6]، وفي سنة 1516م خلق موت فرديناند ملك إسبانيا موقفا جديدا ، حيث اضطرب وضع المراكز الإسبانية، وبدأ سكان الموانئ الخاضعة للنفوذ الإسباني يفكرون بأن الفرصة حانت للتخلص من السيطرة الإسبانية [7].

وكان وجود الإسبان في قلعة البنيون المواجهة للجزائر يحول دون ممارسة أهلها للقرصنة، كما يحول دون استقبال السفن الإسلامية، وأمام استياء السكان سارع أهل المدينة عن طريق حاكمهم سالم التومي ؛ إلى الاستنجاد بعروج ليحررهم من هذه القلعة، فأسرع الأخير إلى الجزائر، وفي طريقه احتل شرشال وقتل حاكمها المنشق، و استقبل أهل الجزائر عروج استقبال المحررين [8]، لكنه فشل في احتلال القلعة نتيجة ضعف مدفعيته، فزال في نظرهم مبرر وجوده بينهم، بعد أن ثقلت عليهم وطأة جنوده الذين بدأوا يتصرفون ولأنهم في بلد محتل، وعاملوا المدنيين بنوع من الكبرياء والقسوة وبدأت المؤامرات ضده؛ لكن عروج كشف المؤامرة وسبق المتآمرين ، فقتل زعيمهم سالم التومي في حمامه ؛ ونادى جند عروج به

---

(1). يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 11 .

(2). جون-ب- وولف: **الجزائر وأوروبا (1500-1830)**، ترجمة و تعليق : أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، الجزائر، 2009، ص 28.

(3). Moulay Belhamissi : **Histoire de la marine Algérienne (1516-1830)**, 2ed, E.N.L, Alger, 1986, p : 45.

(4). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 24.

(5) . Diego de Hoedo : **Histoire des rois D'Alger**, trad. : de Grammont, ed (G.A.L), Alger, 2004, pp : 18-19.

(6) . Hoedo : **Ibidem**, pp : 22-23.

(7). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 25.

(8) . De Grammont : **Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830)**, ed 28, ernest loraux, paris, 1987, p : 22.

سلطانا[1]، وبعد أن وطّد مركزه في مدينة الجزائر شرع في التوسع على حساب الإ مارات المجاورة، فلستولى على مليانة والمدية وتنس، وبدأ في تنظيم هذه المناطق ؛ فلوكل إلى أخيه خير الدين أراضي الشرق فلتخذ دلس مقرا له، وانفرد هو بحكم مدينة الجزائر ومناطق الغرب [2].

رغب عروج في استغلال ضعف السلطنة الزيانية ، فلستغل المنازعات الأسرية، وتوجه إلى تلمسان بطلب من أهلها للتخلص من السلطان الزياني أبي حمو موسى الثالث ؛ الذي اغتصب الحكم من أخيه أبي زيان بدعم من الإسبان. فدخلها عام 1517م وفرّ أبو حمو إلى وهران، وقتل عروج جماعة من بني زيان وأنصارهم؛ غير أنّ الإسبان أعادوا الكرة لاحتلال تلمسان وإعادة السلطان إلى عرشه، فخرج عروج لملاقاة أعدائه وقاتلهم إلى أن استشهد مع جماعته قرب مقطع الواد المالح بناحية مدينة وهران في ماي 1518م [3]، وبمقتله تفهم خير الدين المقيم بالجزائر خطورة الوضع ، ومن أجل دعم موقفه رأى ضرورة توسيع باب الاتصال بالدولة العثمانية وتمتين العلاقات السياسية والعسكرية معها، خاصة أنه واقع فرضه الوضع الجديد، ولهذا أُيد سكان مدينة الجزائر خير الدين؛ عندما طلب منهم أن يكتبوا رسالة إلى السلطان العثماني يعلنون له فيها طاعتهم له والانضواء تحت لواء دولته [4]، وهي الرسالة التاريخية التي كتبوها في أوائل نوفمبر 1519 م وحملها وفد خاص يرأسه أبو العباس أحمد بن القاضي كسفير للباب العالي إلى استانبول، لربط البلاد بالإمبراطورية العثمانية، ونتيجة لهذه السفارة سارع سليم الأ ول بإرسال رتبة البايلرباي إلى خير الدين، واعتبر ابتداء من هذا الظرف الجزائر جزء من إمبراطورية آل عثمان [5]، وبعودة الوفد إلى مدينة الجزائر وقفوا بين يدي خير الدين ، ووصفوا له أمر السلطان وأنه قبل طاعة أهالي الجزائر، وأذن لهم في صرف الخطبة والسكة إليه، وحدد المؤرخ التركي محمد شكري تاريخ عودة الوفد من الآستانة بعام 1520م، وهو التاريخ الذي تأسست فيه إيالة الجزائر في إطار التبعية العثمانية [6].

04 – الجزائر في عهد البايلربايات 1519–1587 :

بوفاة عروج وتعيين خير الدين أميرا للأمراء، واصل فتوحاته بمساعدة حكام القسطنطينية ؛ كما جابه الكثير من الأخطار؛ على غرار حملة هيغو دي مونكادا التي كان مآلها الفشل عام 1519م، ولكن خير الدين أصيب بهزيمة قاسية

---

(1). Diego de Hoedo : **Topographie et Histoire générale d'Alger**, 3ed, G.A.L, Alger, p : 25.

(2). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 26.

(3). عبد القادر نور الدين: **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر**، (د.ط)، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2006، ص 55.

(4). خليفة حماش: **العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي(1798–1830)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، الإسكندرية، مصر، 1988، ص 28، 29.

(5). عبد الجليل التميمي: "**أول رسالة من اهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1591**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 06، تونس، جويلية 1976، ص 118، 11.

(6). خليفة حماش: **المرجع السابق**، ص 30.

أمام جيش حفصي، نتيجة خيانة أمير كوكو أحمد بن القاضي في ساحة المعركة، اضطرته إلى التخلي عن الجزائر والاعتصام بجيجل، حيث استأنف من جديد حياة القرصنة (1520-1525)؛ فاستولى على القل عام 1521م، وعنابة سنة 1522م وقسنطينة [1]، ونجح في كسب تأييد رجال القبائل الصغرى بتحالفه مع زعيم بني عباس عبد العزيز ضد ابن القاضي؛ الذي هزم وقتل على يد رجاله وحمل رأسه إلى خير الدين عام 1525م؛ ثم قمع ثورات شرشال، تنس وقسنطينة، وقرر بعد أن وطد الأمن التخلص من القلعة [2]؛ واستمر في قصف القلعة ثلاثة أسابيع، ما دفع قائد الحصن مارتين دي فرقاس إلى الاستسلام في ماي 1529م، وأسرع خير الدين في تقويض أسوار الحصن[3]، واستخدم أنقاضه في إنشاء مرسى يصل الصخرة بالمدينة؛ فأوجد بذلك ميناء الجزائر، فأقلق نجاحه الإسبان الذين وجّهوا حملة بقيادة أندري دوريا للاستيلاء على شرشال لكنها فشلت عام 1531م.

وكان خير الدين يحلم بإنشاء إمبراطورية تضم كل الشمال الإفريقي، لذلك ركز اهتمامه على تونس بعد موافقة السلطان العثماني، حيث لم يجد صعوبة في دخولها صائفة 1534م، معلنا انتهاء الحكم الحفصي وتبعية تونس للسلطة العثمانية[4]، إلاّ أنّ السلطان الحفصي المخلوع أعاد الكرة بعد استنجاده بشارلكان [*]، فنجح في الاستيلاء على حلق الوادي، ثم تونس يوم 21 جويلية 1535م[5]،لكن الحملة الأكثر قوة هي حملة شارلكان أواخر اكتوبر 1541م التي شاركت فيها الممالك الأوروبية، وكان هدفها وضع حد للقاعدة العثمانية الجديدة المتمثلة في مدينة الجزائر، إلاّ أنّ حسن آغا نائب خير الدين استطاع إلحاق هزيمة منكرة بالقوات المعتدية وقيل إنّ الإمبراطور لم يقض سوى ليلة واحدة في خيمته [6]، وبفشلهم أمام مدينة الجزائر حوّلوا جهودهم إلى الناحية الغربية، فاقتحموا تلمسان عام 1544م ونهبوا خزائنها، كما اشتد طمع السعديين فيها ؛ حيث أرسل السلطان محمد المهدي حملة احتلت تلمسان؛ لكن حسن باشا بن خير الدين (1544-1552م) أوقع بها الهزيمة قرب مستغانم ، وطرد القوات المتمركزة بتلمسان ، ولما أصبحت الدولة الزيانية تشكل خطرا على مستقبل الوجود التركي بالجزائر ، اعتزم صالح رايس (1552-1556م) أن يضع لها حدا ويصفي وجودها فاقتحم تلمسان وعزل عنها الحسن الزياني عام 1554م لعلاقته الوثيقة بالإسبان، وألحق المملكة الزيانية بالسلطة التركية

---

(1). جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ج2، ص 329.

(2). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 32.

(3). جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية**،ج2، ص 329.

(4). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 33، 34.

(*). **شارل الخامس(1500-1598)** : ملك اسبانيا ، نصب إمبراطورا عام 519م ، لقب بشارلكان، حارب فرنسا مدة 30 سنة كما واجه العثمانيين في حصارهم لفيينا 1529م، إحتل تلمسان 1530م، تونس 1535م، وقصف مدينة الجزائر في حملته المشهورة عام 1541م، تنازل عن الحكم لابنه فيليب الثاني(1527-1598) في عام 1558م، علاقاته السيئة بالسلطان العثماني سليمان القانوني وملك فرنسا فرانسوا الأول؛ من بين عوامل التقارب العثماني الفرنسي الذي توج بمعاهدة 1535م.

(5). أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص212، 215.

(6). أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الاسلامي**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2003، ص 507.

بالجزائر، كما تمكن صالح رايس من طرد الإسبان من بجاية عام 1555م ولما كان يستعد لتحرير وهران عاجلته المنية عام 1556م، وعندما أخذت شخصية الجزائر تتخطى حدودها إلى الخارج، وأصبح لقادتها و أسطولها دور في أحداث المتوسط، شارك حسن باشا في حصار مالطا [1]؛ ثم استدعي لتولي منصب قبطان البحرية العثمانية، وخلفه علج علي (1568-1571م) أحد كبار القواد الذين خاضوا معركة ليبانت 1571م، ما جعل السلطان العثماني يكلفه بإعادة بناء وتنظيم الأسطول العثماني لإزالة آثار الهزيمة، واشترك مع سنان باشا وقوات طرابلس والجزائر في طرد الإسبان نهائيا من تونس عام 1574 م وإنهاء الحكم الحفصي [2]، وقد سمح التوغل العثماني بالجزائر بتبني أنظمة سياسية وعسكرية، وإشراك الأعيان القدماء في المدينة دون منحهم أي نفوذ سياسي [3].

ثانيا – الأوضاع الاقتصادية :

كانت الأوضاع الاقتصادية قد مالت إلى التأزم مطلع القرن 16م، نتيجة الأوضاع السياسية من غزو خارجي وتفكك داخلي ، ما أشاع الاضطراب في كامل أنحاء البلاد إلى حد كبير ، وكان لكل ذلك أسوأ الأثر على مختلف الأنشطة الاقتصادية، حيث أصيبت الزراعة في الصميم ؛ نتيجة هجرة كثير من الفلاحين لأراضيهم ، لاضطراب الأمن وتزايد الأخطار؛ حتى أنّ مناطق كثيرة باتت مهددة بالجوع ؛ لأن المحاصيل الزراعية لم تعد تكفي حاجة السكان [4]. ويذكر هايدو تعرض سكان جيجل لمجاعة كبيرة أجبرت عروج على استغلال سفنه، حيث توجه نحو جزيرة صقيلية، وعاد بثلاث سفن محملة بالقمح، وزعها على الأهالي [5]، وعلى الرغم من أنّ الزراعة كانت المورد الرئيسي لمعيشة غالبية السكان؛ إلاّ أنها تميزت بالبساطة و البدائية ، وهذا الوضع أثّر سلبا على مردودية الأرض وكميات الإنتاج؛ إذ لم تتدخل الدولة لتحسين وسائلها ، ولم تسهم في الوقاية من الأضرار الطبيعية والآفات الزراعية ، وفوق كل هذا احتكرت شراء المحاصيل وبيعها [6].

وكانت الصناعة تعتمد على المواد الأولية المحلية، في مقدمتها صناعة الأقمشة والمنسوجات القطنية الكتانية والصوفية والحريرية، إذ يذكر الوزان أنّ ندرومة مزدهرة كثيرة الصناع : « وينتجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه يزرع بكثرة في المنطقة »[7]؛ أمّا سكان هنين قبل نزوحهم عن المدينة إثر الاحتلال الإسباني لوهران، كانوا يعملون كلهم تقريبا في القطن

---

(1). يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 19، 20.

(2). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 50، 51.

(3). حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 25، 26.

(4). صباح بعارسية: **حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 16 م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر02، 2005-2006، ص 20.

(5). Diego de Hoedo : **Histoire des rois D'alger**, p23.

(6). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 99.

(7). الوزان: **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 14.

والمنسوجات[1]، وكذلك الحال في مدن برشك ومليانة وعنابة وفي مدينة ميلة ، إذ يقول الوزان : « وفيها عدد كبير من الصناع وخصوصا من يعملون في نسيج الصوف »[2]، لذلك لا يمكن القول بوجود صناعة بالمعنى الحديث ، وإنّما يمكن الحديث عن وجود بعض الحرف كالنسيج والحياكة، والسروج والألجمة، وسكك المحاريث والخناجر والفؤوس والسلال وغيرها [3]، أمّا الحركة التجارية فقد عرفت فترة ركود ، بعد أن تحولت التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح؛ ما أثّر على البحر المتوسط الذي فقد خلال تلك الفترة حيويته المعهودة [4]، إذ عرفت العلاقات التجارية للجزائر مع إفريقيا والدول الغربية الأوروبية تراجعا بسبب القرصنة، التي أثّرت على الحياة الاقتصادية في الإيالة؛ فأصبحت بلدان المغرب أقل حظا في التجارة العالمية [5]، كما أنّ حركية المبادلات توقفت في مطلع القرن 16م، نتيجة سيطرة الإسبان على السواحل الجزائرية ثم سيطرة الأتراك، إذ يقول الوزان : « ..ولما احتل المسيحيون وهران لم يعد البنادقة يقصدونها ، لكونها مليئة بالجنود الإسبان، فطلب منهم أهل تلمسان أن يأتوا إلى هنين »[6].

ويقول الرحالة الألماني مالتسان عن دور الأتراك؛ في ضرب الحركة التجارية في تلمسان : « كانت سياسة بني زيان تجاه الأوروبيين أكثر تسامحا من سياسة الحكام المتأخرين (الأتراك)، في ذلك الحين كان تجار جنوة و البندقية يترددون على تلمسان في حرية تامة، كما لو أنهم في مدينة إيطالية، وأكثر من ذلك يرسلون قوافلهم إلى الواحات بالصحراء؛ التي تبعد حدودها الشمالية عن تلمسان 50كلم، وكانت بها نسبة مسيحية و خانة للقوافل خاصة المسيحيين وكان هذا في جميع مناطق الغرب؛ إذ أنّ هذه البلاد كانت مطلع القرن 16م مفتوحة للأوروبيين، فعرفت الحركة التجارية ازدهارا كبيرا ولكن ما إن بدأ الحكم التركي حتى أقام التعصب الديني والسياسي سورا صينيا محكما حول الجزائر ولو أنه كان سورا أخلاقيا ولذلك ظلت الجزائر كتابا مغلقا بالنسبة إلينا نحن الأوروبيين حتى بداية الحكم الفرنسي »[7].

كما عانت تجارة قسنطينة مع السودان الغربي الأمرّين؛ من قطاع الطرق ما دفع التجار لاستئجار أشخاص لحماية قوافلهم، وكثيرا ما انتقلوا بحرا متفادين البر خوفا على تجارتهم من الأعراب، لهذا أقام العثمانيون لما آل إليهم الأمر الأبراج (برج منايل، البويرة، سور غزلان)[8]، وعلى الرغم من ذلك لم يكن للدولة إسهام في النشاط الاقتصادي للبلاد، فرغم اهتمامها بالبحر لا نجد لها أثرا في إنشاء الموانئ، وكان ميناء الجزائر هو الميناء الوحيد الصالح للتجارة، في حين كانت بقية

---

(1). الوزان: **وصف إفريقيا** ، ج2، ص 15.
(2). الوزان: **المصدر نفسه**، ص 60.
(3). صباح بعارسية: **المرجع السابق**، ص 20.
(4). أرزقي شويتام: **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري (1519-1830)**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص 71.
(5). حنيفي هلايلي: **المرجع السابق**، ص 158.
(6). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج2، ص 15.
(7). صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)**، ط3، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 18.
(8). صباح بعارسية: **المرجع السابق**، ص 22.

الموانئ مهملة، كما أنّ الجزائر لم تكن سوقا اقتصادية واحدة متكاملة ، ولم تعرف التوازن الاقتصادي[1]، بالاضافة إلى الأثر الذي خلفه الغزو الإسباني على الجوانب الاقتصادية، والذي نلمسه في تراجع الدور الذي كانت تلعبه الموانئ في تعاملها مع الممالك الأ وروبية؛ إبتداءا من القالة شرقا إلى هنين غربا، وقد انعكس ذلك بالسلب على الحالة الاقتصادية للبلاد، وأدى إلى تعطيل مكانتها التجارية والتقليص من مداخيل العائدات التجارية مع الخارج [2].

ثالثا – الأوضاع الثقافية:

شهدت الحياة الفكرية تدهورا وتراجعا طوال القرن 16م، حيث عرف المغرب الأ وسط صراعا متواصلا مع جير انه الحفصيين والوطاسيين؛ وعجزا عن صد الهجمات الإسبانية، كان له أسوأ الأثر على مدنه التي مسها العدوان ؛ حيث أصيب نسقها الحضاري والثقافي العلمي ، وتحولت الكثير من المنشآت الثقافية والدينية والعلمية ؛ إلى محلات تستجيب لمصلحة الإسبان، فبحتلال وهران قضوا على مساجدها وزواياها ، وحولوها إلى مؤسسات تخدم مصالحهم، وبجاية لم تتمكن من استعادة دورها الحضاري والثقافي ؛ رغم تحريرها عام 1555م، كما تعرضت تلمسان أثناء الغزو عام 1543م للنهب؛ وتعرض مسجدها الأعظم للإهانة ولم تستعد هي الأخرى مكانتها العلمية المعهودة [3].

لقد شهد المجتمع الجزائري أوائل العهد العثماني ؛ حالة من الا نحلال الفكري وانتشار العادات السيئة التي ألصقت بالدين، حيث كثر أدعياء العلم وانتشر الفكر الخرافي ؛ حتى كاد المجتمع يصبح زاوية صوفية ؛ فيها الحضرة والرقص العصبي والإيمان بالغيبيات والروحانيات [4]، فقد أصبحت الثقافة رهن فراش الا حتضار تلفظ نفسها الأخير ؛ حيث كانت معظم القرى والمداشر إبان الحكم التركي ، تتخبط في جهل دامس وتتردد في عقائد فوضوية ، ودين طغت عليه الخرافات الدالة على جمود الفكر وتخدير الشعور ، ما يفسر عدم شهرة مراكزها وقلة رجالها ، وندرة نتاج أصحابها، فليس في الجزائر من مراكز الثقافة ما يوازي الزيتونة أو القرويين أو الأزهر أو الجامع الأموي، بل لا تعدو أن تكون هذه المؤسسات مساجد وزوايا؛ وكتاتيب للقرآن ومنازل بعض العلماء ، أمّا رجال الثقافة فإنهم أقل من قليل مقارنة بأقر انهم في المغرب الأقصى والمشرق، وأما نتاج علماء الجزائر وأدباءها فقد كان يفقد قيمته العلمية والأدبية ، زيادة على ضآلته بالنسبة لنتاج علماء المغرب والمشرق [5]، وكانت الحركة العلمية تمت إلى العلم الظاهر والصوفية تمت إلى العلم الباطن، بيد أنّ كلتيهما ضئيلتان جدا في القطر الجزائري، فالدين الظاهر أصبح تقليدا أعمى معتمدا على اللفظ الجاف للنصوص الفقهية، وكان جلّ

---

(1). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 98-99.

(2). عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505-1792)**، ط1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص 201.

(3). عبد القادر فكاير: **المرجع نفسه**، ص 365، 367، 369، 372.

(4). حنيفي هلايلي: **المرجع السابق**، ص 299.

(5). محمد بن عبد الكريم: **المقري وكتابه نفح الطيب**، (د.ط)، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص40، 41.

علماء ذلك العصر لا يحكمون العقل بل ينحون نحو التسليم بمن سبقهم من رجال التقليد ، ويرون الأخذ بالمنقول هو الأصح منهجا، أمّا التصوف فقد تحول إلى حركة دروشة تتبلور في التوسلات بالأضرحة والقبور ، والركون إلى الخرافات الخيالية [1]، وكانت الحياة الثقافية إذ ذاك؛ تتركز في العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد ، وكان المذهب الفقهي السائد هو المذهب المالكي ، الذي عزز بالمذهب الحنفي بلرتباط الجزائر بالدولة العثمانية [2]، وقد انحصرت حركة التعليم في الحواضر الكبرى، كتلمسان بجاية وقسنطينة ؛ في حين ظل الريف يرسف في أغلال الجهل ولم يأخذ حظه من التعليم وكانت الأمية متفشية بين سكانه [3]، ولعل ما يؤيد هذا ما سجله الوزان أثناء مروره ببلاد الجزائر عام 1515م متجها إلى الشرق؛ فقد وصف بلدة المدية بالغرب الجزائري بقوله : « لأنّ الغريب إذا مر بالمدية يكاد سكانها يحبسونه بالقوة طالبين منه بتوسل وابتهال أن يفصل في قضاياهم ويحررعقودهم ويفتيهم في نوازلهم »[4].

والواقع أنّ بداية القرن 16م اتسمت بظاهرتين؛ اهتمام القبائل في الريف بالتعليم وهجرة عدد من العلماء إلى داخل البلاد وتأسيسهم للزوايا [5]، وقد كان يحث على الهجرة علماء أجلاء أمثال أحمد البجاوي المتوفى في القرن 16م الذي دعا إلى الفرار بالنفس من الفتنة في أرض الله الواسعة؛ بعد أن سدت المسالك وغاب المعلم الناصح والصبر الجميل [6]، وقد ارتبطت حركة التعليم بالتصوف الذي أصبح ظاهرة في تلك الفترة، حيث انتشر الصوفية شرقا وغربا ينذرون بقرب الساعة ، ويطلبون النجاة من شرور زمانهم ومجتمعهم ، فساعدوا على الضعف السياسي والانحلال الاجتماعي والتخلف الفكري[7]، وهو ما يذهب إليه فرديناند برودويل إذ يقول : « إبتداءا من القرن 15م نشاهد بكل وضوح تجديدا للإسلام المغربي وتجمعا للمجتمع الإسلامي حول إكليروس الطرق»[8]، الشيء الذي ساهم في ذلك الانطواء على الذات بالنسبة لسكان المغرب، الذين لم تكن لهم القدرة على مجابهة التحرشات الإسبانية والبرتغالية، فلم يجدوا العزاء إلاّ في رجال الدّين من المتصوفة؛ الذين نشروا فكرة التوكل على الله التي لم تقتصر على إلغاء الحرية والاختيار، بل إنّ " المكتوب " كما يسمي العامة التوكل، قد نفذ في كل الأوساط المتعلمة والجاهلة على السواء؛ وكانت النتيجة لهذه القدرية

---

(1). محمد بن ميمون: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في الجزائر المحمية** تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 47، 48، 49.

(2). ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 126.

(3). العيد مسعود: "**حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة سيرتا، العدد 03، الجزائر، 1980، ص58.

(4).الوزان: **وصف إفريقيا**، ج2، ص41.

(5). العيد مسعود: **المرجع السابق**، ص 60.

(6). ابن عسكر: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، ط2، الرباط، المغرب، 1977، ص 127.

(7). صباح بعارسية: **المرجع السابق**، ص 29.

(8). Fernand Braudel : **op.cit**, p : 218.

الماحقة أن أدت إلى انحطاط الدراسة والعلوم والفنون ، وبالجملة إلى انحطاط الحضارة الإسلامية [1]، ووصل التخلف الفكري لدرجة الاعتقاد في بركة لعاب الصوفي؛ الذي بمجرد أن يبصق في فم الذي لا يعيش له خلف حتى يرزق أولادا أصحاء[2]، ويرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله أنّ التدهور الثقافي والتصوف المنحرف، قد أعانا على ظهور الأتراك، كما أنّ سياستهم قد ساعدت بعد ذلك على نشر التصوف الخرافي؛ والا نحطاط الثقافي[3]، حيث ظهرت الطرق الصوفية في الجزائر منذ بداية القرن 16م، وأخذت تنمو حتى انتشرت على نطاق واسع فيما بعد، وأهمها القادرية والشادلية [4].

وهذا لا يعني خلو القطر الجزائري في ذلك العهد من العلم والأ دب، فالثقافة التعليمية اعتمدت على ذاتيتها؛ وعلى اهتمام المجتمع الجزائري انطلاقا من الزوايا ، ونتج عن ذلك ازد ياد نشاط الطرق الصوفية [5]، وهو ما يشير اليه الوزان عندما نزل ضيفا على سفير صاحب الجزائر إذ يقول: « اذ كنت على سفر من فاس إلى تونس، ونزلت ضيفا عند السفير الذي بعث به إلى إسبانيا وعاد حاملا معه زهاء ثلاثة آلاف مخطوط عربي اشتراها من شاطبة، إحدى مدن مملكة بلنسية »[6]،كما أشار التمجروتي الذي زار الجزائر أواخر القرن 16م؛ أنّ طلبة العلم لا بأس بهم إلاّ إنّ حبّ الدنيا والافتتان بها غلب عليهم، وأن الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية خاصة كتب الأ ندلس[7]،كانت المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، مهتمة بالتعليم أكثر ماهي مهتمة بالثقافة [8]؛ إذ نلاحظ أنّ الأتراك لم يولوا الثقافة ما تستحقه من عناية و اهتمام، ولهذا غلب على عهدهم طابع الجفاف الفكري [9]؛ لهذا يمكن الحكم على القرن 16م أنه يمثل مرحلة جمود فكري وثقافي ، نتيجة استفحال الصراع الداخلي والخارجي ، والهيمنة العسكرية العثمانية وهجرة خيرة العلماء من بلد انهم خاصة من الجزائر [10]، كما أنّ الدولة التركية الجزائرية كانت أعجمية اللسان، وتوجهها العلمي كان

---

(1). ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص 409.

(2). صباح بعارسية: **المرجع السابق**، ص 30.

(3). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص185.

(4). الطاهر مختار فيلالي: **نشأة المرابطين والطرق الصوفية**، ط1، دار الفن القرافيكي، باتنة، الجزائر، 1976، ص 34.

(5). أحميدة عميراوي: **جوانب من السياسة الفرنسية**، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 31.

(6). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج2، ص39.

(7). التمجروتي: **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تقديم وتعليق: سليمان الصيد المحابي، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1988، ص 90.

(8). أحم مريوش وآخرون : **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، (د.ط)، منشورات المركز الوطني للأبحاث، مطابع دار القصبة، الجزائر، 2007، ص 11.

(9). محمد الطمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 255.

(10). محمد بن محمد المغربي: **بغية الطالبين بما تضمنته أم البراهين**، تحقيق: أحميدة عميراوي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص 28.

دينيا أكثر منه أدبيا[1]، لذلك يقول البعض أنّ النهضة الثقافية انطلقت خلال القرن 07هـ، وازدهرت في القرن 08هـ؛ ثم دخلت خلال القرن 09هـ فترة استقرار نسبي، تلاه في القرن 10هـ اتجاه نحو التقليد في كثير من المجالات الثقافية [2].

المبحث الثاني: أوضاع المغرب الأقصى.

أولا – الأوضاع السياسية :

عرفت إنعداما للاستقرار تجلّى في الاضطرابات الداخلية التي فتحت الباب للغزو الإيبيري، وانبعاث للقوى الدينية في ظل الصراع القائم على الحكم بين الوطاسيين والسعديين.

01 – التجزؤ الداخلي:

إنّ لضعف الوطاسيين وعجزهم عن صيانة الأمن والدفاع عن البلاد؛ أثر كبير في انتشار الفوضى والفتن؛ ما أدى إلى تجزئة المغرب إلى وحدات سياسية شبه مستقلة، بعضها أرهقتها ظروف جهاد العدو المحتل للسواحل المغربية، كما حصل بالنسبة لشفشاون والقصر الكبير وتطوان ، وبعضها الآخر نتيجة البعد عن مقر الهيئة الحاكمة ، كما هو الحال في شرق المغرب وجنوبه، بالإضافة إلى أنّ معظم القبائل التي كانت على السواحل الأطلسية، قد وجدت نفسها مضطرة إلى مهادنة المحتلين؛ وإعلان بعضها الدخول تحت وصاية البرتغاليين [3]، وقد اقتصرت السيطرة الوطاسية مطلع القرن 16م على جزء من البلاد يشمل منطقة فاس، سهول الأطلسي حتى نهر أم الربيع، أمّا في منطقة المضيق فقد استقل المجاهدون في مدينتي شفشاون وتطوان، اللتين أصبحتا إمارتين مستقلتين تجبيان الضرائب لحسابهما ، ولا تعترفان للوطاسيين إلاّ بسلطة اسمية. واستقلت أكثر قبائل الريف والمغرب الشرقي ، وتحرر الأطلس الأوسط، أمّا جنوبي أم الربيع فقد كان خارج نطاق السلطة الوطاسية، لذلك نميز وجود مملكتي فاس، ومراكش التي كان على رأسها أمراء هنتاتة ؛قبل دخول السعديين إليها [4]، وإلى جانب هذه الإمارات الداخلية ، هناك القبائل التي توجد على الساحل الأطلسي؛ حيث أنشأ البرتغاليون عدة مراكز وقلاع ما بين طنجة حتى أغادير، ولما كان الأهالي في المناطق الساحلية قد اعتادوا التعامل مع الأجانب في مراكز الإحتلال، ساد النفوذ البرتغالي هذه المناطق، بل إنّ البعض من هؤلاء لم يتورع عن إعلانه طاعة البرتغال، والدخول في حماية التاج البرتغالي [5]، وبذلك نستطيع القول أنّ الأوضاع السياسية مطلع القرن 16م كانت تتسم بالانقسام والتجزئة، ما ساعد على تزايد الفتن الداخلية وشجع الأعداء على التمادي في عمليات الاحتلال والتفكير في السيطرة على البلاد.

---

(1). محمد بن ميمون: **المصدر السابق**، ص 43.

(6). عبد الحميد حاجيات: "**الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي**"، مجلة الثقافة، العدد 14، الجزائر، 1987، ص 26.

(3). عبد الكريم كريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، (د.ت)، ص 16.

(4). محمود علي عامر، محمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث**، (د.ط)،الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص 26 .

(5). عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 18.

02 – الغزو الأجنبي :

زادت أطماع البرتغاليين الخارجية في شمال المغرب ؛ كتحضير للمشروع الصليبي الكبير، فقاموا باحتلال سبتة عام 1415م[1]، واستولوا على القصر الصغير عام 1458م، وفي عام 1471م استولوا على أصيلا وطنجة؛ فسيطروا بذلك على الطرف الغربي للمضيق[2]، وفي المرحلة الثانية تركز النشاط البرتغالي على الجنوب، فاستولوا على أغادير عام 1505م[3]، وآسفي 1508م، وأزمور 1513م [4]، وبنوا قلعة مزاغان عام 1514م، ولم يبق في أيدي المغاربة من الموانئ المهمة على الأطلسي سوى سلا، لذلك اكتفى البرتغاليون في سياستهم بالسيطرة على السواحل ، وكانت محاولاتهم التوسعية في الداخل عبارة عن حملات وقائية أو غارات تأديب [5]، أمّا الإسبان فقد تمكنوا من احتلال منطقة، بنوا فيها حصنا سنة 1478م أطلق عليه اسم سانتاكروز[*] على الأطلسي .

وبسقوط غرناطة 1492م وتوحيد مملكتي قشتالة وأراغون، اتفقت إسبانيا مع البرتغال بعد التوقيع على إتفاقية طورد سياس عام 1494م برعاية البابا، على اقتسام بلاد المغرب كمجال مشترك [6].

وفي عام 1497م وقعت مليلية على المتوسط تحت الاحتلال الإسباني، نتيجة ضعف الدولة الوطاسية، وفي إطار مشروع خطير لاحتلال الشمال الشاطئي كله ؛ تمكنوا أيضا من احتلال مدينة غساسة عام 1506م [7]، وحجر بادس على شاطئ المتوسط عام 1508م؛ وهو أقرب ميناء متوسطي إلى فاس [8]، ويمهد احتلال الإسبان لحجرة بادس نهاية التسابق بين البرتغال و الإسبان على التوسع في السواحل المغربية، إذ توصلا في 18 سبتمبر1509م إلى التوقيع على معاهدة سينترا (sintra)، التي وضعت حدا للنزاع بينهما على أساس اقتسام مناطق النفوذ في السواحل المغربية ، فقد أطلقت يد الإسبان في السواحل المغربية؛ الواقعة بين باديس غمارة حتى رأس بوجادور ونام عدا حصن سانتاكروز الذي احتفظ به الإسبان في سواحل بلاد المغرب الجنوبية [9]، إنّ التنافس البرتغالي الإسباني جعل معظم السواحل الشمالية والغربية خاضعة للحكم الأجنبي، ما زاد في ضعف البلاد وقوّى الفتن الداخلية.

---

(1). عبد الكريم غلاب: **قصة المواجهة بين المغرب والغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003، ص 19.

(2) . محمود علي عامر وآخرون: **المرجع السابق**، ص 22.

(3) . مارمول كاربخال: **إفريقيا**، ج2، ص 23.

(4) . الوزان: **وصف إفريقيا**، ج1، ص 150-158.

(5). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص22.

(*). **سانتاكروز**: اسم أطلق على منطقة فونتي الواقعة أسفل أغادير والمواجهة لجزر الكناري.

(6).عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 09.

(7).عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ج3، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص 433.

(8). مارمول كاربخال: **إفريقيا**، ج2، ص 231.

(9). عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 12.

03 – بروز القوى الدينية :

أمام تزايد الأخطار الخارجية في ظل الوحدات السياسية المستقلة وعجز الوطاسين، تحركت القوى الدينية بعد أن التقت التيارات الوطنية باتجاه صوفي جديد نما وترعرع ، فأقيمت مراكز المقاومة على طول السواحل المغربية الشمالية الغربية، تحت إمرة الأولياء والصالحين والأشراف والمرابطين [1]، ويبدو أنّ الوطاسيين الذين كانوا محرومين من السند القبلي حاولوا أن يعوضوا عن ذلك بإيجاد سند ديني، وذلك بتشجيع الصوفية والشريفية ، ففي الوقت الذي عجز فيه الوطاسيون عن فرض سيطرتهم على البلاد ، كانت الصوفية قد وطدت سلطتها الروحية على المغرب [2]، وقد برزت في هذه الفترة طريقتان: القادرية (*) والشاذلية (**)، وقد تفرعت عن الأخيرة الطريقة الجزولية (***)، وكان مركزها في الجنوب موطن الجزولي، وكانت تلقى في فاس دعما من الأشراف الأدارسة ، لذلك انضم إليها الكثير من الأشراف؛ حتى دعيت باسم طريقة الأشراف وقد وقفت ضد الوطاسيين [3]، كما انتشرت القوى الدينية بالمغرب في المدن ، ووسعت نطاق نشاطها ليشمل مختلف ميادين الحياة ، إذ أصبح للصوفية في هذا العصر دور ثلاثي ؛ حيث خاضوا الميدان السياسي والحربي كما كان لهم نفوذ روحي بالغ [4]، ولعبت دورا في إذكاء روح الجهاد ودرء العدوان عن دار الإسلام [5].

كما قامت بجمع المال لا فتداء الأسرى، وأنشأت الزوايا لتعليم الدين ، وتدخلت لحل الخلافات بين المتخاصمين ولفرض الأمن، ولكنها في المقابل لم توظف نشاطها لدعم السلطة المركزية في فاس، بل أخذت تنشئ إمارات مستقلة هنا وهناك، وقد أسهمت نزعتها الإستقلالية ورغبتها في توسيع نطاق نفوذها؛ في زيادة تفتيت السلطة في المغرب [6]، ويعزى

---

(1). عبد الفتاح مقلد غنيمي: **موسوعة المغرب العربي**، مج3، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1994، ص 94.

(2). محمود علي عامر : **المرجع السابق**، ص 24.

(*). **القادرية**: نسبة إلى قطب الصوفية عبد القادر الجيلاني، الذي توفي في بغداد عام 1066م، ويرجع تأسيس القادرية إلى القرن 12م، وقد انتشرت في أول أمرها بالأقطار العربية المشرقية .

(**). **الشاذلية** : نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي، أول مريد لعبد السلام بن مشيش، ولد عام 1196، وهناك من ينسب مكان ولادته إلى مدينة الشاذلية قرب جبل زغران بتونس، ومنه استمد اسمه واسم طريقته، ومنها تفرعت غالبية الطرق الصوفية الأخرى، للمزيد انظر كتاب عمارهلال : **الطرق الصوفية**، ص 101-109 .

(***). **الجزولية**: تنسب إلى الشيخ القطب محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجزولي، وينتمي هذا الشيخ إلى جزولة إحدى القبائل السملالية في بلاد السوس الأقصى، جمع تعاليم طريقته في كتاب أسماه "دلائل الخيرات"، مات الشيخ بين أعوام 1465-1470م، وقيل أنه مات مسموما، للمزيد انظر: **موسوعة الغنيمي**، مج3، ص 96.

(3). محمود علي عامر : **المرجع السابق**، ص 25.

(4). إبراهيم حركات : **المغرب عبر التاريخ**، مج2، ط2، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1978، ص 214.

(5). الغنيمي : **موسوعة المغرب العربي**، مج3، ص 98.

(6). عمار بن خروف: **العلاقات بين الجزائر والمغرب**، ص 69.

هذا إلى تفسخ السلطة المركزية التي منعت الأمراء الوطاسيين من التحكم في الحركة الجديدة ، مع أنها مستعدة للانقياد لأن طاعة أولي الأمر من المفاهيم التي أسست عليها؛ وهذا ما خدم فيما بعد مصالح السعديين [1].

04 – انهيار دولة بني وطاس وقيام دولة السعديين:

برزت في هذه الظروف الحالكة ؛ أسرة مكافحة تزعمت حركة الجهاد وأنقذت البلاد، هي الأسرة السعدية ، وتذكر المصادر أنها جاءت من ينبع من أرض الحجاز إلى المغرب؛ واستقرت بدرعة في القرن 8م [2]، وسبب ظهورها على مسرح السياسة هو ازدياد نشاط البرتغاليين، وتوسعهم في كثير من المناطق الجنوبية بالبلاد من جهة، وعجز الوطاسيين[*] عن المقاومة، ثم رغبة السكان في البحث عن قيادة جهادية ضد المحتلين من جهة أخرى [3]، فالتفتت أنظار أهل الجنوب إلى هؤلاء السعديين؛ بعد أن رفض الشيخ الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن مبارك تولي هذه المهمة، وأشار عليهم بالتوجه إلى أبي عبد الله محمد عميد الأسرة السعدية الذي قبل أن يتولاها، كما يذكر الإفراني [4]؛ حيث تمت مبايعة محمد القائم بالسوس سنة 1510م ، والذي استقر بتيدسي وهي قرية قرب تارودانت، وقد تمت توليته ب اعتراف الشيوخ والقضاة والفقهاء من المصامدة، في عهد أبي عبد الله البرتغالي الوطاسي [5].

بعد أن انتسب الأمر للأمير أبي عبد الله القائم واجتمعت كلمة القبائل السوسية عليه ، دعا السكان إلى جهاد البرتغاليين؛ وكان أول عمل قام به أن هاجم البرتغال في فونتي قرب أغادير، وقد أحرز المجاهدون نجاحا أوليا شجعهم على الالتفاف حول القائم [6]، ولكن الخلاف الذي حصل بين بعض القادة في تيدسي وبين القائم بأمر الله، دفع هذا الأخير للعودة إلى درعة، فلم يزل مقيما بها إلى أن عاد سنة 1512م إلى تيدسي؛ وطلب من أهلها أن يبايعوا ابنه الأكبر أبو العباس أحمد المعروف بالأعرج فبايعوه بالإمارة، وترك ابنه محمد المهدي بالسوس يدير شؤونها [7]، وكان ذلك حوالي 1516م حيث استقر بأفوغال قرب شيشاوة إلى أن توفي سنة 1517م [8]، وبوفاته خلفه ابنه أحمد الأعرج وتولى أخوه محمد الشيخ أمر السوس، فاستأنف النضال ضد البرتغاليين ، وكان أكبر عقبة أمام أحمد الأعرج هو حليف البرتغاليين

---

(1). عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ج3، ص 454.

(2). الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج5، (د.ط)، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب، 1955، ص 03.

(*). **الوطاسيون** فرع من بني مرين؛ غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق؛جد سلاطين بني مرين، وكانوا يرتبطون مع هؤلاء بالنسب والمصاهرة والمصلحة والخدمة، أسسوا دولتهم التي امتدت من 1471-1554م .

(3). محمد العربي الزبيري: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985، ص 19.

(4). الإفراني: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، ت:السيد هوداس، (د.ط)، مطبعة مدينة انجي، 1988، ص 10.

(5). إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 274، 275.

(6). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 34.

(7). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 12، 13.

(8). إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 275.

يحيى بن تاعفوفت، الذي نجح في إبعاد السعديين إلى الجنوب، فلجأ إلى المكر للتخلص من غريمه ؛ ونجح خلال هدنة عقدها مع البرتغاليين في الإيقاع بين هم وبين حليفهم الذي اضطر للسفر إلى لشبونة لتسوية وضعه ، ما سمح للسعديين بإعادة تنظيم صفوفهم؛ والنجاح في تدبير اغتيال ابن تاعفوفت عام 1518م[1].

كما استولى الأعرج على مراكش عام 1524م، وبمجرد أن ترامت الأنباء إلى الأمير الوطاسي أبي عبد الله البرتغالي حتى أقبل في جموع كثيرة، بمعية وزيره المسعود بن الناصر وفرض حصارا عليها [2]، اضطر إلى رفعه بعد أن تمرد عليه أولاد عمه بفاس، فغادر مراكش دون رجعة [3]، وقد بدأ جلاء البرتغال من الشواطئ المغربية منذ أواسط عهد الأعرج ، وكان خروجهم من آسفي حوالي 1526م، وقد حاول هذا الأخير بدهائه الاعتراف بالسلطة الاسمية للسلطان الوطاسي لتقوية أنصاره،إلاّ أنّ الوطاسيين لم يتقبلوا الوجود السعدي بمراكش[4]، خاصة أمام امتناع أحمد الأعرج عن إرسال ما يتوجب من المال للسلطان الوطاسي، وتنظيمه لتحالف مع مرابطي الدلاء ومع أمراء هنتاتة [5].

لذلك تحرك السلطان أحمد الوطاسي (1524-1548م) بكل ما لديه من قوة عسكرية ، بعد أن عقد الهدنة مع برتغاليي الشمال، وهاجم الأعرج سنة 1536م غير أنّ العلماء تدخلوا ليفرضوا الصلح بين الطرفين في قرية أنماي، وكتب شروطه الشيخ عبد الواحد الونشريسي[6]، وقد نصّ على تقسيم البلاد من وادي أم الربيع إلى أطراف سوف للشرفاء ومن وادي أم الربيع إلى رباط تازة للوطاسيين [7]، كان محمد الشيخ يباشر شؤون منطقة سوس كنائب في غيبة أخيه، حيث كوّن له سندا من القبائل السوسية لما كان يتصف به من ذكاء ونشاط، ولم يكن من الطبيعي أن يحكم المغرب أميران ولو كانا من أب واحد [8]، خاصة بعد أن دخل الوشاة بينهما ونشروا الدسائس، فأفضى الأمر إلى حرب حقيقية بينهما وانقسم الجند إلى فريقين، وتمكن محمد الشيخ من الانتصار على أخيه وأسره ، واجتمعت كلمة سوس عليه [9]؛ حيث خلع أبي العباس سنة 1539م وأودعه السجن، ثم أطلق سراحه بعد قبوله تقسيم المملكة بينهما وبأن يكون محمد الحران ابن أبي الشيخ ولي عهد لهما، ولكن محمد الأعرج نقض هذه المعاهدة بعد أن أصبح طليقا ومعه سائر أفراد أسرته [10].

---

(1). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 34، 35

(2). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 16.

(3). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 20.

(4). إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 276، 277.

(5). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 36.

(6). عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**،ج3، ص 447.

(7). المجهول: **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتحقيق: عبد الرحيم بنحادة، ط1، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، 1994، ص14.

(8). عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص 298.

(9). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 18.

(10). إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 277.

فتجدد الصراع و انهزم الأعرج مرة أخرى سنة 1544م، ودخل محمد الشيخ مراكش وعرض على أخيه الاستقرار مع عائلته في تافيلالت ، فتوجه للإقامة بها [1]، وقد قيل إنّ ابنه زيدان بويع في سجلماسة ولكنه لم يملك، وقد مات قبل والده [2].

وقد قام محمد الشيخ بحركة جهادية لتحرير الثغور والشواطئ من أيدي البرتغاليين، إذ تمكن عام 1541م من استرداد أغادير، التي كانت أول مركز يسقط في حرب التحرير [3]؛ وقد ترتب عن هذا النجاح أن اضطر البرتغاليون إلى إخلاء آسفي وأزمور وأصيلا ؛ حيث زال الخطر في الجنوب، يقول ال ناصري: « .. وكان منصورا بالرعب، حتى تركوا له آسفي وأزمور وأصيلا من غير قتال »[4]، فلم يحتفظوا إلاّ بسبتة وطنجة ومازاغان (البريجة) لأسباب جبائية، وفي الوقت الذي ذاع فيه صيت السعديين ؛ استفاد محمد الشيخ من الوضع الجديد، بعد أن تغلب على أخيه ودخ ل مراكش؛ التي بويع فيها بالإمامة عام 1545م، فانفتحت له الطريق لغزو شمال المملكة[5]؛ حيث استأنف السعديون نشاطهم واستولوا على قلعة قشتالة؛ مفتاح الإقليم على طريق مراكش وفاس، ونشبت المعركة مع الوطاسيين الذين يقودهم السلطان أحمد على ضفاف وادي درنة ، وكان النصر الساحق حليف محمد الشيخ الذي أسر السلطان [6] وابنه أبي بكر وكان ذلك في سبتمبر 1545م، ثم استولى على مكناسة التي افتتحها سنة 1548م، فتقدم إلى فاس وألحّ على طلبها [7]، فامتنع أهلها بقيادة السلطان أبي حسون الوطاسي ومحمد القصري ابن السلطان الأسير الذي بويع سلطانا مؤقتا واستعدوا للمقاومة . إلاّ أنّ محمد الشيخ دخل القتال وفرض عليها حصارا طويلا دامت مدته 14 شهرا، واستمر القتال إلى أن نفذت الأقوات والذخائر وفشت المجاعة [8].

وقد حاول محمد الشيخ استمالة الشيخ عبد الواحد إلى بيعته سرا، وأمام رفضه عمد إلى تدبير عملية اغتياله بواسطة أعوانه داخل فاس[9]، وبعد تشديد الخناق دخل المدينة سنة 1549م[10]، وهذا بعد استسلام السلطان الوطاسي الذي اقتيد إلى مراكش مع حاشيته، حيث دس لهم السم بعد فترة وجيزة، أمّا أبو حسون فقد غادر فاس إلى بادس في

---

(1). عمار بن خروف: **العلاقات بين الجزائر والمغرب**، ص 77.
(2). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 23.
(3). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 37.
(4). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 19.
(5). عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**،ج3، ص 457.
(6). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 38.
(7). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 28.
(8). المجهول: **المصدر السابق**، ص 16.
(9). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص22، 23.
(10). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 29.

الشمال؛ ثم اضطر إلى اللجوء إلى الإسبان في مليلة [1]، وبعد انتقامه من الوطاسيين ومن العلماء الموالين لهم، ارتحل محمد الشيخ إلى تلمسان حيث اقتحمها عام 1551م، وقد قتل ابنه محمد الحران في حصار المدينة [2].

كما تمكن من الاستيلاء على مستغانم، إلاّ أنّ النجدات التركية التي أرسلها حسن باشا بقيادة حسن قورصو سرعان ما هزمت الجيش السعدي واستردت تلمسان، في المقابل بذل أبو حسون جهودا جبارة لا ستعادة ملكه، فلتصل بنائب الملك في إسبانيا؛ ثم التجأ إلى شارلكان بألمانيا، وبفشل مساعيه لجأ إلى البرتغال الذين زودوه بستة بواخر، إلاّ أنه وقع تحت قبضة الأسطول الجزائري بعرض المتوسط [3]، وعلى الرغم من أسره إلاّ أنه نجح في التفاهم مع صالح رايس، حيث توجهت حملة تركية بصحبة أبي حسون عام 1553م نجحت في طرد محمد الشيخ من فاس [4]، وكان دخولهفاس عام 1554م، ورغم هذا النصر لم يعد للأتراك قدم في أرض المغرب الأقصى، حيث تخلص منهم أبو حسون وبقي دون نصير[5]، لأن الأتراك تصرفوا وك أنهم في بلد محتل ، إذ يقول المؤرخ المجهول : «وكانوا يفعلون ما أرادوا بالمدينة يقبضون النسوان والصبيان وينهبون ما أرادوا فضاقت الرعية من سوء فعلهم وصاروا يقتلونهم ويخبئونهم»[6].

واستغل محمد المهدي الفرصة بعودته إلى مراكش حيث استنفر القبائل وجمع الجموع، وزحف بها إلى فاس وأحرز النصر وقتل أبا حسون ودخلها عام 1554م[7]، وبذلك تم القضاء على الأسرة الوطاسية كليا، بعد أن عمد محمد المهدي إلى قتل بقايا الأسرة المالكة من أبناء أبي حسون وغيرهم [8]، كما استخدم سياسة البطش مع أنصار الوطاسيين وكان من ضحاياه الفقيه الصالح قاضي الجماعة بفاس محمد عبد الوهاب بن محمد علي الزقاق وخطيب مكناسة الزيتون الشيخ أبي حرزوز المكناسي[9]، بعدها قصد تلمسان مرة أخرى وحاصرها، فلم يستطع البايلرباي حسن قورصو التخلص منه إلاّ عن طريق الاغتيال عام 1557م [10]، وبوفاته تولى ابنه مولاي عبد الله الغالب بالله (1557-1574م) الذي انتقل من فاس إلى مراكش خوفا من أنصار الترك بها[11]، وقد نجح في إلحاق الهزيمة بالأتراك عام 1558م[12]، وبوفاة

---

(1). محمد علي عامر: **المرجع السابق**، ص 40.
(2). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 25.
(3). إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 280.
(4). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 42.
(5). العروي: **مجمل تاريخ المغرب**،ج3 ، ص 463.
(6). المجهول: **المصدر السابق**، ص 24.
(7). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 28.
(8). إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 281.
(9). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 29.
(10). العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ج3 ، ص 463.
(11). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 47.
(12). محمود علي عامر: **المرجع نفسه** ، ص 47.

الغالب عام 1574م ترك الحكم لا برهم محمد المتوكل، الذي ثار عليه أعمامه عبد الملك و أحمد اللذين كانا لاجئين عند الأتراك، فدفع بهما علج علي بجيش إلى السلطان الجديد، فلم يلق مقاومة كبيرة ودخل فاس، ونصب عبد الملك على العرش أواخر 1576م، وكاد هذا الأخير أن يلحق المغرب الأقصى بالباب العالي لولا الحملة الصليبية التي شنها البرتغاليون من جديد [1]، حيث كان محمد المتوكل قد التجأ إلى دون سباستيان ملك البرتغال لاسترداد ملكه، فوافقه شريطة التخلي عن السواحل المغربية والا حتفاظ بالمناطق الداخلية [2]، غير أنّ عبد الملك استطاع أن يكسب ولاء الحركة الجزولية التي كان لها أتباع في كل مناطق البلاد، فدعا مشايخها ومريديها إلى الجهاد؛ واستجاب جمهور المغاربة إلى النداء وتم اللقاء على ضفة وادي المخازن قرب القصر الكبير عام 1578م، وكان النصر حليف المسلمين بسبب العامل المعنوي و الحنكة العسكرية التي اكتسبها عبد الملك وهو يحارب مع الأتراك [3].

وكان من نتائج المعركة أن ضم فيليب ؛ البرتغال إلى إسبانيا لتكوين مملكة شبه جزيرة إيبيريا[4]، وعرف المغرب في أيام أحمد المنصور الذهبي (1578-1603م) عهد استقرار ورخاء وازدهار في السياسة الداخلية والخارجية، فبعد موقعة الملوك الثلاثة أصبحت للبلد شهرة في جميع الأقطار [5].

ثانيا – الأوضاع الاقتصادية :

لقد تأثّرت أوضاع المغرب الاقتصادية بحالة التجزئة والفتن الداخلية و الأخطار الخارجية فاضطربت جميع المظاهر الاقتصادية، ولم نعد نرى أثرا للنشاط التجاري المعهود مع بلدان المتوسط، وكذا مع مناطق الصحراء وغربي إفريقيا؛ كما أنّ الأعمال الزراعية التي كانت مزدهرة قد اضطربت من ضعف نشاطها وقلة منتوجاتها؛ إذ كان من العسير أن يتعهد الفلاح أرضه في جو من الفوضى والفتن، زد على ذلك استخدام الوسائل التقليدية ونفس الشيء بالنسبة للحرف والصنائع التي لم تجد الجو الملائم للتطور والا زدهار؛ وحافظت على طرق العصور الوسطى [6]، إذ يقول العروي : « تفككت هياكل الدولة، تراجعت الزراعة، انغلقت المناطق الجبلية ولكأنها تعرض نفسها للغزو » [7]؛ حيث كان المغرب يعاني كساد وضعف اقتصادي، بسبب الحصار وفرض السيادة الإسبانية و البرتغالية، ومنع تعامل الدول الأ وروبية مع دواخل البلاد [8].

---

(1). العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ج3، ص 463، 464.
(2). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 74.
(3). العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ج3 ، ص 464.
(4). عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة**، ص 309.
(5). محمد حجي: **الزاوية الدلائية**، (د.ط)، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، 1964، ص 21.
(6). عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 13.
(7). العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ج3 ، ص 423.
(8). الغنيمي: **موسوعة المغرب العربي**، مج3، ص 27.

لقد أسهم الغزو البرتغالي في تعاظم الأ زمة السياسية و الاقتصادية، حيث عمل البرتغاليون على الحصول ع لى الحبوب المغربية بشتى الوسائل : الشراء، استخلاصها على شكل ضرائب، النهب، احتكار أسعار البيع ، حيث كانوا لا يرا عون إمكانيات وظروف المغرب ، وعجز البلاد عن مواجهة الأ زمات [1]، إذ تشير المصادر البرتغالية أنه في عام 1516-1517م ضرب الجفاف السهول الأطلسية خاصة تلك المحيطة بأزمور، ورافقه نقص في الحبوب ما استدعى تزويد هذه الناحية في خريف 1516م بالقمح من الأندلس[2]، وما كان بمقدور السهول الأطلسية أن تصدّر حبوبها بعد ما نالها من ويلات، ثم إنّ الظرفية الجديدة الناجمة عن أزمة اقتصادية بدأت تلوح بوادرها في 1520-1522م، جعلت المغرب يفقد كثيرا من أهميته بالنسبة للبرتغاليين [3]، حيث تراجع الاقتصاد النشيط المفتوح داخليا وخارجيا ، وتوسع الاقتصاد المحلي الاكتفائي، وإذا كانت الفتن وانعدام الأمن قد أدت إلى تعطل التجارة الداخلية؛ وهجرة السكان وتقلص المساهمة الزراعية فإنّ الغزو البرتغالي؛ أدى إلى خنق المغرب اقتصاديا وشل حركته التجارية [4].

ويعطينا الوزان صورة عن أحوال المدن المغربية التي فقد عدد منها بريقه ، على غرار مراكش التي أصبحت شبه مهجورة، إذ يقول : « إنّ ثلثي هذه المدينة المسكينة غير مسكون والأ راضي الفارغة فيها غرست بالنخيل والكروم والأشجار، لأن السكان لا يستطيعون أن يملكوا ولو شبرا واحدا من الأ رض؛ الصالحة للفلاحة خارج الأ سوار لكثرة تعسف الأعراب، ويمكن أن نقول حقيقة أنّ هذه المدينة شاخت قبل الأوان »[5].

وعلى المستوى التجاري صدر في 29 مارس 1549م أمر ملكي من شارلكان، يمنع كل العلاقات التجارية بين موانئ الأندلس وموانئ سلا والعرائش وغيرها من الموانئ الخاضعة للحكم السعدي [6]، أمّا عن واقع حركية الموانئ، فأهمها كانت محتكرة من طرف الأ جانب في م ليلية وسبتة وطنجة والعرائش والمعمورة الجديدة وحجر بادس ، والموانئ المتبقاة محتكرة هي الأخرى من قوى سياسية جديدة، منها ماسة التي كانت خاضعة لسلطة أبي حسون السملالي، و آسفي التي كانت من نصيب السلطان السعدي والتي جعل منها ميناءا خاصا به[7]، ومثل مصب أبي الرقراق و تطوان اللذين خضعا

---

(1). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 27.

(2). برنار روز بنرجي؛ حميد التريكي: **المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16-17 م**، ترجمة: عبد الرحيم حزل، ط2، منشورات دار الأمان، الرباط، المغرب، 2010، ص 25.

(3). برنار روز بنرجي؛ حميد التريكي: **المرجع نفسه**، ص 55.

(4). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 31.

(5). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج1، ص 128.

(6). محمد رزوق: "**العلاقات المغربية الإسبانية خلال القرن 16 م (العهد السعدي الأول نموذجا)**"، مجلة الكراسات التونسية، العددان 157-158، تونس، 1991، ص07.

(7). عبد اللطيف الشادلي: **الحركة العياشية (حلقة في تاريخ المغرب في القرن 17 م)**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1982، ص 41.

لسلطة المهاجرين الأ ندلسيين، الذين اتخذوا تلك المراسي منطلقا لعمليات القرصنة ، التي لا تساعد على استمرار وجود نشاط تجاري عادي، أمّا الموانئ التي يمكن أن تستغل من طرف المغاربة فهي على ذلك أزمور و أصيلا، فالظاهر أنّ أصيلا لم تكن تستغل قط كميناء، ذلك أنها تحررت بشكل عفوي عندما غادرها البرتغال، ولم يكن للمغرب الأطلسي إلاّ ميناء أزمور وهو عرضة للهجمات البرتغالية [1].

وما ذكرناه يؤكد أنّ الاقتصاد المغربي أصبح يعيش في نظام شبه مغلق ، الأمر الذي زاد من مساوئ الحالة الداخلية للبلاد، فعمت الفتن والا ضطرابات وأصبح من الصعب إيجاد طرق آمنة لا تتعرض للسلب والنهب، ما جعل الوحدات السياسية تعيش في نظام شبه اكتفائي ، ولم يشذ عن ذلك إلاّ المدن الساحلية والقبائل المتواجدة على مقربة من مراكز الاحتلال الأجنبي، لأنها كانت تتعامل مع الأ جانب من برتغال وغيرهم [2]، وعلى الرغم من ذلك حافظت الكثير من المناطق على إمكانياتها، حيث كانت فاس أعظم مركز صناعي ؛ يتوفر على أكثر من 400 مطحنة ومصانع للأسلحة و 120 معملا للنسيج ونقابات للحرفيين [3]، وكانت مدينة تلمسان من أكثر المدن ازدهارا، فقد كان سكانها يبلغون تقريبا 80 ألف والقوافل تحط بها من مختلف أنحاء المغرب، والأسواق تعقد بها دوريا لتجارة الجلد وريش النعام والأسلحة والصمغ، مما كان يحمله السود من السينغال [4]، أما ميناء سلا أعظم موانئ المغرب ؛ فقد كان مهبط التجار المسيحيين من مختلف الجنسيات، من جنويين وبنادقة و إنجليز وهولنديين، وكان أكثرهم الجنويون الذين يروجون تجارة واسعة ويعقدون صفقات هامة [5]، وتولي أحمد المنصور الحكم اهتم بالتجارة وعني بالأنشطة الصناعية وأكرى لليهود والنصارى طواحين السكر، وأشرف على حركة تجديد المعدات الحربية [6].

ثالثا – الأوضاع الثقافية :

اتسمت الحياة الثقافية بالمغرب في مطلع القرن 16م بالتراجع الثقافي ، والجمود الفكري والا نهيار الحضاري، ويأس عامة الناس من الأمراء حيث غلب الجهل وتفشت السذاجة التي غلبت على عقول العامة [7]، نظرا للركود الذي اعتراها نتيجة الأوضاع الداخلية؛ حيث لم تذق البلاد فيها طعم السلام والراحة ، حتى كاد اليأس يستولي على النفوس [8]، فإذا

---

(1). عبد اللطيف الشادلي: **المرجع السابق**، ص 42.
(2). عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 14.
(3). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج1، ص 233.234.235.
(4). إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 247.
(5). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج1، ص208-209.
(6). جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا**، ج2، ص272.
(7). الغنيمي: **موسوعة المغرب العربي**، مج3، ص 27.
(8). عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ج1، ط2، طنجة، المغرب، 1960، ص239.

كانت فاس لا تزال تتمتع بالشهرة العلمية بفضل جامع القرويين، وتطوان قد أخذت تتبوأ المقام الرفيع ؛ باعتبار أنّ المهاجرين الأندلسيين الذين أنشأوها كانوا على مستوى عال من التقدم الفكري والحضاري، فإنّه من الصعب العثور على مراكز علمية أخرى بقلزي ما ذكرنا، اللهم إلاّ ما كان من الزوايا والرباطات التي قلّما تخلو منها منطقة، أو ناحية من بلاد المغرب، والتي لم تعدم ظهور أئمة ومشايخ اشتهروا في علوم الدين أو عرفوا بالتقشف والزهد[1].

وخير دليل على التراجع الكبير والتدهور الثقافي الخطير، ما أخبرنا به الوزان إذ يقول عن الفقر الذي كانت فيه خزانة الكتب بمراكش: « والقصر الذي كانت فيه خزانة الكتب استعمل جناح منه للدجاج وآخر للحمام و أصبحت الخزانات التي كانت توضع فيها الكتب أقفاصا لهذه الطيور»[2]، وتحدث الوزان عن مدرسة في مراكش في غاية الحسن ، وعلى الأصح مؤسسة للدراسة وسكنى للطلاب تحتوي على 30 حجرة وقاعة في الطبقة الأرضية: « وكان بالمدرسة قديما حسبما سمعت عدد كثير من الطلبة، ولكنهم اليوم لا يتجاوزون خمسة طلبة مع أستاذ جهله بالفقه فاحش، ليس له سوى معرفة سطحية غامضة بالآداب وأقل من ذلك بعلوم أخرى، أمّا الأشخاص الذين يشغلون الوظائف العامة فظهر لي ضيق أفق تفكيرهم »[3]، وكان السلاطين الوطاسيون في فاس يقترضون أموالا من إمام جامع القرويين ولا يردّونها [4]، وأثناء الحرب الأهلية بين الوطاسيين والسعديين خرّبت الكثير من البساتين الموقوفة لمدارس فاس ، ولعل هذا أحد الأسباب التي أدت إلى انخفاض القيمة الفكرية، ليس في فاس وحدها ولكن في جميع مدن إفريقيا [5]، ويذكر الناصري أنّ أبا محمد عبد الله بن عمر المضغري فقيه درعة وعالمها، قد وفد على السلطان محمد الشيخ عندما كان في السوس ، ولما عاد إلى درعة سأله فقهاؤها كيف وجدت أهل السوس؟ فقال : « وجدت فقهاؤهم على ضعيف الفتاوى وفقراءهم على عظيم الدعاوى وعامتهم على كثير المساوى »[6].

لقد انتشرت الزوايا في جميع أنحاء المغرب خلال القرن 16م، وصارت العامة تعتقد اعتقادا مطلقا في كرامات الأولياء، وكان سبب هذا الاعتقاد ناجما عن الجهل والخوف ، والملاحظ أنّ الأمية كانت متفشية والثقافة محصورة في قلة قليلة، وكان الناس يرون أنّ الظروف الصعبة التي يعيشونها من جراء الأوبئة والجفاف والمجاعات والهجمات الأجنبية عقابا من الله، فتشبثوا بالزوايا وآمنوا بكرامات الأولياء التي جاءت معبرة عن مشاغل العصر، فهذا الشيخ حسن بن عبد الله يشفي المرأة العاقر التي تأكل من طعام مسته يد هذا الوالي، و استغل الأولياء الفرصة وقوّوا مكانتهم وسخّروا العامة لخدمة

---

(1). عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 20.
(2). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج1، ص 134.
(3). الوزان: **المصدر نفسه** ، ص 132.
(4). الوزان: **المصدر نفسه**، ص 225.
(5). الوزان: **المصدر نفسه**، ص 277.
(6). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 36 .

مصالحهم، وكانت الزوايا تكرس تلك الا عتقادات وترسخها في ذهنية العامة التي تشبثت بالغيبيات ؛ محاولة الهروب من تحديات العصر؛ كما ساهمت في إبعاد المغرب عن مسايرة أوروبا [1].

كما أنّ تسرب الانحراف والشذوذ إلى بعض الحركات الصوفية، أبعدها عن أهدافها الحقيقية إلى حد أنّ الكثير من الفقهاء قاموا يحاربونها؛ للبدع التي أحدثتها خاصة في البوادي التي كانت أكثر غلوا في الجهل، أين وجد هؤلاء المدّ عون حرية مطلقة لشذوذهم، وليس معنى هذا أنّ جميع الطرق الصوفية كانت على نفس المنوال، بل إنّ هنالك حركات تميزت حقا بصدق الإ يمان وحسن النية وسلامة المقصد، ومن أشهرها الطريقتان الجزولية والزروقية ؛ حيث قام رجال الدين الأتقياء بالتصدي ومقاومة بعض المغرضين والجهلة، الذين تظاهروا بالزهد والعبادة لا ستغلال بساطة العامة وسذاجتهم تحقيقا لمآربهم الخاصة [2]، في حين يرى البعض أنّ الحركة الفكرية لم تتوقف في العهد الوطاسي ، ولكنها تراجعت في بعض الوجوه ؛ فلم ينجب المغرب في هذا العهد عددا كبيرا من العلماء الفطاحل ، كما حدث في العصر الموحدي والمريني[3]؛ وعندما خلص الأمر للسعديين بدأت الحركة الثقافية في الانتعاش من جديد حتى وفاة المنصور الذهبي؛ حيث شهدت مراكش ازدهارا لم تره منذ عهد المرابطين [4].

المبحث الثالث: أوضاع تونس

أولا – الأوضاع السياسية : تميزت بحالة من الفوضى وا للاستقرار وتوالي الأخطار الخارجية، واستفحال الصراع والنزاع على السلطة، إذ عرفت البلاد :

01 – التجزؤ الداخلي:

عرفت تونس حوادث عظيمة الأثر في القرن 16م، فالدولة الحفصية [*] شاخت بعد أن أنهكتها فتن القصور و تسلط البدو؛ ومحاولات الاحتلال الإسباني المتكررة؛ وترامي أطراف المملكة في دولة مركزية منهوكة القوى [5]، حيث لم تلبث أن خضعت بدورها للقدر العام مع وفاة السلطان أبي عمرو عثمان 1488م، إذ ثارت بونة و قابس وقفصة على خلفه أبي

---

[1]. عبد المجيد القدروي: **المغرب وأوروبا ما بين ق 15م و ق 18م**، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2012 ص 138، 141، 144.

[2]. عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 20، 21، 22.

[3]. إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 253.

[4]. عبد الكريم مغاوري: **العلاقات الثقافية بين المغرب الاقصى ومصر خلال العصر الحديث (1429–1822)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2011/2010، ص27.

[*]. **ينتسب الحفصيون** إلى أبي حفص بن عمر بن يحي الهنتاتي، وهومن خاصة ابن تومرت ويرجع نسبه إلى قبيلة هنتاتة وهي قبيلة عربية عظيمة، تلتحق بالمصامدة التي هي من اكبر قبائل المغرب الاقصى، تأسست دولتهم مع انهيار دولة الموحدين وامتدت ما بين 1229 و 1536م.

[5]. عثمان الكعاك: **محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 إلى 19 م**،(د.ط)، معهد الدراسات العربية العالية، المطبعة الكمالية، القاهرة، مصر،(د.ت)، ص 91.

زكرياء يحي الثالث؛ ولم يستطع هذا لأخير؛ ولا أحد ممن جاؤوا بعده من إعادة الأمر إلى نصابه، وفي هذه الظروف تحررت تلمسان من تبعيتها لبني حفص[1]، حيث انشطرت هذه المملكة إلى قسمين بسبب النزاعات التي نشبت بين أفراد العائلة الحاكمة، كما أعلنت بجاية إستقلالها عن تونس، ورغم عودة العلاقات إلاّ أنها أخذت طابعا شكليا، ففي العواصم المحلية بجاية وقسنطينة وعنابة ظهرت نزعة الا نفصال عن تونس، وكانت الدول الأوروبية مطلعة على الحرية المطلقة التي يتمتع بها الأمراء الولاة، لذلك لم تتردد في معاملتهم كسلاطين وفي نعتهم بالملوك [2]، حيث وصل الضعف لدرجة أنّ نفوذ الحفصيين لم يعد يتعدى مدينة تونس نفسها [3].

وفي ظل هذا الوهن الذي آلت اليه السلطنة الحفصية ، حاول الإسبان الإستيلاء على جربة وقاموا بثلاث محاولات دون أن يتمكنوا من ذلك ، حيث قام بدرونافارو باثنتين: الأولى في جويلية 1510م والثانية في أوت من العام نفسه، أمّا الثالثة فكانت عام 1520م بقيادة هوغو دومنكادا نائب ملك إسبانيا في صقيلية؛ فإنها لم تنجح رغم كثرة جيشها[4].

ولم يقتصر الأمر على التهديد الخارجي، ففي المناطق الداخلية كانت القبائل الرّحل أو شبه الرّحل؛ صاحبة الأمر والنهي حيث أقامت فيها نظاما إجتماعيا وطرق عيش عتيقة ، وانجر عن ذلك تفكك المجتمع داخل البلاد وانقسامه إلى مجموعات تتمثل في القبائل المستقلة ، مثل الهواريين وهم من أصل بربري في شمال البلاد، والكعوب في سباسب الوسط، وأولاد دباب في الجنوب وبني علي الذين كانوا يطوقون الساحل عن قرب[5].

إذ يقول ابن أبي دينار واصفا الأوضاع في بداية فترة حكم أبي محمد الحسن الحفصي (1526-1535م): « .. إنّ السلطان ساءت سيرته في الناس و اضطربت عليه البلاد وخرجت عن طاعته مدينة سوسة ، فقام صهره القليعي وقام عليه بالقيروان الشيخ عرفة »[6]، ويضيف قائلا : « وفي أيامه كانت قسنطينة في أيدي الترك ... وفي أيامه تغلبت الأعراب على جل البلاد ، وكانت الشوكة في أولاد سعيد لأ نهم استقلوا بالبلاد؛ بعد أولاد مدافع والشرخ لما انقرضوا ، فعاث أولاد سعيد في البلاد وهادنهم السلطان الحسن بـ60 ألف دينار على الوطن»[7].

---

(1). العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ج2، ص 436.

(2). يوسف بنوجيت: **قلعة بني عباس ابان القرن 16 م**، ترجمة سامية سعيد عمار، تقديم محفوظ قداش ،(د.ط) ، المؤسسة الوطرية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر،2009، ص30

(3). شوقي عطا الله الجمل: **المغرب الكبير في العصر الحديث**، ط1، مكتبة لانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1977، ص28.

(4). محمد العروسي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي**،(د.ط)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 664.

(5). محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس**، تعريب محمد الشاوش، محمد عجيبة، ط2، سراس للنشر، تونس،1985 ، ص 57.

(6). ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس ، 1286هـ ، ص 152.

(7). ابن أبي ديار: **المصدر نفسه** ، ص 153.

02 – استبداد الشابيين في القيروان:

تميز المجتمع الحفصي في آخر أيامه بانتشار الزوايا والطرق الدينية، فقد عرفت فترة السلطان الحفصي الحسن بن محمد الخامس، تنامي هذه الطرق لدرجة بروز طموحات سياسية لدى البعض منها، فقد ثارت عليه البلاد ، وكان أشهر هذه الثورات تلك التي قادتها الطريقة الشابية (*) بالقيروان، كقوة نافست الحفصيين وخرجت بالمدينة عن طاعتهم، حيث قام عليه أحد مرابطيها وهو الشيخ عرفة بن نعمون الشابي ، وبايع لرجل من لمتونة اسمه يحيى، مدعيا أنه من بني حفص جاء من المغرب؛ فصدّقه العامة وبايعوه على ذلك، وفي الحقيقة كان الأمر كله بيد الشابي [1]، حيث تمكنت قبيلة الشابيين من الاستيلاء على القيروان حوالي سنة 1537م [2]، فنهض السلطان الحسن إلى المدينة لافتكاكها من يد الشابي؛ فخرج له بأهلها وكان اللقاء بباطن القرن [3]، وبعد أشهر أعاد الحملة ضد آل الشابي ؛ متحالفا مع أحد زعماء أولاد أبي الليل يسمى عبد المالك، ثم تتابعت حملاته ولما فشل ركب البحر مستنجدا بالإسبان [4]، وقد فرّ بعد ذلك يحيى من القيروان ودخل تونس متخفيا، إلاّ أنّ أمره اكتشف فقبض عليه بالمكاض بالعاصمة، وقطع رأسه [5].

وقد ظل آل الشابي مسيطرين على القيروان ، دون أن تتمكن السلطة الحفصية من القيام بأي رد فعل ايجابي لتلك الثورة، والواقع أنّ السلطان الحفصي لا يكاد نفوذه يتجاوز رقعة صغيرة من تلك السلطنة الواسعة الأطراف [6]، ويرى البعض أنّ هذه الثورة هي التي كانت سببا في خلعه [7]، وقد حاولت الشابية أن تبسط نفوذها على كامل مناطق الوسط طيلة ما يقارب عشرين سنة [8]، ولم تتوقف الطريقة الشابية في زحفها نحو السواحل ، إلاّ بسبب وجود طرق في المدن الساحلية، نذكر منها خاصة الطريقة الغريانية التي زاحمت هذه الأخيرة في القيروان نفسها [9]، ولمّا مات الشيخ عرفة قام بالأمر من بعده ابن أخيه محمد بن أبي الطيب، ولم يزل يحارب السلطان أحمد، إلى أن استنجد سكان المدينة بدرغوث باشا والي طرابلس ليخلصهم منه، لسوء سيرته في الناس، فانتهز هذا الأخير الفرصة فاستولى على المدينة وقتل صاحبها

(*). **الحركة الشابية**: نسبة إلى أحمد بن مخلوف الشابي جد الشابية في القرن التاسع، وسمي أتباعه باسم الشابيين، لأن أصلهم من الشابة أو الصبية وهي بلدة قبالة المهدية، انظر **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** ، ص 152.

(1). ابن أبي دينار: **المصدر نفسه**، ص 152.

(2). محمد المهدي الشريف: **المرجع السابق**، ص 65.

(3). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 15.

(4). محمد العروسي: **المرجع السابق**، ص 683.

(5). ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 152.

(6). محمد العروسي: **المرجع السابق**، ص 683.

(7). العربي الزبيري: **المرجع السابق**، ص 25.

(8). محمد الهادي الشريف: **المرجع السابق**، ص 65.

(9). عبد الجليل التميمي: **الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني** (د.ط)، منشورات مركز الدراسات ، زغوان ، تونس ، 1990 ص 86.

محمد بن أبي الطيب الذي فرت أشياعه وساحت في البوادي [1]، وبذلك لم يستطع الشابيون البقاء في إمارتهم الواهنة التي تم القضاء عليها نهائيا عام 1557م[2]، إلاّ أنّ أحد أفراد الأسرة الشابية وهو الشيخ عبد الصمد انتقل مع أبيه محمد بنور إلى قسنطينة، وقوى صلاته بقبائل الشرق الجزائري :الحنانشة، الحراكتة، دريد، بني بربار، النمامشة ... وأخذ على عاتقه مهمة الانتقام لذويه بالعمل على إنهاء الوجود التركي فلمستنفر القبائل التونسية والجزائرية، حيث سيطر على الرقعة الممتدة بين السوس وبلاد الجريد وسوف ووهران ، ومنها إلى جبل ششار وتبسة وضواحي قسنطينة وعنابة وسوق أهراس والقالة ، وقد استمر في القتال طيلة 44 سنة بين 1573-1616م [3].

03 – ظهور الأخوين عروج وخير الدين :

كانت إفريقية مع بداية القرن 16م تحت حكم السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد الخامس (1494-1526م) الذي لم تكن له رغبة في اتحاد الجزائر وتونس لدرء الخطر الأجنبي، خوفا على سلطانه نتيجة ضعفه؛ وفضل الانسحاب نهائيا من البحر والتخلي عن الجهاد [4].

وفي أيامه ظهر الأخوان عروج وخير الدين ؛ وكانا يشتغلان بالقرصنة في المتوسط، وقدما في بعض المرات على الأ مير الحفصي واتفقا معه على غزو البحر [5]، حيث عقد عروج اتفاقا معه منحه السلطان بموجبه جزيرة جربة ، التي اتخذها قاعدة لأسطوله مقابل مشاركة السلطان بخمس الغنائم [6]، و بين 1504-1510م حصل عروج على سمعة عظيمة بسبب جرأته وأعماله؛ التي مكنته من نقل عدد كبير من الأ ندلسيين إلى شمال إفريقيا، وزيادة أسطوله من سفينتين إلى 12 سفينة [7]، واستمر الحال على ذلك مدة حيث استجابا الأخوان لنداء سكان الموانئ الجزائرية ؛ وافتكا مدينة الجزائر وجعلاها مقرا لعمار تهما البحرية ، فقويت بذلك شوكتهما وذاع صيتهما ، وفي تلك الأ ثناء توفي السلطان أبو عبد الله الحفصي سنة 1526م، الذي أنشأ مكتبة جامع الزيتونة المشهورة بالعبدلية ، وتولى ابنه من بعده الحسن بن أبي عبد الله وسار في أول مدته بالعدل والإحسان، ثم نكص إلى سوء السيرة فلضطربت الأحوال عن طاعته وقوى نفوذ الأعراب[8].

---

(1). ابن أبي دينار: **المصدر السابق** ، ص 152.

(2). محمد الهادي الشريف: **المرجع السابق**، ص65.

(3). علي الشابي: "**العلاقات بين الشابية والأتراك بتونس بين أواخر القرن 16م ونهاية القرن 17م**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 17-18، تونس، جانفي 1980، ص 70، 71، 72، 73.

(4). العربي الزبيري: **المرجع السابق**، ص 23.

(5). حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، ط3، دار الكتب العربية، تونس(د.ت)، ص 124.

(6). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص10.

(7). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 24.

(8). حسن حسني عبد الوهاب: **المرجع السابق**، ص 124.

04 – الصراع الحفصي على السلطة وقدوم خير الدين.

لما خلف الحسن بن محمد الخامس (1526-1535م) أباه، لم يكن أكبر إخوته وإنما وصل إلى الحكم بفضل مناورات أمه، ولأجل ذلك بدأت ولايته بحروب أهلية بين أتباعه وأنصار أشقائه انتهت بانتصاره [1]، وحالما تسلم الحكم قتل إخوته ولم ينج أحد منهم سوى الرشيد الذي فر ملتجأ إلى خير الدين[2]؛ وصادف أنّ هذا الأخير دعي من طرف السلطان سليمان القانوني لزيارة الآستانة، فحمله معه وهناك طلب من السلطان أن يأذن له؛ بغزو تونس بلسم الرشيد فوافق سليمان على ذلك ، وأمده بالمال والعتاد في أسطول يتكون من 250 سفينة، فلتحه به أولا إلى جنوب إيطاليا وجزيرة مالطة أين قام بغزوات، ثم عاد إلى السواحل التونسية وأرسى بميناء بنزرت، حيث لم يعقه من النزول أحد ووجد ترحيبا من أهاليها [3]، ولمّا أيقن الحسن الحفصي بعجزه عن صد خير الدين فضل الفرار من العاصمة هاربا بما خف حمله مستجيرا بنواجع الأعراب، ولما علم خير الدين جاء من بنزرت إلى حلق الوادي ثم تقدم إلى تونس، واستولى عليها دون مقاومة ودعا للسلطان العثماني سليمان القانوني على منابرها، ورسم اسمه على السكة وذلك صيف عام 1534م[4]، إلاّ أنّ خير الدين حدثت له اصطدامات مع الأهالي نتيجة خيبتهم، عندما أدركوا أنّه لن ينصب الرشيد على عرش السلطنة الحفصية؛ وإنّما جاء لضم تونس إلى الحضيرة العثمانية [5]، إذ يقول ابن أبي الضياف : « وثار عليه أهل ربض السويقة وبعثوا لسلطانهم الحسن الحفصي ووقعت ملحمة مات فيها كثير من الجهتين ، وركب خيرالدين بنفسه لإطفاء نار الحرب فسكّن الثائر وكفّ عسكره عن القتال ونادى في الناس بالأمان »[6]، وبعد أن أخمد الفتنة أخذ خير الدين يعمل على توطيد مركزه؛ وتحصين المدينة استعدادا لما يطرأ من أحداث، لا سيما وأنّ الحسن الحفصي لم يستسلم بعد فراره من العاصمة بل حاول استعادتها مرارا وتكرارا [7].

فقد خرج في طوائف من الأعراب متخفيا ودخل البلاد؛ واجتمع بأتباعه محاولا القضاء على خير الدين ، الذي خرج لهم فهزمهم وكثر فيهم القتل حتى استكانوا للطاعة ؛ ونجا الحسن الحفصي بفرس ولجام، فكاتب خير ال دين الأعراب في الصلح فأجابوه؛ شريطة أن يترك لهم ما حصلوا عليه من إقطاعات في عهد بني حفص فالتزم بذلك[8]، إلاّ أنّ السلطان الحفصي اتصل بأشياخ العرب من جديد فأجابوه بالثورة، وكان اللقاء بالقيروان ، فخرج إليهم خيرالدين فولوا منهزمين

---

(1). العربي الزبيري: **المرجع السابق**، ص 24.
(2). عزيز سامح الترّ: **المرجع السابق**، ص 93.
(3). محمد العروسي: **المرجع السابق**، ص 685.
(4). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 12.
(5). محمد العروسي: **المرجع السابق**، ص 686.
(6). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 12.
(7). محمد العروسي: **المرجع السابق**، ص 688.
(8). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 12.

وأثخن فيهم القتل حتى طلبوا الأمان [1]، إلاّ أنّ السلطان الحفصي خرج مستصرخا الإمبراطور الإسباني شارلكان؛ الذي كان هو الآخر يستعد للحملة، فوافق على نجدته وأبحر على رأس جيوش غفيرة دخلت تونس بعد معارك طاحنة في 18 أوت 1535م [2]، ويذكر ابن أبي الضياف أنّ من أسباب الهزيمة اختلاف المواقف مع خير الدين بين مؤيد ومعارض وخيانة الأعراب، خاصة بعد إعلان العصيان ومنع خيرالدين من دخول القصبة، فقرر الا نسحاب من تونس والعودة إلى الجزائر[3]، ومنها أبحر غازيا إلى جزر الباليار التي كانت آنذاك من ممتلكات شارل الخامس ، واستطاع أن يأسر ستة آلاف شخص عاد بهم إلى الآستانة، وهكذا عاد الحسن إلى الحكم مرة أخرى، وارتحل شارلكان تاركا حامية في حلق الوادي في 17 أوت 1535م[4]؛ بعد أن عقد معاهدة قاسية قبلها ال سلطان، بمقتضاها أصبحت مملكة بني حفص تحت الحماية الإسبانية[5]، واستبيحت المدينة للإسبان ثلاثة أيام وامتدت أيديهم لاغتيال النفوس ونهب الأموال ، ومن نجا فرّ بنفسه وأهله إلى جبل زغوان [6].

ويقول ابن أبي دينار: « في هذه الواقعة أسر الثلث ومات الثلث وهرب الثلث وسمعت من شيوخ البلد من يقول عدد كل ثلث ستون ألف والله أعلم » [7]، ما أدى إلى ازدياد سخط الأهالي الذين راحوا يستعدون للثورة، فاستغل أندري دوريا الفرصة واستولى على عدة مناطق (صفاقس، سوسة، المنستير)؛ فاندلعت ثورة سوسة الشعبية ثم تلتها ثورة القيروان، وحاول الحسن إيقاف السيل الجارف مستعينا بالحامية الإسبانية، لكنه هزم شرّ هزيمة واضطر إلى الفرار إلى حلق الوادي، ومنه إلى أوروبا طالبا النجدة من جديد، فعلم ابنه أحمد والي عنابة فخشي أن تتكرر المأساة ، فشجعه الأعيان على الدخول إلى تونس لتولي الحكم فقبل بعد تردد [8]، لذلك أقبل الحسن من نابولي بجيش من المرتزقة بقيادة القرصان لوفريدو[9]، ونادى أحمد الناس وحرضهم على الجهاد، فكان اللقاء عند خربةالكلخ (شرقي تونس) حيث اشتدّالقتال وكان النصر للمسلمين[10]، أمّا نهاية الحسن فهي السجن حيث سملت عيناه ؛ وأخذ يزور الصالحين إلى أن استقربه المقام بالقيروان، وأقام بزاوية الشيخ الجديدي مدة من الزمن إلى أن توفي[11]، وقد واجه أحمد ظروفا صعبة أهمها فراغ الخزينة من

---

(1). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 13.
(2). العربي الزبيري: **المرجع السابق**، ص 25.
(3). ابن أبي للضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 14.
(4). العربي الزبيري: **المرجع السابق**، ص 26.
(5). محمد العروسي: **المرجع السابق** ، ص 703.
(6). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 13.
(7). ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 155.
(8). العربي الزبيري: **المرجع السابق**، ص 27.
(9). محمد العروسي: **المرجع السابق**، ص 706.
(10). ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 157.
(11). ابن أبي دينار: **المصدر نفسه** ، ص 158.

المال، بالإضافة إلى الآفة القديمة وهي آفة الأعراب وما يحركون من فوضى واضطراب ، وقد تمثل ذلك في عبث أولاد سعيد[1]؛ وقد حاول مصادقة الأتراك الموجودين بالجزائر وطرابلس، وأن يهاجم الإسبان في حلق الوادي [2].

في هذه الأثناء ظهر المجاهد العثماني الكبير درغوث باشا الذي عين واليا على طرابلس 1556م، وبدأ هجوماته على الموانئ التونسية المحتلة، والذي احتل القيروان وألحق الهزيمة بالإسبان في حملتهم على جربة عام 1559م، في حين كان أحمد الحفصي يقف موقف المتفرج من الأحداث دون أن تكون له القدرة في صنعها [3]، وكانت علاقات علج علي صاحب الجزائر وأحمد الحفصي غير طيبة ؛ منذ كان علي باشا واليا على طرابلس [4]؛ فانتهز الفرصة وهاجم تونس وهزم الحفصيين في سهل باجة عام 1569م، حيث لم يجد صعوبة في احتلالها بعد أن فرّ السلطان أبو العباس أحمد لاجئا إلى الإسبان في حلق الوادي، وأخذ علج علي من أهل تونس البيعة للسلطان العثماني؛ ونصب أحد قواده رمضان واليا على تونس[5]، إلاّ أنّ أحمد الحفصي ولىّ وجهه قبلة الإسبان وعاد صحبة أسطول كبير بقيادة دون خوان أخ الامبراطور فيليب الثاني[6]، مقابل الالتزام بدفع مبلغ مالي ضخم ، ولمّا أرسى على حلق الوادي استظهر كتابا من حكومته ؛ يقضي بضرب الحماية على البلاد واقتسام المملكة والجباية، فأنكر أبو العباس ذلك ورفض وكان هذا عام 1573م، غير أنّ أخاه محمد بن الحسن قبل بالشروط وتم تنصيبه كحاكم، وأقام الإسبان خارج سور تونس قلعة عظيمة [7].

بعد الاستيلاء على تونس دون قتال فرّت الحامية التركية؛ وانسحب الحاكم العثماني إلى القيروان، مستنجدا بزملائه في طرابلس والجزائر لتكوين قوة موحدة والزحف على الإسبان، في الوقت الذي جددت فيها الدولة العثمانية أسطولها بعد هزيمة ليبانت 1571م[8]، ما جعلها تفكر جديا في تخليص مناطق المغرب الإسلامي، حيث توجهت حملة عثمانية ضمت جيوش الإيالة الجزائرية وطرابلس والمشرق بقيادة سنان باشا وعلج علي ، وافتكت على التوالي حلق الوادي وتونس عام 1574م، التي دخلت تحت نفوذ الأتراك [9]، وكان من جملة الأسرى محمد بن الحسن الحفصي الذي أرسله سنان باشا إلى الآستانة، فبقي معتقلا إلى أن قضى نحبه، وبموته انقرضت السلالة الحفصية بعد أن حكمت القطر الإفريقي ما

---

(1). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 17.
(2). محمد العروسي: **المرجع السابق**، ص 713.
(3). العربي الزبيري: **المرجع السابق**، ص 30.
(4). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 18.
(5). محمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 39.
(6). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 19.
(7). حسن حسني عبد الوهاب: **المرجع السابق**، ص 128.
(8). محمد العروسي: **المرجع السابق**، ص 729.
(9). جوليان شارل أندري: **تاريخ إفريقيا الشمالية**،ج2، ص 349.

يقرب 350 عاما[1]، وبارتباط تونس بالدولة العثمانية ، عرفت المرحلة العسكرية للباشوات (1574-1594م) وأضحت البلاد تحمي وتؤمن ظهر الدولة العلية [2].

ثانيا – الأوضاع الاقتصادية:

إنّ عدم الاستقرار السياسي الذي عرفته تونس، نتيجة كثرة الحروب والتقلص الديموغرافي؛ أدّى إلى اضطراب الإنتاج المعاشي وعودة التوتر بين المجموعات الريفية ، وبين الأرياف والمدن؛ وبين هذه المجموعات القبلية نتيجة كثرة الغنيمة [3]. ولذلك أصيبت الحياة الاقتصادية بالتدهور نتيجة عاملين: تسلط الأعراب والنظام الضريبي الظالم الذي أثقل كواهل السكان، فإذا ما توقفنا عند الزراعة نجدها بدائية لا تلبي الحاجة، فمدينة باجة الشاسعة الأطراف الواسعة الإنتاج التي كان يقال عنها: « أنّه لو كانت باجتان لفاق عدد حبات القمح حبات الرمل »؛ فقدت دورها نتيجة الضرائب الفادحة ، ومدينة القصبة التي أصبحت أراضيها غير مزروعة ، ومدينة بنزرت المشهورة بسهل ماطر ؛ أضحى مثقلا بالضرائب الجسيمة، ومدينة قرطاج هي الأخرى كانت تحت وطأة النظام الجبائي ، حتى أنّ أحدا من سكانها لا يستطيع امتلاك 10 مثاقيل، وبلغ تسلط الأعراب أن جعل سكان تونس لا يزرعون أراضيهم المجاورة لمدينتهم خوفا، حتى أنّ الحظائر الصغيرة المخصصة لزراعة الحبوب لا تغطي ما يحتاجه الفرد لنصف سنة [4]، ومدينتي المنستير والمهدية كانتا تحت رحمة الضرائب الثقيلة، وكانت الأخيرة مهددة من الأعراب لدرجة تمنع سكانها من حرث أراضيهم[5].

أمّا الصناعة إن صحّ التعبير فكان يغلب عليها الطابع الحرفي التقليدي ، حيث اقتصرت على مدن معينة كمدينة باجة؛ التي كانت تتوفر بها جميع أنواع الصنائع كالنسيج على وجه الخصوص، أمّا قبلة الحرف كانت مدينة تونس التي تضم عددا من الصناع والتجار ؛ كالعطارين وتجار الحرير والخياطين والسراجين واللبانين وغيرهم [6]، وبلغ التدهور أن خلت مدن من سكانها على غرار مدينة سوسة ، التي نزحها الأهالي بسبب جور الملوك وظلمهم ؛ ولم يبق سوى خمس الديار مسكونا فيها [7]، فضعف بذلك اقتصاد المدن وحرمت الدولة الحفصية من الموارد الخارجية ، التي كانت تحصل عليها من التجارة بعد أن فقد المتوسط مكانته التجارية، وبعد أن فقدت مؤازرة المجتمعات الحضرية الحليف الطبيعي لها

---

(1). حسن حسني عبد الوهاب: **المرجع السابق**، ص 131.

(2). رقية شارف: "**تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في اطار الدولة العثمانية (الفترة الحديثة)**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، جامعة الجزائر2، 2011 ص 138 .

(3). دلندة الأرقش: "**جدلية التجديد والتواصل في الحياة الفكرية التونسية**"، كتاب الحياة الفكرية في الولايات العربية للأستاذ عبد الجليل التميمي، ج1، منشورات مركز الدراسات، زغوان، 1990 ص 86.

(4). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج2، ص 66، 67، 68، 70، 75.

(5). الوزان: **المصدر نفسه**، ص 85، 86.

(6). الوزان: **المصدر نفسه**، ص 66، 75.

(7). الوزان: **المصدر نفسه**، ص 84.

وركيزتها الأساسية، وبذلك انحلت الدولة بسرعة بعد أن فقدت القدرة على ردع القوى الانفصالية المتمثلة في قبائل المناطق الداخلية [1].

ثالثا – الأوضاع الثقافية:

تميزت الحياة الثقافية بتونس في القرن 16م بالركود والتراجع، نتيجة الصراع الدائر بين الإسبان من جهة والأتراك من جهة أخرى، وما سبقه من صراع بين أفراد الأسرة الحفصية، ما كان له الأثر الكبير على الحياة الفكرية، فقد طمست الحروب معاهد العلم والأدب؛ وشردت العلماء والأدباء؛ فتفرقوا في الآفاق [2]، إذ أتى الاحتلال الإسباني على الأخضر واليابس حيث نتج عنه:

- القضاء على كثير من معالم المدينة الحضارية بتقويض القصور وهدم البناءات والدور وحمل الذخائر والكنوز مثل سواري جامع الزيتونة.

- حرق المخطوطات والمؤلفات المحفوظة بجامع الزيتونة وإتلافها والعبث بها، اذ اصطبغت هذه الغزوة بروح عنصرية وكراهية شديدة للمسلمين ؛ ورغبة تنصير أهالي البلاد [3]، إذ جاء في مذكرات خير الدين واصفا الآثار المترتبة عن الاحتلال الإسباني لتونس عام 1535م: « عندما اقتحمها الصليبيون ... خربوا المساجد والمدارس والمقابر ونهبوا محتويات القصور، كما قاموا بحرق آلاف المخطوطات والكتب التي كانت تزخر بها مكتبات تونس، فقضوا بذلك على شتى أنواع العلوم والفنون النادرة»[4]، حيث قام الإسبان بتهديم المدارس والمساجد والجوامع ومزقوا وأحرقوا الكتب القيمة والنادرة [5]، فقد بددوا ما كان يوجد من نفائس المخطوطات في المكتبة العبدلية التي أصبحت أثرا بعد عين، وتجددت عمليات التخريب والنهب مع كل حملة ، فبعد موقعة 1573م ودخول محمد بن الحسن إلى القصبة رفقة الإسبان، عاث الجنود في البلاد، إذ يقول ابن أبي الضياف : « وربطوا خيولهم بجامع الزيتونة واستباحوا ما به من المدارس العلمية ومن الكتب وألقوها في الطرقات يدوسها العسكر بخيولهم وهذا السبب في قلة تأليف الفحول من هذا القطر، ف إنها ضاعت شذر مذر في هذه الواقعة »[6]، وهو ما يشير إليه ابن أبي دينار بقوله : « في تلك الأيام أهين المسجد الأعظم، نهبت الكتب التي به، وديست بأرجل الكفرة معالم المدارس وتفرقت ما جمع فيها من دواوين وتبددت في الشوارع حتى قيل إنّ

---

(1). محمد الهادي الشريف: **المرجع السابق**، ص 64.

(2). أحمد بن القاضي: **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، ج1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1986، ص 204.

(3). أحمد الطويلي: **في الحضارة التونسية**،(د.ط) ، منشورات دار المعارف، سوسة، تونس،(د.ت) ، ص 07.

(4). **مذكرات خير الدين**: ص 178.

(5). عزيز سامح التر: **المرجع السابق**، ص 118

(6). ابن أبي الضياف: **الإتحاف**، ج2، ص 21.

المار شرقي الجامع – حيث النواوريين الآن– إنما يمر على الكتب المطروحة هناك »[1]، ونجم عن ذلك أيضا هجرة العلماء والأدباء والشعراء إلى المشرق والمغرب، منهم جار الله أبا عبد الله بن خروف و أبا الفتح بن عبد السلام الخروبي وهم من ألمع شعراء عصرهم، فلخر عن ذلك ضياع الثقافة التونسية وأفول نجم الآداب بتونس[2].

وبارتباط تونس بالباب العالي لم تستعد نظارتها ، لأسباب أهمها أعجمية الأ تراك الذين لم يكن لهم الحظ في تذوق الأدب العربي، وكانت اسطنبول عاصمة الخلافة تركية اللغة ؛ بعيدة عن تذوق العربية ، ما جعل الإ يالة التونسية تظل ما يقرب من قرن ونصف خالية من الحياة الأ دبية، ولم يقتصر الأ مر على هذه الناحية بل تعداه إلى الناحية الدينية، فقد حاول الأتراك نشر المذهب الحنفي في البلاد ، لذلك استقدموا عددا كبيرا من العلماء ؛ إلاّ أنّ المحاولة أخفقت لتعلق السكان بالمذهب المالكي، وضعف العلماء الأ تراك الذين قدموا مع سنان باشا، وتغلب النزعة العسكرية عليهم؛ فترتب عن ذلك إهمالهم للمراكز الدينية، على اعتبار أنها تقوم على المذهب المالكي؛ ومن ضمنها جامع الزيتونة الذي كان مركز إشعاع جاذب.

أمّا الإنتاج الثقافي فقد كانت تغلب عليه التبعية والتقليد ، وعكف الناس على المختصرات الفقهية يشرحونها ويعلقون عليها، حتى أصبحت دراسة الكتب هي الهدف وضاع العلم واختفى الاجتهاد[3]، وأشار الشيخ النيفر بأن القرن 16م امتاز بتقهقر العلم وضعف شأنه، حيث أمتحن كثير من أهل العلم بالنفي والإ بعاد[4]، ومن هؤلاء العالم محمد مغوش الذي نفاه خير الدين لخوفه منه لما ملك تونس[5]، والشيخ أحمد العيسى الذي نفي إلى طرابلس الغرب ومات بها سجينا، لذلك قلّ في هذا القرن التفنن والتخصص في العلوم ، وقلت التآليف العلمية ؛ ولم يكن فيه اعتناء بتدريس الكتب العالية بل كاد العلم ينقطع من البلاد[6].

---

(1). ابن أبي دينار: **المصدر السابق** ، ص 166.

(2). أحمد الطويلي: **المرجع السابق**، ص 20.

(3). أحمد بن القاضي: **المنتقى المقصور**،ج1، ص 205.

(4). محمد البشير النيفر: "**تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة**"، المجلة الزيتونية شهرية (10 اشهر)، ج1، مج1، تونس، سبتمبر 1936 م، ص 554.

(5). ابن أبي دينار: **المصدر السابق** ، ص 154.

(6). محمد البشير النيفر: **المرجع السابق**، ص 554.

المبحث الرابع: أوضاع لـيبيـا

أولا – الأوضاع السياسية: عرفت هي الأخرى حالة من التفكك الداخلي، والكثير من القلاقل والأخطار الخارجية التي هددت كيان البلد.

01 – الاضطراب السياسي:

لقد عا شت البلاد الليبية طيلة القرن 16م فترة من الا ضطراب السياسي، ولم تستقر السلطة السياسية فيها، فقد تعاقبت عليها أيدي الولاة وما زاد الطين بلة، هو احتلال الإسبان عام 1510م. وعلى الرغم من استيلاء العثمانيين عليها منتصف القرن 16م؛ إلاّ أنّ سلطتهم لم تمتد لكامل البلاد ، فقد اقتصر الوجود العثماني في بدايته على المدن الساحلية، وكانت باقي البلاد مسرحا للكثير من الثورات والفتن [1]، كانت جميع البلاد الطرابلسية والمشايخ والحفارة وبني الوليد ومصراتة؛ مستقلون بجهاتهم تمام الاستقلال، لا يؤدون للسلطة المركزية ما وجب عليهم من ضرائب [2]، فعرفت طرابلس الغرب أواخر القرن فترة من الا ضطرابات المتواصلة، بسبب ازدياد الروح العدائية لدى العرب؛ وانتشار الفوضى في أوساط الإ نكشارية التي أصبحت مثارا للقلاقل، حيث تغلّ ب الحقد على الحكومة حتى أنّ الوالي الجديد الموفد من القسطنطينية؛ لم يعد يتمتع بأي امتياز ، ونقم سكان الدواخل بسبب ظلم الأ تراك [3]، وجورهم واستبدادهم في جمع الضرائب؛ فكثرت الانقضاضات واندلعت الثورات وأصبحت البلاد في حالة من الهيجان .

ولعل أشهر هذه الثورات التي وقعت ضد الأ تراك، ثورة أهل غريان بقيادة حجاج عام 1575م، ضد الوالي جعفر باشا؛ الذي لجأ بأسلوبه الضرائبي إلى ابتزاز الأموال، فعمّ ت الثورة مختلف المدن ؛ حيث لحقت مدينة طرابلس واتحدت قبائل بني الوليد مع يفرن ؛ وقررت عدم دفع الضرائب [4]، وثورة يحي بن يحي السرويدي (*) سنة 1587م أحد زعماء تاجوراء، الذي وعدهم بإنقاذهم من ظلم الأ تراك، فالتفت إليه الناس بعدما أهب حماسهم، و التقى الطرفان بمسلاتة فدارت الدائرة على الأتراك الذين فرّوا منهزمين إلى قلعة طرابلس، فاستقطب هذا الانتصار أهل غريان، بني الوليد، ترهونة وزواوة ومصراتة وغيرهم فانضموا إليه، وما إن علم السلطان العثماني بالحدث ؛ حتى سارع إلى تنحية الوالي مصطفى باشا وتولية حسين باشا بدلا منه سنة 1588م، الذي باشر فور وصوله إلى الاتفاق مع زعيم قبيلة المحاميد بن نويرة الذي

---

(1). علي محمد إبراهيم أبوراس: "**لمحات عن الحياة الثقافية في ليبيا خلال القرنين9هـ و10هـ**"، من كتاب **أعمال ندوة التواصل الثقافي** لعبد الحميد عبد الله الهرامة،(د.ط) ، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا،2005، ص 585.

(2). عمر محمد الباروني: **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**،(د.ط)، مطبعة ماجي، طرابلس، ليبيا، 1952، ص 14.

(3). إتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911**، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التيسي، ط2، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1991، ص 238.

(4). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 179.

(*). **يحيى بن يحيى بن غلبون**: رجل علم وورع قدم من المغرب، فوضع نفسه على رأس الثورة التي اندلعت 1587-1588م، ويقال أنه قدم على تاجوراء وزعم أنه المهدي، وأعلن نفسه ملكا على سكان المنطقة، انظر إتوري ، ص 239.

استطاع عن طريق التحايل والخداع الإيقاع بيحيى السويدي وطعنه، ثم حمل رأسه إلى الآستانة [1]؛ وكادت هذه الثورة أن تقضي على النفوذ العثماني، ولم يوطد العثمانيون حكمهم في المناطق الداخلية إلاّ بعد القضاء على مقاومة الأهالي [2].

02 – الاحتلال الإسباني:

بعد سقوط غرناطة آخر حصن عربي إسلامي 1492م، استمر الإسبان في ملاحقة المسلمين ؛ فوضعوا خطة للاستيلاء على وهران وبجاية وطرابلس، بدأوا في تنفيذها في شهر سبتمبر 1505م بقيادة دييجو القرطبي، فقد تمّ الاستيلاء على المرسى الكبير ووهران ؛ وشجعت هذه الانتصارات الملك فرديناند على إرسال بدرونافارو، الذي تمكن من احتلال بجاية في يناير 1510م[3]، وما إن أتم احتلاله لها حتى غادرها متوجها إلى طرابلس الغرب على رأس قوة مؤلفة من 8 آلاف رجل، انضم إليها عدد من المقاتلين والمرشدين؛ الذين لهم دراية بطرابلس وسواحلها من مالطا وصقلية [4].

ووصل الأسطول شواطئ المدينة ليلة 25 جويلية 1510م، فكان لعامل المباغتة الأ ثر الكبير في تحقيق النصر من الجانب المسيحي[5]، واستمات السكان في الدفاع إلاّ أنّ القصف الشديد أجبر الأهالي على تسليم مدينتهم إلى الكونت بدرونافارو، الذي توجه إلى السراي حيث يقيم الشيخ عبد الله عاهل طرابلس، فأمر باعتقاله مع زوجته وأولاده وعدد من أعوانه[6]، ووضع الإسبان أيديهم على ثروات المدينة [7]، لقد أدرك بدرونافارو أنّ بقاءه في طرابلس مستحيل ؛ ما لم تخضع جزيرة جربة له، لهذا جهز قواته واتجه إليها بعدما أناب مكانه دييجو دي فيرا وزوده بحامية من 03 آلاف مقاتل. وفي 28 أوت بلغ الجزيرة؛ إلاّ أنه اصطدم بمقاومة عنيفة أفقدته مؤنه وذخيرته وخيرة قادته، فاضطر إلى الإنسحاب بعد أن تكبد خسائر مادية وبشريه فادحة [8].

أمّا الوضع الداخلي بالمدينة فبعد الاحتلال الصليبي والجرائم التي اقترفت مع سكانها؛ جعلها تخلو تماما من سكانها العرب، ويذكر صاحب المنهل : « أنه لم ينج من أهلها إلاّ من تسور ليلا وانحاز المسلمون إلى تاجوراء وجبال غريان ومسلاتة»[9]، منحت هزيمة جربة أهالي طرابلس متنفسا جديدا دفعهم إلى تجديد المقاومة، حيث اتخذ المجاهدون من

---

(1). شارل فيرو: **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي**، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قارس يونس، بنغازي، ليبيا، 1994، ص 132.

(2). علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 586.

(3). شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص 73.

(4). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 149.

(5). مجموعة باحثين: **معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا**، ط1،الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، 2008، ص 93.

(6). شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص 76.

(7). شارل فيرو: **المرجع نفسه** ، ص 77.

(8). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 151.

(9). أحمد النائب الأنصاري:**المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**،(د.ط)، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، ليبيا، (د.ت)، ص 185.

تاجوراء مركزا لهم؛ فشنوا هجوما على القلعة 1511م وكادت أن تسقط المدينة بأيديهم، لولا المساعدة التي قدمها نافارو للمحاصرين وقائدهم دييجو[1].

لقد سعى المحتلون إلى تعمير المدينة بالمسيحيين بناءا على توجيه الملك فرديناند ، إذ وزع منشورا كتابيا بتاريخ 06 اكتوبر 1511م، حفز فيه نائب الملك في صقلية هوجودي دي مونكادا الراغبين في السفر إلى طرابلس، بمنحهم الأ راضي الزراعية وإعفائهم من الضرائب لمدة 10 أعوام وتبرئتهم من التهم ا لجنائية والمدنية[2]، ولتزويد عدد المسيحيين بطرابلس كثر عدد اللاجئين الفارين من المدينة؛ إلى تاجوراء وازدادوا إصرارا على المقاومة، وخلال الأربع سنوات لوجود الإسبان في طرابلس، وتجنبا من زيادة الخسائر المادية والبشرية ؛ عهد الملك الإسباني إلى إلحاقها بمملكة صقلية، بحجة قربها منها وغدت مباشرة مرتبطة بحكومة نائب الملك المقيم في صقلية[3].

في هذه الأثناء حدثت متغيرات جديدة على الساحة بظهور الإ خوة بربروس في سماء المتوسط ، بعد الانتصارات التي حققوها؛ ما شجع المجاهدين بتاجوراء على الاستنجاد بهم لمساعدتهم في طرد القوات الغازية من طرابلس، وربما يكون خير الدين من أوحى إليهم بإرسال وفد إلى السلطان العثماني للسماح له بمساعدتهم لطرد المحتلين [4]، حيث غادر الوفد تاجوراء مستنجدا بالخلافة الإسلامية عام 1520م[5]؛ التي اتجهت إ ليها أنظار المجاهدين الليبيين، وقد تضاربت الآراء واختلفت المصادر حول قصة الوفد ، فالبعض أنكرها واعتبروا وضع طرابلس من ضمن الإستراتيجية العثمانية لتحرير الشعوب من الظلم الأجنبي[6]، وقد قابل ذلك الوفد السلطان العثماني سليمان ا لقانوني؛ وشرحوا له ما حل ببلادهم فوافق على نجدتهم[7].

03 – طرابلس وفرسان القديس يوحنا:

---

(1). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 95.

(2). إتوري روسي: **المرجع السابق**، ص 184.

(3). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 152.

(4). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 96.

(5). أحمد النائب: **المنهل العذب**، ص 186.

(6). ن . إ . بروتسين: **تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف ق 16 م حتى مطلع ق 20 م**، ترجمة: عماد حاتم، ط2، مركز دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2001، ص 27.

(7). أحمد النائب: **المنهل العذب**، ص 188.

أصبحت طرابلس تشكل معضلة سياسية و اقتصادية للملك شارلكان ، خاصة بعد استفحال الصراع بين الساسة الأوروبيين؛ وانشغاله بما عرف بالحروب الإيطالية، واكتشاف العالم الجديد؛ وعدم إمكانية القضاء على المقاومة بتاجوراء. لذلك أراد التخلص منها بطريقة تليق به كملك[1]، ووجد فرصته عندما طلب منه البابا كلمنت السابع راعي هيئة فرسان القديس يوحنا (*) بإيطاليا، ورئيس المنظمة الأب فيليب فلييه أن يقتطع للمنظمة جزيرة مالطا؛ لتكون مركزا لشن الغارات على البلاد الإسلامية، فقبل شارل الخامس على الطلب شرط أن تتعهد المنظمة بالدفاع عن قصر ومدينة طرابلس[2].

وقد وقّع الملك وثيقة التنازل عنها في قلعة فرانكو بتاريخ 23 مارس 1530م [3]، وجعل المرشد الأكبر من مالطا مركزا لهذه المنظمة؛ ومن ثَم أصبح يطلق عليهم اسم فرسان مالطا، وعيّن من طرفه غاسبار دي سانجيس الذي تولى مقاليد الحكم بطرابلس كأول حاكم لتلك المنظمة بها، وتخلص الملك من معضلة كانت ترهقه ماليا وسياسيا ومعنويا طيلة 20 سنة، وقد اعتبر المؤرخ فيرو أنّ التخلي عن المدينة يعدّ هدية مسممة قدمت للديانة النصرانية [4]، بدأ الفرسان تنظيم دفاعاتهم ومحاولة الهجوم على الضواحي كتاجوراء، جرزور، وسرعان ما خضعت الأخيرة للمنظمة خوفا على مصالحها التجارية، واستمرت الحرب مع تاجوراء خاصة عندما وصلها القائد خير الدين كرمان (الملقب بمطارد الشيطان)، كموفد من جانب خير الدين لتنظيم دفاعات المجاهدين، لقد دخل في هذا الصراع إلى جانب الفرسان باي تونس مولاي الحسن حليف الإسبان، الذي عقد معهم معاهدة حسن الجوار؛ خاصة بعد استقرار خير الدين بربروس بالجزائر ، وإرساله قائده خير الدين كرمان إلى تاجوراء واستيلائه على سفينتين حربيتين تابعتان لمنظمة الفرسان[5]، ومما زاد في خوفه أن يطمع الأخير في احتلال تونس إذا ما سيطر على طرابلس، لذلك قرر الحسن الحفصي م هاجمة تاجوراء في شهر جانفي 1532م، حيث حاصرها ولم يتمكن من فتحها بالرغم من المساعدات التي وصلته من فرسان القديس ، ولم ينفك حصاره إلاّ بعد أن احتل خير الدين بربروس مدينة صفاقس في شهر أفريل من العام نفسه، فذهب لملاقاته فانكسرت حملته [6].

لذلك أيقن الفرسان أنّ مواجهتهم لن تقتصر على أهالي البلاد ، بل عليهم مواجهة العثمانيين الذين يعملون على تعميق تواجدهم على الساحة الإفريقية، وبوفاة المرشد الأكبر لسلي آدم غدا موقفهم صعبا ، وجاءت سيطرة خير الدين على

---

(1). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 98.

(*). **كان فرسان القديس يوحنا** في بادئ الأمر عبارة عن منظمة خيرية في القدس تساعد الحجاج المسيحيين، إلا أنها تحولت أثناء الحرب الصليبية إلى منظمة عسكرية تهتم بمعالجة الجرحى أثناء الحروب وعندما فتح صلاح الدين القدس طردهم منها، فلجأوا إلى عكا، ثم أخرجوا منها عام 1291م من طرف المماليك فنزحوا إلى رودس وكونوا لها مملكة مسيحية تحت رعاية البابا، ثم طردهم سليمان القانوني بعد استيلائه على الجزيرة عام 1522 م.

(2). عمر الباروني: **المرجع السابق**، ص 79.

(3). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 98.

(4). شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص 87، 88

(5). شارل فيرو: **المرجع نفسه**، ص 87.

(6). ابن غلبون:**التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الزاوي، ط1، دار الكتب بنغازي، ليبيا، 2002، ص 153.

تونس عام 1534م؛ لتزيد الأمر تعقيدا مما اضطر قادتهم إلى اللجوء إلى مرشدهم يستصرخونه طالبين المساعدة منه، ومن الملك شارل الخامس ونائبه في صقلية والبابا في روما، لترميم القلعة ومحاولة دفع الهجمات المتكررة من قبل المجاهدين بتاجوراء[1]، وازدادت المخاوف مع استدعاء خير الدين بربروس إلى الآستانة عام 1534م، الذي أسندت إليه مهمة قيادة الأسطول العثماني [2].

04 – العثمانيون في طرابلس :

لما كانت طرابلس من أولويات الإستراتيجية العثمانية لفرض السيطرة على المتوسط ؛ استجاب السلطان العثماني للوفد التاجوري، وعجل بتحقيق ذلك وكلف معه مراد آغا؛ الذي نزل بتاجوراء مع مجموعة من الأتراك، وأخذ على عاتقه تنظيم المقاومة، ثم حاصر طرابلس ولم يتيسر له فتحها [3]، فطلب المدد من الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا ودرغوث باشا؛ حيث وضعت خطة مزدوجة برية وبحرية للهجوم على القلعة [4]، وظهر الأسطول أمام مالطا في 18 جويلية 1551م، ثم رسى أمام طرابلس ونزل سنان باشا على تاجوراء حيث يقيم مراد آغا ؛ الذي بعثه رسولا يحمل علما أبيض ومعه رسالة إلى الفرسان؛ طالبمنهم تسليم المدينة مقابل ضمان حياتهم وأموالهم، وكان الرد بعدم التسليم والإصرار على المقاومة، فصدرت الأوامر إلى الجيش التركي بالهجوم يوم 09 أوت 1551م؛ وأطلقت نيران المدافع على السور والأبراج وقصر الحكومة[5]، فعمّت الفوضى وطالب جند الفرسان من حاكم المدينة فاليير التفاوض مع القائد العثماني ، للمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم وعدم استرقاقهم، مقابل إجلاء المدينة والخروج منها إلى مالطا، إلاّ أنّ سنان باشا اشترط عليهم دفع الخسارة الحربية؛ وهو ما رفضه فاليير الذي تمّ احتجازه في خضم المفاوضات، فاضطر الجنود إلى الاستسلام وفتحوا الأبواب بعد أن أعطاهم الأمان، وقد تمكن المجاهدون والقوات العثمانية من دخول القلعة يوم 16 أوت 1551م[6].

وأصبح مراد آغا أول وال عثماني على طرابلس يعين من طرف سنان باشا مدى الحياة ، وقد قام بالعديد من الإصلاحات حيث شجع الزراعة والصناعة؛ وأنشأ البساتين واستثمرت الأرض في عهده الذي عادت فيه الحياة إلى البلاد [7].

تحسرت المنظمة عن ضياع طرابلس ، وسعت في محاولات متكررة لا ستعادتها؛ فقامت بحملة في 08 أوت 1552م ضد مدينة زواوة بهدف الحصول على موطئ قدم يعوضها عن طرابلس ، وكذلك حملة (1559-1560م) بأمر من

---

(1). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 99.

(2). الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ط4، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 295.

(3). أحمد النائب: **المنهل العذب**، ص 188.

(4). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 100.

(5). الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** ، ص 302، 303.

(6). ابن غلبون: **المصدر السابق**، ص 161، 162.

(7). الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** ، ص 305.

الملك فيليب الثاني والتي شاركت فيها الدول الأوروبية مجتمعة تحت قيادة جيوفاني دي كاردونا، وكذا حملة 1589م وكان مآلها كلها الفشل [1]، وقد نال مراد آغا شهرة عظيمة بانتصاره على الفرسان، حيث عمد إلى إنشاء الحصون واهتم بالطرق وفتح الآبار، ولاحق اللصوص وقطاع الطرق وظلّ في إمارته إلى غاية وفاته [2]، وبمرسوم من السلطان العثماني حكم درغوث باشا طرابلس في مارس 1553م [3]، فعمل على إخضاع المناطق التابعة لطرابلس كبنغازي وفزان، كما حاول فرض سيادته على الجنوب التونسي لتأمين حدوده الغربية [4]، ففي 20 ديسمبر 1556م دخل قفصة واحتل في نفس العام جزيرة جربة، وسقطت سوسة وصفاقس والمنستير والمهدية في أيدي الأتراك، وفي سنة 1558م دخلت جيوش درغوث القيروان[5]، وقد تطلبت هذه الأعمال أموالا طائلة جعلته بفرض ضرائب فادحة على الأهالي، ألّبت البدو الذين كانوا في حالة تمرد دائم، على غرار أولاد سليمان في الشرق والمحاميد في الغرب وزعماء الجبل وغيرهم [6]، ويعتبر أول من وضع النواة الأولى للأسطول الطرابلسي المتكون من 36 قطعة حربية [7]، كما شارك القوات العثمانية في حصار مالطا أفريل 1565م، إلاّ أنّ متانة حصونها وقوة أسوارها ومقاتليها أفشلت الهجوم، واستمر الحصار ثلاثة اشهر وكان ممن استشهد درغوث باشا الذي بكاه الليبيون، حيث نقلوا جثمانه إلى ليبيا ودفن في مسجده في 24 جوان 1565م [8]. فأرسل السلطان واليا على طرابلس يدعى يحي، الذي لم يحفظ التاريخ عنه سوى تاريخ وفاته عام 1566م [9]، وفي هذه الفترة تولى حكم طرابلس ولا ة ضعاف؛ فاضطرب أمر البلاد وكثر القتل في الرعية [10]؛ فالولاة الذين خلفوا درغوث في إدارة ليبيا لم يكونوا على مستوى المسؤولية، فخلقوا الفوضى والمحسوبية؛ وأسهموا في اتساع دائرة القلاقل وتعميق الصراع بين الجند، فكثر السكان الانطواء تاركين إدارة شؤون بلادهم [11]، فأصبح الإنكشارية يطمعون في السلطة لجمع الثروة لصالحهم، وأصبح الولاة الوافدين من الآ ستانة يحكمون اسميا خلال الفترة 1595-1612م وغيبوا تماما عن السلطة الفعلية، الأمر الذي جعل الأهالي يتذمرون من الأوضاع، ويتبنون أي فكرة للقيام بالثورة على الوضع القائم [1].

---

(1). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 100.
(2). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 169.
(3). ابن غلبون: **المصدر السابق**، ص 164.
(4). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 100.
(5). ن. إ . بروشين: **المرجع السابق**، ص 28، 29.
(6). إتوري روسي: **المرجع السابق**، ص 228.
(7). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 101.
(8). محمود علي عامر: **المرجع السابق**، ص 174.
(9). شارل فيرو: **المرجع السابق**، 127.
(10). ابن غلبون:**المصدر السابق**، ص 175.
(11). محمود علي عامر:**المرجع السابق**، ص 176.
(1). مجموعة باحثين: **المرجع السابق**، ص 101.

ثانيا – الأوضاع الاقتصادية:

لقد عاشت طرابلس حياة اقتصادية مضطربة شأنها شأن الحياة السياسية ، والمصادر لا تعطينا صورة كافية عن هذه الوضع في الدواخل، بل تقتصر على مدينة طرابلس بالدرجة الأ ولى، التي يذكر المؤرخون أنها شهدت رخاءا اقتصاديا منذ أن تولاها عبد الواحد بن حفص (1440م- 833هـ) إلى أن احتلها الإسبان عام (1510م- 916هـ)، وأمكنها في ذلك الوقت أن تجمع ثروات هائلة، كانت مضرب المثل في الشمال الإفريقي [1]، وقد ذكر الرحّالة الهولندي مارمول الذي زار طرابلس في أوائل القرن 16م؛ أن المدينة كانت تتمتع بشيء من الرخاء و الاستقرار وتتوفر فيها أسباب الحياة المدنية، وقال أنّ التجارة وصناعة النسيج في طرابلس نشطة نامية جدا، وأن الطرابلسيين يعرفون 150 طريقة في صناعة المنسوجات الحريرية[2]، وقد عزا الوزان ذلك إلى قرب المدينة من نوميديا ومن تونس ومالطا وصقلية [3]، في تلك الفترة ازدهرت حركة التبادل التجاري بين طرابلس ودويلات أوروبا كفلورنسا وجنوة والبندقية، إذ كانت تصدّ ر الزيت والملح وبعض المنتوجات الأخرى، وتستورد الذهب والسفن والخشب والمنسوجات الحريرية [4]، غير أنّ هذا الازدهار كان مقتصرا على طرابلس وبعض المدن الساحلية كمصراتة وزلي تن [5]، أمّا الدواخل فلا تسعفنا المصادر بمعلومات كافية عنها ، حيث كان النشاط الاقتصادي فيها زراعيا رعويا موسميا يعتمد على سقوط الأ مطار فقط، فالبلاد خالية من الأ نهار والعيون إضافة إلى أنّ بعض المناطق؛ ترتبط بحركة تجارية مع منطقة غرب إفريقيا مثل مدينة غدامس [6].

ولم يدم الا زدهار طويلا فقد انتهى بـالاحتلال الإسباني، الذي كان عهدهم عهد استبداد وظلم، حيث شغلتهم جباية الأ موال وفرض الضرائب عن القيام بأي إصلاح بالبلاد، وشغل الناس بأمرهم عن متابعة نشاطهم في الزراعة والصناعة، فعمّ الخراب والفقر [7]؛ وقام الإسبان بإجراءات هدفها القضاء على النشاط التجاري؛ وضمان الاحتكارات التجارية لصالحهم، حتى تجار البندقية تضرروا نتيجة الضريبة الباهظة على بضائعهم ، فقدموا شكوى إلى شارلكان عام 1518م [1]، كما احتكروا سوق طرابلس وفرضوا ضرائب فادحة بلغت 50% على التجارة الواردة من البحر ، وفي المقابل أعفي التجار الإسبان [2]، فضلا أنّ الثوار قد عزلوا المدينة وكانوا يمنعون أي حركة منتظمة تتجاوز أسوارها ويعيقون

---

(1). الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** ، ص 277.
(2). عمر محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص 20، 21.
(3). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج2، ص 98.
(4). علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 586.
(5). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج2، ص 129، 132.
(6). علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 587.
(7). الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** ، ص 289.
(1). إتوري روسي: **المرجع السابق**، ص 182، 183.
(2). عمر محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص 64.

اتصالها بالدواخل ، فانتعشت حركة تجارية في الموانئ الصغيرة المتناثرة على الساحل الطرابلسي ؛ البعيدة عن السيطرة الإسبانية، حيث تحولت مراكب البنادقة إلى الرسو برأس مصراتة شرقي طرابلس؛ للمتاجرة مع الأهالي، لذلك أسهمت هذه الاجراءات التعسفية في انهيار الوضع التجاري ، التي قللت من عدد السفن المترددة على ميناء طرابلس [1]، ففقدت هذه الأخيرة شهرتها القديمة واستفحلت الأزمة الإقتصادية إلى جانب ضياع النفوذ السياسي[2].

استمرت طرابلس على هذه الحالة طيلة الحكم الإسباني وفرسان القديس يوحنا، وبعد استيلاء الأتراك على طرابلس عمد مراد آغا على تعميرها ؛ وجلب لها كثيرا من سكان تاجوراء والمهاجرين الإسبان؛ وشجع الناس على الزراعة والصناعة، وقد استردت البلاد في عهده كثيرا مما فقدته أ يام الإسبان وفرسان القديس يوحنا، غير أنّ الولاة الذين خلفوه في الحكم أرهقوا كاهل السكان بالضرائب الفادحة [3]، وهذا من شأنه الإخلال بالأمن والإضرار بالنشاط الاقتصادي.

ثالثا – الأوضاع الثقافية:

انعكست الأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت تثيرها الخلافات بين الحكام وبعض النزعات المذهبية على الحياة الثقافية، وقد اقترن هذا بتوالي الفتن على طرابلس، حتى أنّ الحروب المتواصلة كان لها أسوأ الأ ثر على تأخر الثقافة العربية [4]، إذ يذكر الوزان أنّ مدينة طرابلس كان بها في القديم عدّ ة جوامع وبعض المدارس، إلاّ أنها تعرضت للخراب إثر الاحتلال الإسباني[5] عام 1510م، حيث يقول صاحب التذكار أنّ الإسبان لم يقوموا بأي إصلاح في البلاد، بل فسحوا الطريق للخراب يعبث بجميع أنواع النشاط المادي والأدبي [6]، وفي العهد العثماني لم تسطر أي سياسة لإحداث تغييرات في النظام الداخلي للبلاد، حيث لم يحظ الجانب الثقافي والعلمي بالعناية ، لذلك لم تعرف طرابلس تطورا ونشاطا فكريا مزدهرا في هذه الفترة [7]، ويعزى ذلك إلى كون حكّام هذه المرحلة الذين تولوا أمر الدولة ؛ بعد انفصالها عن السلطنة الحفصية عام 1460م؛ من التجار المسرفين الجهلة ، كما أنّ رجال النظام العثماني كانوا بعيدين عن الثقافة العربية وعن تاريخ الحضارة الإسلامية [1]، في القرن 16م الذي يمثل عصر انقلاب عظيم ، نضج تعليم الزوايا، حيث تحولت الرباطات المنتشرة على طول الساحل الليبي إلى زوايا في القرن 15م وما بعده ، علاوة على ظهور زوايا أخرى

---

(1). إتوري روسي: **المرجع السابق**، ص 183.

(2). عمر محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص 15.

(3). علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص587.

(4). الطاهر أحمد الزاوي: **تاريخ الفتح العربي في ليبيا** ، ص 283.

(5). الوزان: **وصف إفريقيا**، ج2، ص 98، 101.

(6). ابن غلبون: **المصدر السابق**، ص 145.

(7). ليلى غويني: **التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر02، 2010-2011، ص 117.

(1). احميدة عميراوي: **مواقف نضالية وإصلاحية**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص24، 25.

شيدها الفقهاء والصالحين، من بينها زاوية محمد الحطاب بتاجوراء؛ وزاوية أحمد زروق بمصراتة؛ وزاوية عبد الله الدوكالي في مسلاتة، وزاوية محمد بن علي الخروبي في طرابلس [1]، بالإضافة إلى الزاوية الأسمرية التي أسسها الشيخ عبد السلام الأسمر بمدينة زليتن مسقط رأسه عام (1496م- 900هـ)، التي واصل منها نشاطه الصوفي الروحي والتعليمي والعلمي ، إلى أن أدركته المنية عن عمر يناهز المائة عام [2]، فهو الذي أرسى أركان ودعائم الطريقة العروسية المتفرعة من الطريقة الشادلية في ليبيا، حيث وجدت تربة خصبة ساعدت على نموها وازدهارها في مختلف الأ قاليم؛ فكان لها تأثيرها القوي على الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية [3].

وقد كان شيوخ الطرق يدعون إلى الابتعاد عن ملذات الحياة الدنيا، والعمل في حرية بالعبودية؛ والابتعاد عن ممارسة الصنائع والإبداع العلمي والمعارف العقلية، فيكون بذلك الفكر الروحي قد أسهم في إسكان الواقع بميله إلى الغيبيات والتسليم بالقضاء والقدر [4]، كما ترتب عن انتشار الزوايا والأ ضرحة وتقديس المرابطين، آثار سلبية وخيمة على الحياة الثقافية والبحث العلمي، أولها تبسيط المعرفة وثانيها غلق باب الاجتهاد، ذلك أنّ نقل التعليم إلى الزوايا أدّى إلى الإكتفاء بالحد ا لأدنى الضيق بطريقة ريفية جافة [5]، وعلى الرغم من ذلك يرى الكعاك أنّ إشعاع طرابلس الثقافي هو إشعاع مغربي صرف، سواء كان ذلك امتدادا أو اقتباسا، وأن هذه الأخيرة لم تكن العاصمة الثقافية الوحيدة، فقد كانت إلى جانبها مصراتة وأجدابية ومدينة درنة، التي يوجد بها أجمل جامع أندلسي [6]، كما عرفت مدينة زليتن حركة علمية فكرية روحية عميقة، بإسهامات كبار المتصوفةالذين أقاموا بها على غرار عبد السلام الأسمر [7].

إجمالا يمكن أن نقول أنّ المغرب العربي خلال القرن 16م، عرف تأزما سياسيا وتمزقا داخليا، وتهديدا إيبيريا وتدهورا اقتصاديا، حيث أصيب النشاط الاقتصادي في الصميم، كما عرفت الحياة الثقافية تخلفا علميا وانحطاطا فكريا.

---

(1). حبيب وداعة الحسناوي: "**الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا وأثرها في نشوء الطرق والزوايا الصوفية**"، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد11، الجماهرية الليبية العظمى، 2009، ص 65.

(2). احميدة عميراوي: **مواقف نضالية**، ص 26.

(3). حبيب وداعة الحسناوي: **الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا**، ص 55.

(4). احميدة عميراوي: **مواقف نضالية**، ص 26.

(5). حبيب وداعة الحسناوي: **الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا**، ص 56.

(6). الكعاك: **المرجع السابق**، ص 116، 118، 126.

(7). احميدة عميراوي: **مواقف نضالية**، ص 24.

الفصل الثاني: الحراك الفكري لعلماء بلاد المغرب ومظاهره

المبحث الأول: الحراك وأنواعه.

أولا: تعريف الحراك.

ثانيا: جذور الحراك.

ثالثا: الحراك الاجتماعي وأنواعه.

المبحث الثاني: عوامل حراك علماء بلاد المغرب خلال القرن 16م .

أولا: الدوافع السياسية.

ثانيا: الهجرة القسرية.

ثالثا: طلب العلم.

رابعا: أداء فريضة الحج.

خامسا: فقر البلاد وقلة مواردها الطبيعية والتجارية.

سادسا: تردي المستوى المعيشي.

سابعا: الدواعي الديبلوماسية.

المبحث الثالث: مظاهر الحراك الفكري لعلماء بلاد المغرب خلال القرن 16م.

أولا: الفتاوى.

ثانيا: المجالس والمناظرات العلمية.

ثالثا: المراسلات المتبادلة.

رابعا: الأسئلة والردود.

خامسا: الإجازات.

سادسا: انتقال المصنفات.

سابعا: التصوف.

المبحث الرابع: حركية العلماء المغاربة بين أقطار بلاد المغرب في القرن 16م.

أولا: علماء الجزائر.

ثانيا: علماء المغرب الأقصى.

ثالثا: علماء تونس.

رابعا: علماء ليبيا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل:

العالم يتشكل من مجتمعات، تحكمها الكثير من القيم، تعيش في مجالات تتفاعل معها باستمرار في ظل تنقل حثيث يتم تحديده بواسطة الحراك، أي قياس حراك الأفراد كصفة ملازمة للمجتمعات البشرية، ونخص على وجه التحديد حراك النخب العلمية المغاربية ؛ التي فرضت نفسها وتركت بصم اتها وكان لها تأثير في عصر ضمرت فيه الحركة الفكرية، حيث كان العلماء حماة للدّ ين ومصابيح للظلام ؛ وقناديل مضيئة سطعت ولاحت بأنوارها وبريقها في عصر طغى عليه الانحطاط العلمي، وانتشر فيه الإيمان بالغيبيات ؛ واستشرى فيه الفساد ؛ واشتدّت فيه وطأة الخطر الغربي الزاحف ، فكان لزاما على هذه الفئة أن تؤدي أدوارها وأن تستمر في تأدية رسالتها العلمية، فقد كانت بمثابة خزائن علم ودوائر معارف ومكتبات متنقلة، تفقد البلاد المهاجر منها ركنا أساسيا من أركان الحياة العلمية على حد تعبير الأستاذ أبو القاسم سعد الله، وأن تحافظ على عرى و حبال التواصل وأن تكون إحدى المسالك والقنوات المعرفية ؛ التي أبقت وحافظت على استمرارية حركية التواصل القائمة بين أقطار بلاد المغرب.

المبحث الأول : الحَراك وأنواعه .

أولا: تعريف الحَراك.

لغة: أجمع أئمة اللغة والمعاجم على فتح حرف الحاء في كلمة حراك ما عدا الشهاب الخفاجي الذي انفرد في كتابه (عناية القاضي وكفاية الراضي)؛ بقوله « وقد تكسر الحاء في كلمة الحراك»، ولكن محمد بن الطيب الفاسي أنكر عليه ذلك في كتابه (حاشية على قاموس الفيروز آبادي)، وأيّ صاحب التاج شيخه في رأيه؛ فلم يجز كسر الحاء [1]، وفي لسان العرب فإن الكلمة مشتقة من الفعل حَ رُك، يَحرك، حَركة وحَرّكه فتحرك، وما به حَ رَاك أي حركة، والحَركة ضد السكون [2]، وفي القاموس المحيط :حَرَك، حَركا، وحَركة ضد سكن ، وحرّكته فتحرك [3]، والحَراك: الحركة، والحَرِكُ الخفيف الذكي [4]، والحركة في العرف العام انتقال الجسم من مكان إلى آخر أو انتقال أجزائه ، وقيل هي عبارة عن وجود جسم في مكان عقب كونه في مكان آخر، والحركة عند الصوفية السلوك في سبيل الله [5]، لذا نقول حَراك ، لا حِراك [6]، وهو الأسلم والأصوب عند فقهاء اللغة.

---

(1). محمد العدناني: **معجم الأخطاء الشائعة**، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1985، ص 64 .

(2). ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، ت:عبد الله العلايلي، مج1(أ– ر)، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 615 .

(3). الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ص 936.

(4). مجموعة مؤلفين: **المنجد الأبجدي**، ط5، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1986، ص 361.

(5). بطرس البستاني: **محيط المحيط**، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987، ص 163.

(6). محمد العدناني: **المرجع السابق**، ص 65.

ومهما يكن من أمر فالمعتقد أنّ كلمة حِراك بكسر الحاء المتداولة، تحمل معاني الحَراك بالفتح ، لحداثة استخدامها كونها كلمة دخيلة ، وهذا خطأ شائع ؛ وكما يقال في المثل : (**خطا شائع خير من فصيح مهجور**)، لذلك نجد أنّ مصطلح الحَراك يقترن بخاصية الحركية والانتقال ويحمل معاني الحيوية والديناميكية والنشاط.

اصطلاحا: الحراك صفة مرتبطة بالإنسان، ويعني مجموع التنقلات التي يقوم بها الفرد، أو مجموعة من الأفراد في فترة معينة [1] بوصفه في الأساس خاصية للحياة، لاسيّما عند الناس الذين يتنقلون استنادا إلى ظروفهم أي منزلتهم الاقتصادية ومكانهم الأصلي [2] لذلك فالحراك هو التنقل في إطار شبكة اجتماعية لتأدية مهام أو خدمات [3] .

ثانيا: جذور الحراك.

ظهرت كلمة الحراك بالمفهوم السوسيولوجي لأول مرة في القرن 16م، لوصف تجمعات وفئات السكان التي قدر لها أن تكون خطيرة ، واختصر المصطلح اللاتيني (Mobil Vulgus) في أواخرالقرن17م بصيغة "Mob"، التي تساوي الغوغاء أي الحشد الفوضوي، أو الكثرة المتقلبة التي يشكل سخطها تهديدا على أرستقراطية الكنيسة أو الدولة، وتحولت كلمة "Vulgus" بمعنى المشترك إلى كلمة "Vulgar" أي شعبي مبتذل، وتبلورت كلمة "Mobil" لوصف القدرة على الحركة أو التغيير، ومن هنا جاء النعت الوصفي متحرك "Mobile" أو قابل للتحريك "Movable"، والحراك "Mobilité" وهو مصطلح كان يصف آراء الحشود، وبعد ذلك سلوك الأفراد، وأخيرا خواص الأشياء، فقد كان الناس الموصوفون بألفاظ الحركة والحراك، عرضة لإثارة المخاوف الأخلاقية خلال الأزمنة الحديثة [4].

وفي المقابل تعد دراسة الحراك الإجتماعي قضية ذات جذور سوسيولوجية وطيدة، ترجع إلى كتابات كل من كارل ماركس وجون ستيوارت ميل ؛ في منتصف القرن 19م، وإلى الإسهامات الأساسية لكل من فالفريدو باريتو الذي طور "نظرية صفوة الصفوات"، و بيتريم سوروكين في بدايات القرن 20م الذي كتب مؤلفه "الحراك الاجتماعي" عام 1927م حيث كان مهتما على وجه الخصوص بدور النظم التعليمية في توزيع الناس على المواضيع المهنية المختلفة [5].

---

(1). عبد الحكيم كبيش: **التمدد الحضري والحراك التنقلي في النطاق الحضري لمدينة سطيف**، اطروحة دكتوراه في تهيئة المجال، جامعة منتوري–قسنطينة، الجزائر، 2010-2011، ص22.

(2). طوني بينيت وآخرون: **معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع**، ترجمة:سعيد الغانمي، ط1، عالم المعرفة، بيروت لبنان، 2010، ص 283.

(3). كمال فيلالي: "**الحراك والرحاب والواقع الحضري في قسنطينة القديمة**"، سلسلة اعمال ملتقيات مخبر الدراسات حول الرحلة والهجرة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009، ص 16.

(4). طوني بينيت وآخرون: **المرجع السابق**، ص 283-284.

(5). جوردون مارشال: **موسوعة علم الاجتماع**، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، مج2، ط2، 2007، ص 523-524 .

ثالثا: الحراك الاجتماعي وأنواعه:

01 – مفهوم الحراك الاجتماعي: تتعدد مفاهيم الحراك الاجتماعي، إلاّ أنّ أشهرها مفهوم بيتريم سوروكين الذي كان يرى أنه انتقال الفرد أو الجماعة من طبقة أو مستوى إجتماعي اقتصادي معين، إلى طبقة أخرى أو مستوى اجتماعي اقتصادي آخر، بحيث يرتبط في هذا الا نتقال تغير في مستوى وظيفة ودخل الفرد، وقد يكون هذا الا نتقال إلى أعلى أو إلى أسفل [1]، وقد جاء في موسوعة علم الاجتماع بأنه « عملية انتقال الأفراد عادة، وفي بعض الأحيان جماعات بأكملها بين مواقع مختلفة، في إطار نسق للتدرج الاجتماعي في أي مجتمع» [2]؛ ومنه فمصطلح الحراك الاجتماعي يأخذ معنى انتقال الفرد أو الجماعة من وضعية اقتصادية، اجتماعية، فكرية، إلى وضعية أخرى قد تكون هابطة أو صاعدة.

02 – أنواعـــه: يمكن تقسيم الحراك الاجتماعي إلى أنواع :

أ – من حيث الاتجاه: حيث ينقسم بدوره إلى نوعين:

* **الحراك الاجتماعي الأفقي:** يشير إلى حركة الفرد أو انتقاله من وضع أو مركز اجتماعي معين، إلى وضع أو مركز اجتماعي آخر في نفس المستوى، دون أن يصاحبه تغيير يذكر في ظروفه الاقتصادية والاجتماعية؛ مثل " انتقال مدرس من مدينة إلى أخرى في حدود الإدارة التعليمية التي يعمل بها ".

* **الحراك الاجتماعي الرأسي:** ويقصد به انتقال أي شخص من وضع اجتماعي إلى آخر، ويوجد لهذا شكلان بحسب الاتجاه: الحراك الصاعد والحراك الهابط ؛ أي الانتقال من مرتبة أعلى أو أدنى في سلم التميز، فالحراك الصاعد يشير إلى انتقال الفرد أو الجماعة إلى طبقة أو مستوى اقتصادي واجتماعي أعلى، يصاحبه تحسن الظروف الاقتصادية. والحراك الهابط يعبر عن انتقال الفرد أو الجماعة من مستوى أو طبقة اجتماعية عليا، إلى مستوى أو طبقة اجتماعية متوسطة أو دنيا، وفي هذه الحالة يكتسب خصائص الواقع الاجتماعي الأدنى [3].

ب – من حيث البعد الزمني: يمكن التمييز بين الحراك بين الأجيال والحراك الجيلي [4].

* **الحراك داخل الجيل الواحد:** ويمكن التعرف عليه عن طريق المقارنة بين الأوضاع الاجتماعية التي شغلها الفرد طيلة حياته المهنية، ويطلق عليه حراك الوظيفة.

---

(1). محمود شوقي عبد الرحمن: "**الحراك الاجتماعي** "، أنترنت، موقع الأولوكة، بتاريخ :2008/06/24، ص 01.

(2). جوردن مارشال: **المرجع السابق**، ص 523.

(3). محمود سالم علي جذور: **أثر التعليم في الحراك الاجتماعي بالمجتمع الليبي**، اطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2004-2005، ص85-86

(4). جوردن مارشال: **المرجع السابق**، ص 523.

* **الحراك بين الأجيال:** ويستدل عليه من خلال المقارنة بين الأوضاع الاجتماعية التي يشغلها الأبناء ؛ بالأوضاع الاجتماعية التي يشغلها الآباء والأجداد، فإذا ظهر اختلاف دلّ ذلك على حدوث قدر كبير من الحراك الاجتماعي[1] .

ج – من حيث المجالات: وهذا النوع من الحراك ينقسم هو الآخر بدوره إلى :

* **الحراك المهني :** يقصد به حركة الجماعة المهنية، أو حركة فرد معين مشتغل بمهنة من المهن، أو مواقع مهنية خالية من خلال نظام التدرج الطبقي للفضاء الاجتماعي؛ على أساس هيبة كل مهنة أو مكانتها، حيث يستخدم هذا التدرج للحكم على الحراك الذي يحدث، وعليه فالحراك إلى أسفل يشير إلى فقدان الهيبة المهنية، بينما يعني الحراك إلى أعلى زيادة تلك الهيبة [2] .

* **الحراك الاقتصادي:** يقصد به انتقال الفرد أو الجماعة من وضعية اقتصادية أو مستوى اقتصادي معين، إلى واقع أو مستوى اقتصادي آخر؛ قد يأخذ صفة الصعود، وقد يركن إلى خاصية الهبوط.

* **الحراك السياسي :** في مفهومه العام هو كل النشاطات السياسية؛ الفردية منها و الجماعية في داخل الوطن وخارجه، والحقيقة أنّ لكل حراك سياسي طبيعة معينة، يمكن فهمه ومعرفة مكوناته من خلالها [3]، ويرى الأستاذ أحميدة عميراوي أنّ الحراك السياسي يرتبط أيضا بحلول قيادة حاكمة محل قيادة أخرى[4]، باعتبار أنّ كل نظام سياسي يضع بنلء للفرص السياسية؛ بحيث يسهل صعود البعض إلى احتلال مناصب أو مواقع ذات تأثير سياسي ، وفي المقابل يتم استبعاد آخرين، وهذا الحراك لا يمكن قياسه بشكل مباشر، إلا أنّ نتائجه يمكن ملاحظتها، فالتحول أو التغير في مكونات الصفوة السياسية؛ يعد ميكانيزمات أساسية لتغيير البناء السياسي والقيم السياسية، وكلما كان التغيير في طليعة وخصائص الصفوات أو النخب عظيما؛ كان التغيير في اتجاه ومنهج النظام الحاكم عظيما أيضا، ذلك أنّ الحراك السياسي الصاعد يحكم عليه في ضوء الفرص الهرمية للتدرج السياسي، فب قدر اتساع درجة المساواة السياسية ؛ بقدر عظمة التنمية السياسيةذلك أنه يزيد من التطلع لاحتلال المواقع السياسية المؤثرة [5]، وقد يأخذ الحراك صبغة السلبية الهادفة إلى الاحتفاظ واستمرارية الحكم الفاشل من جانب، وقد يصطبغ بالميزة الايجابية الهادفة إلى إصلاح أحوال الناس وإسعادهم [6] .

---

(1). محمود سالم علي جذور: **المرجع السابق**، ص86.

(2). جوردون مارشال: **المرجع السابق**، ص523.

(3). محمد بالروين: "**من الحراك السياسي**"، انترنت، منتدى ليبيا للتنمية البشرية و السياسية، أوت 2008، ص01.

(4). أحميدة عميراوي: محاضرة بعنوان " **النخب والحراك الاجتماعي**"، ألقيت على طلبة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، بتاريخ 2012/06/27.

(5). عثمان حسين عثمان هندي: **الحراك السياسي " مفاهيم وقضايا "**، ج1، دار فرحة للنشر والتوزيع المنيا، مصر، (د.ت)، ص 4-5-6-7-8.

(6). محمد بالروين:**المرجع السابق**، ص01.

* **الحراك الفكري:** يعرّف على أنه إطلاق المساحة للعقل ؛ كي ينظر ويفكر بعين الفكر، ويقيس ويقلّب بحسب المصالح والمفاسد، شريطة أنّ يتقيد هذا الحراك الفكري بضوابط ، فإذا ما انعدمت الضوابط أو كانت قاصرة وقع الخلل [1]، في حين يرى الأستاذ أحميدة عميراوي أنّ الحراك الفكري يقصد به ارتباط فئة بقيم وإنتاج فكري وآليات مختلفة ؛ قد تكون " تعليم، إعلام، مؤلفات.." [2]، لذلك فهذا النوع يرتبط بحركة النخب التي تنتجها الظروف التاريخية، والتي تصقل خصائص المجتمع حسب طبيعة النخبة التي تفرض وجودها كطبقة قيادية [3]، فالحراك الفكري للنخب أو الصفوة في الكثير من جوانبه؛ يهدف إلى تغيير الواقع وتعديل سلوكيات الناس، كما ترتبط فعاليته بحركية النخب العلمية ؛ التي تسهم في إحداث التفاعل والتلاقح الفكري بين الأ فراد والجماعات، من خلال ما يمكن أن نسميه تجاوزا " الحمل الثقافي " كمصطلح أكثر إخصابا، لأنه يمكن أن يفهم كوسيط تلاقح وكمرحلة استيعاب؛ تجسد فاتحة لعصر جديد يحمل إنتاجا في ظل شروط ملائمة ومناخ مناسب [4]، لذلك فإنتاج الثقافة المغاربية مشدود بحدود إنتاج هذه الطليعة من البشر وحراك وحراك هذه النخبة من العلماء، أي الآلية والفاعلية العلمية؛ وحركيتها الذاتية المتواصلة، حيث كان لهذه الطبقة من العلماء والفقهاء والمتصوفة، الدور الرائد في إحداث التوازن داخل المجتمعات المغاربية، حيث شكلت أداة التواصل والتفاعل من خلال الأخذ والعطاء في ظل هذه الحركية.

المبحث الثاني: عوامل حَراك علماء بلاد المغرب خلال القرن 16 م:

تتحدد طبيعة الحراك في أي مجتمع على ضوء معطيات كثيرة ؛ منها طبيعة النظام السائد في المجتمع ومدى نموه وتفتحه الثقافي، وظروفه البيئية والقيمية والفكرية والسياسية والإيديولوجية السائدة، لذلك عرفت بلاد المغرب حراكا فكريا نخبويا، ارتبط بتنقلات أعداد كبيرة من العلماء، ما شكل نزيفا بشريا كانت له انعكاسات على الحياة العلمية والثقافية . وقد تحكمت في هذا الحراك دوافع وأسباب عديدة منها :

أولا: الدوافع السياسية.

يعد الاضطراب السياسي من أهم عوامل الحراك الفكري، حيث عرفت بلدان المغرب العربي منذ مطلع القرن 16م الاضطرابات والتقلبات السياسية ، كنتيجة لكثرة الفتن والثورات وتوالي العديد من الحكام ؛ ما أدّى إلى انعدام حالة

---

[1]. محمد الشريف جاكو: "**الحراك الفكري واضطراب الثوابت**"، صحيفة الشهاد الإلكترونية، بتاريخ 17 يناير2013، ص01.

[2]. أحميدة عميراوي: **محاضرة "النخب والحراك الاجتماعي"**.

[3]. كمال فيلالي: "**الحراك السوسيوتاريخي للفاعلين وتطور مفهوم النخب في تاريخ الجزائر الحديث**"، مجلة الهجرة والرحلة، العدد الأول، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2005، ص08.

[4]. عبد الهادي عبد الرحمن: **التاريخ والأسطورة (الحراك الثقافي في المنطقة العربية قديما)**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1994، ص 09.

الاستقرار، حيث كان للهجمة الإسبانية الشرسة التي أعقبت سقوط غرناطة 1492م على المدن الساحلية المغاربية؛ التي سقطت تحت نير الاحتلال الإسباني، الأثر الكبير في ارتفاع عدد العلماء الذين غادروا بلادهم نحو البلدان الشقيقة سواء نحو المغرب أو المشرق، وهذا ما يؤكده الكتاني إذ يقول :« إنّ هجرة المغراويين التلمسانيين لفاس زادت بدخول الإسبان وهران »[1]، كما أدّى العدوان الصليبي (الإسبان وفرسان القديس يوحنا) إلى هجرة كوكبة من خيرة علماء طرابلس إلى تونس وغيرها من مدن العالم الاسلامي[2]، وفي المقابل عرفت تونس مع تدهور الدولة الحفصية ؛ تراجعا في الحياة الفكرية نتيجة ما اعترى البلاد من اضطرابات وفتن وهجومات خارجية[3]، فقد كان لهذه الأوضاع السياسية أن لعبت دورها في مسيرة المراكز الثقافية المتعددة ، وكان لها تأثير على علمائها، فكثيرا ما تعرض بعض هؤلاء العلماء للشر والأذى والاضطهاد؛ الذي وصل حد القتل، مادفع بهم إلى البحث عن مكان آمن يزاولون فيه نشاطهم العلمي والفكري[4].

إذ كان عسف الأتراك وطغيانهم في بداية حكمهم ؛ نتيجة سياسة العنف والاضطهاد، أحد الأسباب الرئيسية لتنقلات العلماء وحركيتهم، من ذلك ما أعقب ثورة 1572 م بقسنطينة؛ التي لجأ فيها رمضان تشولاق إلى استخدام القوة للقضاء عليها[5]، وكان القمع رهيبا حيث نهبت منازل الخاصة وقتّل الأطفال بوحشية ، والسكان المستسلمين اضطروا إلى الخضوع لنير الأجنبي[6]، وتمادى الأتراك في ظلمهم وقسوتهم مع الأهالي ؛ فعندما تولى خضر باشا (1589-1592م) الحكم، طلب من كل البايات استخدام كل الوسائل مع القبائل لتحصيل الضرائب؛ ما أثار استياء الأهالي، فهذا المرابط سيدي محمد الشريف الباجلي يصف الوجود العثماني بالنازلة أو اللعنة، فيقول:« ماذا نقول عن وطن انتشرت فيه ظاهرتي العنف والجهل، وتكاثر فيه التكبر والظلم والخمر وأصبح أمرا عاديا، المسلمون يعذبون ويقمعون والأجنبي [الأتراك] محاطا بالفخر؛ ولا أحد يملك القوة والشجاعة لمواجهة الوضع »[7]، وهو ما يشير إليه الورتيلاني عندما

---

(1). عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص 379-380.

(2). عبد الله أنبية: "**هجرة بعض العلماء الليبيين إلى تونس في العهد الحفصي**"، مجلة الجامعة المغاربية، العدد الأول، السنة الثانية، طرابلس، ليبيا ،2007، ص 17-18.

(3). أحمد قاسم: **إيالة تونس على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574-1600)**، (د.ط)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس ، 2004، ص 273.

(4). عبد الرحيم بن عبد الرحمن رحيم: **المغاربة في مصر في العصر العثماني(1517-1798)**، ط1، منشورات المجلة التاريخية المغاربية، تونس، 1882، ص 25 .

(5). سعاد لبصير: **هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني(1516-1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة ،الجزائر، 2007، ص 123.

(6). Vayssette Eugene : **Histoire de constantine sous la domination turque de (1517-1838)**, pré:ouarda siari, éd: media-plus, blida, Alger, 2010, p : 57.

(7). سعاد لبصير : "**دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني (1516-1830)**"، أعمال الملتقى الأول حول "**سوسيولوجية الهجرة الجزائرية**"، جامعة منتوري، قسنطينة ، الجزائر،2009، ص 51-53.

عندما تحدث عن القهر والجور الذي يعانيه سكان إقليم الجريد بتونس، إذ يقول : « ... وقد كثر ظلم الأتراك بهذه البلاد وشاع بها الظلم والفساد »[1]، فكان ذلك باعثا للهجرة، لذلك تنقل عدد من العلماء إلى المغرب وآخرون إلى المشرق سخطا على العثمانيين؛ نتيجة عدم الا نسجام معهم وفهم رسالتهم من جهة ، وعسكرة النظام وإبعاد أهل العلم والدين من النفوذ أو بعثرة المدارس وعدم احترام الأوقاف من جهة أخرى. فالعلماء المرتبطين بالزيانيين توجهوا إلى المغرب، على غرار سعيد المنداسي الذي توجه إلى المغرب وهجا الأتراك، كما هاجر البعض الآخر من قسنطينة إلى تونس بعيدا عن سطوتهم طلبا للأمن، بعد أن كثرت المواجهات في الجزائر وتونس بين العثمانيين و الإسبان أمثال: يحي الشاوي، عيسى الثعالبي وأحمد البوني [2]، وفي المقابل يذكر الأستاذ العيد مسعود أنّ من دواعي تنقلات العلماء ، اضطراب الوضع السياسي وكثرة الفتن، بسبب التنازع على الحكم وتدخل القبائل لنصرة هذا الفريق أو ذاك؛ من مؤيدي الأمراء المطالبين بالحكم [3].

لذلك فالعلاقة بين العلماء ورجال الحكم لم تكن في أغلب الفترات حسنة في ظل الصراعات المتتالية، التي انعكست آثارها على هذه النخبة ؛ التي وجدت في الحراك الغاية والهدف [4]، ولم تكن مع املة الأتراك هي الدافع الوحيد، فقد اجتمعت عوامل عدة كالحروب الداخلية والتهديد الإسباني؛ والضغط الوطاسي والوجود العثماني، ما جعل العلماء لا يشعرون بالراحة والمناخ الملائم؛ والاجتهاد في الرأي والحياد السياسي ، فما كان من العديد منهم إلاّ أن حمل أمتعته وأهله وهجر البلاد؛ فرارا من الفتن والمعارك ، ومن أشهر هؤلاء أحمد الونشريسي صاحب " المعيار"، وقد ظلت هذه الحركية متواصلة وأخذت في بعض الحالات طابع الهجرة الجماعية ، حيث انتقلت عائلات بأسرها إلى فاس [5]، ونفس الشيء ينطبق على العلماء الفارين من سلاطين المغرب الأقصى، فقد وجدوا في النظام العثماني خير حامي ومعين، لذلك يمكن القول أنّ العلماء استفادوا من الوضع السياسي المتردي الحذر خلال هذه الفترة.

ثانيا: الهجرة القسرية.

---

(1). الحسين الورتيلاني : **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** ، تعليق: ابن مهنا القسنطيني، مج 1، طبعة خاصة، دار المعرفة الولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 261.

(2). أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 183.

(3). العيد مسعود: **المرجع السابق**، ص 59.

(4). أحميدة عميراوي: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 56.

(5). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**،ج1، ص 424.

لقد اضطر بعض العلماء والمثقفين إلى ترك بلدانهم؛ والاستقرار في إحدى الدول الشقيقة ، وقد يعود ذلك إلى معارضتهم للنظم السائدة في بلدانهم ، أو تعرضهم للمضايقات والا ضطهاد[1]، أو بسبب الحروب والغزوات ، وأهم الهجرات القسرية الجماعية نحو فاس ، تلك التي جاءت بعد فشل الحملة السعدية سنة 957هـ على تلمسان ؛ إذ رافق السلطان السعدي إلى بلاده كثير من العلماء، ورجال التصوف الذين قد أيّدوا تدخله بتلمسان، كما حدثت هجرة جماعية أخرى سنة (968هـ - 1560م) على إثر حملة خير الدين (كرمان)على تلمسان، وذلك في أعقاب فتنة وقعت بها بين مؤيد ومعارض للترك[2]، فاستغاثوا بالسعديين فأرسل إليهم سلطان المغرب الأقصى أبو عبد الله الغالب(1557-1574م) جنودا ونقلهم إلى فاس، وكان من بين علماء تلمسان الذين هاجروا نذكر أبا العباس أحمد بن أحمد العبادي الذي استقر بفاس، واستقبل بحفاوة من سلطانها وفقهائها ؛ إذ قدم له السلطان ألف مثقال و أمر بإسكانه في إقامة مريحة وقال: « لا تساووه بأحد من الفقهاء فإنّ همّته كبيرة»[3].

وقد نال هؤلاء المثقفون حظوة كبيرة وتقديرا خاصا؛ سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي بالمغرب، وقد حلت الهجرة القسرية الثالثة بعد تنصيب باي الغرب، إذ حاول العثمانيون من خلال سياستهم الدينية ؛ تشديد الرقابة على العلماء ورجال التصوف المعارضين لسياستهم ، ما دفع بالعلماء والمتصوفة الحقيقيين ؛ إلى النفور والهروب إلى عواصم العلم ومقاصد الحكمة خاصة إلى فاس، وأهمهم الشيخ الأنصاري السجلماسي الذي فرّ من جور الأتراك واستقر بفاس، وصار فقيها إلى أن أدركته المنية[4].

ويذكر المؤرخ المجهول في كتابه ، أنّ محمد الشيخ لما دخل فاس ثانية عام (961هـ-1554م)؛ عقب قبله أبا حسون الوطاسي واستقراره فيها بقوله: « وفي الدخلة الثانية تحكم في أهل فاس و أدّى حسائفه وقهر أهلها ونفى أكثرهم للجبال والمشرق وقتل فيها الإمام الزقاق رحمه الله »[5]، وذلك انتقاما منهم نتيجة تأييدهم للحزب الوطاسي بالمدينة لا رتباطه بالأتراك للتخلص من مؤامراتهم ، ولعل هذا ما يفسر تغيير محمد الغالب فيما بعد لمقر حكمه من فاس إلى مراكش، وفي تونس أيضا خلال القرن 16م امتحن كثير من أهل العلم بالنفي والإ بعاد عن البلاد ، ومن هؤلاء الشيخ محمد مغوش

---

(1). أرزقي شويتام: "**العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية(الفترة العثمانية)**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011، ص 83.

(2). كمال فيلالي: "**هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في نهاية ق 15م ومطلع ق 16م**"، مجلة الهجرة والرحلة، العدد03، جامعة منتوري، قسنطينة، أفريل 2010، ص 18.

(3). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 118.

(4). كمال فيلالي: **هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس** ، ص 19.

(5). المؤرخ المجهول: **المصدر السابق**، ص 27.

الذي قام خير الدين لما ملك تونس بنفيه ؛ فخرج إلى المشرق [1]، والشيخ أحمد العيسى الذي نفي إلى طرابلس الغرب ومات بها سجينا [2] ، لذلك كانت هذه التنقلات اللإرادية الإجبارية عاملا من عوامل الحراك، التي توخت النخب من ورائه الهروب مما يحيط بها من مضايقات ومشاكل وايجاد مكان آمن.

ثالثا: طلب العلم.

كان طلب العلم أهم مقصد للعديد من العلماء المغاربة، خاصة و أن الحركة العلمية والثقافية؛ عرفت نوعا من الجمود واقتصرت على التقليد والأخذ بما تركه السلف ، وهو ما عبر عنه الأخضري دفين برطيوس عندما وصف عصره في "نظم السلم" قائلا: لاسيما في عاشر القرون****ذي الجهل والفساد والفيقن. [3]

إذ يرى الورتيلاني أنّ انتشار الجهل والجهّال في منطقة كافيا لهجرة العالم، حيث يقول: «.. في زماننا، لاندراس العلم وأهله إذ لا تجد طالبا يقرأ القرآن أو يتعلم مسألة من العلم » [4]، أما رحّالة تونس محمود مقديش فيشير إلى تدهور الحياة التعليمية والعلمية؛ نتيجة إقبال الناس على الدنيا وتشبثهم به ا، بقوله: « وأحرى وأنا في بلد مطروح في زوايا الإ همال لإقبال أهله على تحصيل الدينار والدرهم والسعي على العيال » [5]، لذلك فإنّ تراجع حركة التعليم وبدائيته؛ وقلة التآليف التآليف وعدم وجود مدن علمية زاهرة، أدّى إلى هجرة الراغبين في طلب العلم [6]، فلنعدام المؤسسات الثقافية الكبيرة ، اضطر العلماء إلى التنقل لمراكز الإشعاع والثقافة في ذلك العصر ، للاستزادة من العلم كالزيتونة في تونس والأزهر في مصر، وقد كان استقرار الأوضاع والجو العلمي في تلك البلدان مغريا لهم بالبقاء فيها [7].

وعليه فإنّ توفر المراكز الثقافية المزدهرة يعد عامل جذب لهؤلاء العلماء ، على غرار الأزهر الذي كان يزخر بمجموعة من كبار العلماء في مختلف فروع المعرفة ، والذين رغّبوا أبناء المغرب في الجلوس إليهم ، وأجازوهم وفتحوا باب المناصب العلمية أمامهم [8]، فعدم وجود مؤسسة علمية كبيرة في مدينة طرابلس على سبيل المثال في العهد الحفصي ؛ بسبب عدم

---

(1). ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 154.

(2). محمد النيفر: **المرجع السابق**، ص 554.

(3). المهدي البوعبدلي: "**الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها**"، مجلة الأصالة، العدد 19، الجزائر، 1974، ص 146 .

(4). الورتيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، ص 239.

(5). محمود مقديش: **نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار**، تحقيق: علي الزواري؛ محمد محفوظ، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1988، ص 12.

(6). أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، ص 178.

(7). علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 594.

(8). عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: **المرجع السابق**، ص 26.

اهتمام الولاة بالحركة العلمية ، شجع العلماء على الهجرة منها [1]، كما انتقل العلم إلى القيروان بعد أن فقدت تونس مكانتها العلمية؛ نتيجة الحروب وما تبعها من مآسٍ، ما يفسر قلة علماء المدينة ونقص بضاعتهم العلمية ، وهي أوضاع تركت فراغا لم يسده إلاّ علماء القيروان، وخاصة العظاظمة مثل المفتي بلقاسم وبعض إخوته و أبنائه، لذلك يتتبع المتعلم العلم حيث ارتحل؛ وهذا ما يفسر نزوح السكان إليها [2]، وما تميز به العلماء والمثقفون عامة ؛ التنقل إلى منابع الثقافة لإثراء معارفهم وتنويع مصادرهم ، لذلك اتجهوا صوب الأقطار العربية الإسلامية مشرقا و مغربا ؛ لتوسيع آفاقهم العلمية والمعرفية؛ ومجالسة مشاهير المشايخ والعلماء في مختلف المراكزالثقافية [3]، غير أنّ هذا لا يعني أبدا أنّ كل مهاجر كان هدفه طلب العلم، بل هناك من سافر إلى الخارج رغبة في تدريس العلم وتلقينه [4]، ومن هؤلاء: محمد بن شقرون الذي تولى الإفتاء في مراكش(ت.983هـ)، والونشريسي ومحمد المقري وغيرهم كثيرون [5]، ومهما كانت الغاية سواء لأخذ العلم العلم من مناهله أو التدريس، فإنّه في كلتا الحالتين يحدث التأثير والتأثر، في ظل الجو العلمي والمناخ الفكري القائم؛ كما أنّ من دواعي حراك هذه النخب حدوث فائض من العلماء يزيد عن حاجة الحواضر؛ التي تركز فيها التعليم سيّما مدينة تلمسان، التي تكونت بها أسر علمية كبيرة على غرار ابن مرزوق والمقري؛ و العقباني والسنوسي وابن زاغو وابن زكري التي أحدثت حركة علمية ؛ كان من ثمارها تخريج عدد ضخم من العلماء ، الذين آثروا التنقل إلى حواضر العالم العربي كفاس والقاهرة وغيرها [6]، ومن الحوافز التي دفعت العلماء للرحلة وتحمل مشاق السفر ؛ هو البحث عن نوادر المخطوطات والكتب النفيسة وإعادة نسخها، وخير شاهد على ذلك مانراه من مخطوطات متشابهة ومختلفة في المكتبات بالمدن المغاربية [7].

ولعل الجفاف الفكري الذي غلب على العهد التركي من جانب آخر ، هو الذي دفع الكثير من العلماء إلى التنقل والاتصال بعلماء وأدباء الأقطار الآخرى [8]، كون الحكام العثمانيين في الجزائر غرباء عن الثقافة العربية ؛ وعن تاريخ الحضارة الإسلامية والتشريع الإسلامي ، ولهذا لا غرابة في عدم تلقي علماء الجزائر ؛ العناية الكافية من رجال السلطنة

---

(1). عبد الله أنبية: **المرجع السابق**، ص 20.

(2). أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص 275.

(3). أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)**، ط1، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2009، ص 471.

(4). محمد بوشنافي: "**هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني**"، مجلة المواقف، العدد 04، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة معسكر، الجزائر، 2009، ص 100.

(5). أحميدة عميراوي: **مواقف نضالية**، ص 62.

(6). العيد مسعود: **المرجع السابق**، ص 60.

(7). عبد الله أنبية: **المرجع السابق**، ص 20.

(8). محمد الطمار: **المرجع السابق**، ص 255.

العثمانية، الأمر الذي جعل أهل العلم يهجرون البلاد [1]، وقد عبّر الورتيلاني أحسن تعبير عن هذا البعد والإهمال عندما زار الحجاز فقال: « وأما أهل مغربنا فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث، ولا مهدما قد جدد، أو واهيا قد أصلح، بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم فلحسن أحوالهم فيه، إن كان مبنيا برخام أن يعاد بآجر وجص، وإن كان مجصصا أن يعاد بطين» [2]، وعليه فقد كانت الرغبة في الاستزادة العلمية ولقاء المشايخ من العوامل التي دفعت طلبة طلبة العلم إلى شد الرحال إلى الحواضر العلمية والمؤسسات التعليمية.

رابعا: آداء فريضة الحج.

لقد كان الإنسان المغربي يحسّ أنّ الفضاء الذي يعيش فيه ؛ لم يكن كافيا لإرضاء كل رغباته، لذلك فإنّ الواجب يقتضي عليه السعي لرؤية العالم الآخر، عالم المشرق [3] الذي كان مصدر سعادته، خاصة أنّ علماء المغرب كانوا يرون أنّ أنّ شخصياتهم لا تكتمل إلاّ برحلتهم إلى المشرق، وكان العالم يعرّف في كتب التراجم والأعلام والمناقب بأن له رحلة أو أكثر إلى الحجاز، فهي رحلة يتمناها كل مسلم على وجه الأرض لأنها تكتسي الصبغة القدسية، وكان للحكام والسلاطين فضل في تيسيرها، بتوفيرهم للزاد والضيافة والأمن في الطريق، و أشهر الرحلات في هذا الجانب رحلة ابن بطوطة، وابن جبير والعبدري [4].

ويرى الأستاذ سعد الله أنّ الذين توجهوا إلى الجزيرة العربية لم يتوجهوا كجغرافيين ؛ أو مؤرخين أو سواح، وإنما توجهوا إليها حجّ اجا لتأدية فريضة الحج وزيارة الحرم الآمن : « لذلك كانت قلوبهم إلى البقاع المقدسة تسبق أرجلهم وخيالهم يتجاوز مرمى أبصارهم وأشواقهم إليها تنسيهم آلام الطريق وعناء السفر » [5]، وكان المغاربة يهتمون بلقب الحاج الحاج خاصة غير المنتسبين لآل البيت (الأشراف)؛ لأن هؤلاء لا يحتاجون لهذا اللقب، بل أصبح لقب الحاج يعوض اللقب السابق المقترن بالمهنة أوالعائلة أو الرقعة الجغرافية [6]، فكانت الرغبة في زيارة الأماكن المقدسة لآداء الفريضة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ من أكثر الأماكن التي يتمناها كل مغاربي، فكانوا يحرصون على آدائها ولو مرة واحدة في العمر وكان الكثير منهم لا يكتفي بزيارة واحدة بل يكررها لمرات عديدة، ومن هؤلاء الورتيلاني الذي حج ثلاث مرات ، وعبد الكريم الفكون الذي تولى إمارة ركب الحجيج ؛ أي أنه كان يحج سنويا [7]، فقد اتخذ العلماء من الرحلة فرصة

---

(1). أحميدة عميراوي: **قضايا مختصرة**، ص 57.
(2). الورتيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج2، ص 53.
(3). عبد الهادي التازي: **رحلة الرحلات**، ج1، (د.ط)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، السعودية، 2005، ص 25.
(4). سميرة أنساعد: **الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري**، (د.ط)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 27-28.
(5). أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، ص 177.
(6). عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ص 24.
(7). محمد بوشنافي: **المرجع السابق**، ص 100.

للاحتكاك بالعلماء المسلمين الوافدين ؛ وكان يحدث تبادل ثقافي وتلاقح علمي فيما بينهم، وكانوا يتوقفون بالعواصم الفكرية لأخذ العلم وإعطائه مثل الزيتونة، طرابلس، الإ سكندرية، القاهرة، دمشق، بغداد، مكة ؛ وغالبا ما يسجلون ملاحظاتهم في مؤلفات تعرف باسم الرحلات الحجازية [1]، لذلك اختار العلماء تحمل عناء السفر من أجل ملاقاة العلماء والأخذ عنهم، ولما كان المسجد الحرام من أعظم جامعات العالم الإسلامي ؛ فقد أصبح قبلة ومنارة لطلبة العلم [2].

وتمثل قافلة الحجيج المغاربة الذين يتحولون كل سنة إلى البقاع المقدسة أهم قافلة، حيث تنتقل من المغرب الأقصى أين يتجمع الحجيج في تازة؛ ثم تعبر الجزائر سواء عن طريق الجريد أو عن طريق مدينة تونس، وتتضخم بحجاج البلدين ثم تصل إلى طرابلس؛ بعد رحلة تدوم أكثر من شهرين، وهناك يستعيد الحجاج قواهم ثم يستأنفون الرحلة إلى أن يصلوا الإسكندرية بعد 40 أو 50 يوما، وأخيرا يصلون إلى مكة للمساهمة في موسم الحج الأعظم [3].

وتمثل هذه الرحلة ملتقى للمثقفين القادمين من سائر الأقطار، ذلك أنّ حج بيت الله الحرام هو عبارة عن "مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي " على حد تعبير أندري ريمون ، وفي نفس الوقت تعد القاهرة التي يؤمها الحجيج في طريقهم إلى البقاع المقدسة العاصمة الإسلامية الثقافية، حيث كان المغاربة يسعون أثناء إقامتهم؛ إلى البحث عن المخطوطات النادرة لجلبها إلى بلادهم أو استكمال معارفهم [4]، وكثيرا ما استقر المقام لبعض العلماء المغاربة بالأزهر؛ أو في المدن المصرية والتتلمذ على يد علماء الأزهر ورجال الطرق الصوفية من المصريين [5]، كما يُسهِم ركب الحجيج المغاربي في توثيق العلاقات والصلات بين العلماء ، وفسح المجال لزيارة كبار مشايخ الصوفية وأضرحتهم للتبرك بهم ، مثل ضريح أبي مدين شعيب وضريح سيدي خالد ببسكرة [6] وغيرهم، وعليه فإنّ نسبة كبيرة من الحجيج تكرس جهودها للا ستفادة العلمية؛ عن طريق ما يلقى من دروس في مختلف المراكز العلمية الواقعة على طريق الحج ، أو عن طريق شراء الكتب والمخطوطات للاستفادة منها أو الاتجار بها، فضلا عن ربط صداقات والا تصال المباشر بين مختلف العلماء ؛ أو مشايخ الطرق الصوفية أو المريدين من الحجيج [7]، فالفائدة كبيرة في ظل هذا الحراك، لأن كل من الشيخ والعالم يستفيد جغرافيا بوقوفه على

---

(1). أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته**، ص 372-373.

(2). سعاد لبصير: "**المدينة المنورة مركز استقطاب العلماء الجزائريين**"، سلسلة **أعمال ملتقيات مخبر الهجرة والأبحاث**، جامعة منتوري، مطبعة ألكسندر، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص 157.

(3). لوسات فلنزي: **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790-1830)**، ترجمة: محمد الساحلي، (د.ط)، سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1994، ص 75.

(4). لوسات فلنزي: **المرجع نفسه**، ص 116.

(5). عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: **المرجع السابق**، ص 26.

(6). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب**، (د.ط)، دار الأمل للطباعة، الجزائر، 2008، ص 116.

(7). دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**،(د.ط)، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003، ص 291.

مناطق جديدة؛ وعلميا بمكة نظير احتكاكه بمختلف العلماء ؛ واقتصاديا بممارسة التجارة، وهذا ما نصح به الورتيلاني قائلا بأن الرحّالة يجوز له البيع والشراء في طريق الحج [1]، لذلك كانت الثقافة المغاربية مدينة في الكثير من جوانبها للتبادلات التجارية والشبكات الاقتصادية المرتبطة بمواسم العبادات، في خضم هذا الحراك الذي تقوم به النخب العلمية.

خامسا: فقر البلاد وقلة مواردها الطبيعية والتجارية.

إنّ من بين دوافع حراك النخب العلمية، الفوضى الاقتصادية وفقر البلاد؛ وقلة مواردها وسنوات القحط، على غرار ما تعرضت له ليبيا عام 987هـ، حيث أصاب الشماخي في إعطاء صورة معبرة عن حالة البلاد حين قال: « لم أجد مكانا حين الوضع لتشتت البال وتعذر الأحوال لأسباب غير قليلة من قلة التفاقم في البلاد وشدة القحط وتزلزل البلاد » [2]، ويؤيد ذلك أنّ عبد الرحمن بن محمد التاجوري (ت.1552)- من علماء مدينة طرابلس- حين أقام بمكة زاره جماعة من أهل طرابلس الغرب ، فسألوه أن يدعوا لهم فرفع يديه وقال : « اللهم خفف حساب أهل مصر » وكرروا سؤالهم، فكرر جوابه ولما سئل عن ذلك قال :« الذي يأكل الشعير ويلبس الصوف [أهل طرابلس] لا يحتاج إلى دعاء وإنما يحتاج إلى الدعاء أهل مصر وغيرهم من أهل الرفاهية »[3]، أما البعض الآخر من العلماء التونسيين ؛ وخاصة من كان على المذهب الحنفي، فلم تعد الجزائر بالنسبة إليهم نقطة عبور فقط، إنما تحولت إلى موطن لطلب العلم والوظائف [4]، كما أنّ إهمال العثمانيين للاقتصاد واحتكارهم للمواد الأولية الزراعية ؛ والصناعية وحظر تصدير المنتجات المحلية إلى الخارج، أدّى إلى خراب التجارة وقضى على الزراعة في البلد [5]؛ ما أدّى إلى هجرة وتنقل الكثير من العلماء بين أقطار بلاد المغرب، بحثا عن ظروف أحسن ومواطن أفضل، لذلك فالعامل الاقتصادي له إسهام فاعل في حركية هذه النخبة.

سادسا: تردي المستوى المعيشي (الأمراض، الأوبئة، المجاعات والفقر).

من بين دواعي تنقلات العلماء المغاربة انتشار الأوبئة والنكبات الطبيعية، التي تصيب كل المجتمع؛ إلاّ أنها بلا شك تترك آثارا أخطر على فئة العلماء، وتتحدث كتب التراجم عن العلماء الذين أودى بحياتهم الطاعون، فصاحب البستان يذكر أنّ الطاعون الذي حدث سنة 981هـ كانت له وفيات من العلماء، الذين كانوا ضحية له أمثال محمد أبو السادات؛ ومحمد الجادري ومحمد بن موسى الوجديجي [6]، حيث أدّى انتشاره إلى هلاك الكثير من السكان وهجرتهم

---

(1). الورتيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، ص 293.
(2). علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 592.
(3). أحمد النائب الأنصاري: **المنهل العذب**، ص 198-199.
(4). دلندة الأرقش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 301.
(5). سعاد لبصير: **دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني** ص 68.
(6). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، ج1، ص 432.

مثل الوباء الذي أصاب طرابلس عام 1523 م، ويؤيد ذلك هجرة أسرة الحطاب الرعيني من طرابلس إلى الحجاز إثر وفاة عميدي الأسرة بالطاعون [1]، ويذكر محمود مقديش أنّ الطاعون الجارف في تونس، أخذ من المؤدبين والمدرسين ومن بقية العلماء عددا وافرا [2]، وهذا صاحب الدوحة قد تحدث عن وفاة الشيخ أبي الحسن علي المعروف بالفحل بتطوان (964 هـ/1556م) في الطاعون الذي عرفته المنطقة [3]، ولم تقتصر الجوائح على الوباء الذي انتشرت عدواه من الأ قطار المجاورة نتيجة صلة المغاربة بعالم البحر الأبيض المتوسط ؛ وانفتاحها على أقاليم السودان ، بل يضاف إليها الزلزال والجفاف والمجاعات [4]، وكان لانتشار المعاصي والمنكرات والانحرافات بالمجتمع، أن ساهمت في هجرة العلماء، فقد راسل عالم من علماء بجاية أبو العباس أحمد البجائي الشريف أحد شيوخ تلمسان أحمد بن الحاج البيدري يستفتيه حول الهجرة فقال : « ما جوابكم في موضع كثر فيه الظلم والأشرار، وانتشر فيه الباطل والسُكْرُ كل انتشار، وذلّ فيه المسلمون وعزَّ فيه الكفار، واتضّع فيه أهل المعرفة والعلم، تمكس فيه جلّ المبيعات على المسلمين، وأشكل الأمر على المسترشدين...» [5]

ويرى الورتيلاني أنّ المعاصي إذا كثرت في موضع وقلّ ت في آخر، فيجب على العبد أن ينتقل إلى محل قل فيه ذلك، وأما عند عموم الشر فلا، بل يلزم مكانه ويكون حلسا من أحلاس بيته [6]، لذلك فإنّ العوامل الطبيعية والظروف والظروف الإجتماعية، تعد من أسباب حركية النخب العلمية ؛ فرارا من الجوائح و بحثا عن حياة أفضل و مستوى معيشي أرقى .

سابعا: الدواعي الديبلوماسية (الرسمية).

تتمثل في التكليفات الإدارية والسفارية، والتي غالبا ما تسند إلى المشايخ والعلماء؛ أصحاب الدراية والشهرة العلمية والحنكة السياسية، وقد تكون بهدف التجسس أو المبايعة أو الإصلاح بين الدول والقبائل، وأشهر الرحلات في هذا الجانب؛ رحلة أبو الحسن علي بن محمد بن علي التمجروتي الدرعي ، التي لخصها في كتاب سجل فيه السفير انطباعاته وملاحظاته؛ سلم " النفحة المسكية في السفارة التركية " [7]، حيث أرسله السلطان المغربي أحمد المنصور عام 1589م في في سفارة إلى القسطنطينية؛ خشية قيام أتراك الجزائر بغارة على بلاده ؛ في ظل توتر العلاقات بين السعديين وآل عثمان فخرج من مراكش ونزل بتطوان ثم أبحر مارا أو نازلا بالمدن الساحلية الجزائرية، إلى أن عاد من مهمته إلى تطوان في شهر

---

(1). علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 593.

(2). محمود مقديش: **نزهة الأنظار في في عجائب التواريخ والأخبار**، ج1، ص 12.

(3). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص42.

(4). سعاد لبصير: **دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني** ص 71.

(5). ابن مريم: **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص 70.

(6). الورتيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، ص 153.

(7). التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 05.

نوفمبر 1591م [1]، ونفس الشيء ينطبق على الحسن بن أحمد الوزان الزياتي الفاسي ؛ الذي دفعه حب الا ستطلاع والتعرف على البلدان إلى مرافقة عمّه في سفارة ؛ كلفه بها سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسي لدى عاهل السودان عام 1504م، وقد ساعدته خدماته السابقة لمحمد البرتغالي الوطاسي حاكم فاس ، على تكليفه بسفارة لدى السلطان العثماني سليم الأول ؛ الذي حظي بمقابلته في أعقاب فتح مصر عام 1517م [2]، ومن الرحلات السفارية أيضا رحلة محمد الخروبي الطرابلسي الذي عينه أتراك الجزائر سفيرا للمغرب الأقصى، من أجل عقد الهدنة وترسيم الحدود بين الطرفين في عهد السلطان السعدي محمد الشيخ [3]، نستشف مما تقدم أنّ هناك عوامل عديدة تحكمت في الحراك الفكري لعلماء لعلماء المغرب، الذين كانوا همزة الوصل وحلقة الربط بين الأقطار المغاربية في وقت إنعدمت فيه وسائل المواصلات الحديثة وحدثت فيه القطيعة بين العلماء والحكام في أغلب الفترات.

المبحث الثالث : مظاهر الحراك الفكري لعلماء بلاد المغرب خلال القرن 16 م :

إنّ الحراك الفكري للنخب العلمية المغاربية التي كانت أداة من أدوات التواصل الثقافي بين أقطار بلاد المغرب، قد أخذ دلالات معينة ومؤشرات واضحة تجلت في :

أولا: الفتاوى.

تشكل الفتاوى إحدى آليات التواصل الثقافي ؛ ومظهرا من مظاهر الحراك الفكري المغاربي، إذ يكاد يكون كل عالم بشؤون الدين والفقه على الخصوص، قد جمع بعض الفتاوى التي تقل أو تكثر حسب مكانته، وحسب نظرة الناس إليه وكثرة تلاميذه [4]، ومن الفتاوى ما نسب إلى أحمد بن محمد الحاج البجائي التلمساني (ت.1523م)، الذي استفتاه الفقيه أبو العباس أحمد البجائي ؛ كما ذكرنا في مسألة البقاء أو الهجرة في موضع تكثر فيه الفتن، فأجابه بقوله : « .. أن يفر بنفسه من الفتن، ولا يقام إلاّ في موضع تقام فيه السنن، ولا يأخذ من علم دينه إلاّ ممن تظهر عليه الخشية والخشوع...»[5]، وقد سبقه أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (1430-1509م)، الذي استقر بفاس ؛ صاحب "المعيار"، الذي كتب إليه الشيخ الفقيه أبو عبد الله بن القوطية نازلة حول هجرة الأندلسيين ؛ فرارًا من حكم المِلّة الكافرة، فأجابه الونشريسي بأن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة، إلى يوم البعث؛ وكذا الهجرة من أرض

---

(1). مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 16.

(2). ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص 290-291.

(3). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ص 117.

(4). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج2، ص 80.

(5). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 128.

الحرام والباطل بظلم أو فتنة [1] وله كتاب أقضية السوق مختصرة ؛ مما ينبغي للوالي أن يفعله في سوق رعيته، من المكيال والميزان، وفي الغش والتدليس، وفي اليهود والنصارى المتشبهين بالمسلمين [2] .

وهناك فتاوى تناولت علاقة المجتمع بأهل الذمة؛ وخاصة اليهود من خلال سلوكاتهم المتعدية على الحقوق التي منحها لهم الإسلام، وأظهرت أنّ هذه الطائفة مهما أعطيت من إمتيازات تبقى تتحين الفرص للسطو على مكتسبات الغير [3] . فالشيخ محمد عبد الكريم المغيلي (المتوفى بتوات عام 1503م)، كانت له نازلة مع يهود توات، حيث أباح دمائهم وأموالهم وجعل الاعتناء بهم أهم من الاهتمام بغيرهم من الكفار[4]، حيث ألزمهم الذل بل قتلهم وهدم كنائسهم، ونازعه في ذلك الفقيه عبد الله العصروني قاضي توات، وقد ألّف المغيلي في ذلك تأليفا راسل فيه علماء فاس، تونس وتلمسان وممن أجاب في المسألة الرصاع مفتي تونس وأبو مهدي الماواسي مفتي فاس ؛ وابن زكري مفتي تلمسان وغيرهم، وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي، أمر جماعته بهدم كنائس اليهود ؛ وقتل من عارضه م دونها ؛ فهدموها [5] . ونسبت إلى العالم محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بالكماد (ت.1016هـ) نزيل فاس نوازل فقهية مختلفة، فقد كرس وقته للتدريس والإفتاء وكانت له أجوبة حسنة في الكثير من النوازل ؛ الدالة على مهارته و اتساع ملكته، وهذا ما يفسر غياب وجود مصنفات لهذا الأخير [6] .

كما تناول محمد بن شقرون بن أبي جمعة المغراوي الوهراني؛ نزيل فاس والمتوفى بها سنة (929هـ/1529م)، في كتابه " الجيش الكمين في الرد على من يكفر عوام المسلمين " [7] قضية إيمان المقلد[*] في العقائد العاجز عن معرفة الله بالأدلة والبراهين، هل إيمانه صحيح أم فاسد؟ إذ يقول محمد شقرون : « وقد سألني جماعة من إخواني المسلمين وجماعة كثيرة من عوام المسلمين على مسألة إيمان المقلد في العقائد، ومن لا يعرف الدلائل والبراهين وينزه الله ورسوله وينطق بالشهادتين لا

---

(1). محمد بن عبد الكريم: **حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية**،(د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 71.

(2). ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي** ، ص 288.

(3). إبراهيم زدك: **الفتوى عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، الجزائر، 2011-2012، ص 49.

(4). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 130.

(5). احمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة ، طرابلس، ليبيا، 1989، ص 576-577.

(6). محمد الكتاني: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج1، (د.ط)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، المغرب،2004، ص 36.

(7). ابن مريم: **المصدر السابق**، ص 213.

(*). **المقلد:** هو ذلك الرجل الذي يتتبع إماما في عقيدته إتباعا محضا دون مناقشة أو تحليل، أو بالأحرى يقلده تقليدا أعمى، وإنما هو تدين بدين آبا ئه وقرابته وأهل بلده، وليس عنده وراء ذلك حجة أو دليل يعود اليه .

زائد. هل إيمانه صحيح أم هو كافر وإيمانه فاسد؟ .. وهل يطلب من عوام المسلمين الذين لا قابلية فيهم معرفة الدليل والبرهان وهم غير قادرين عليه ولا التعبير عنه؟ أم لا يطلب منهم ذلك ويكتفي منهم باليسير»[1] .

وبعد أن استعرض شقرون الوهراني آراء العلماء الذين كفروا عامة المسلمين؛ لأنهم مؤمنون بالتقليد، أجاب هو بصحة المقلدين من العامة الذين ليست لهم قابلية لفهم ذلك، وذكر أنه سقط عنهم التكليف؛ لعجزهم وعدم قدرتهم وتحمله م ما لا قدرة لهم عليه، إذ يقول : « ولنرجع إلى أصل مسألتنا وهو ذكر الخلاف في إيمان المقلد فنقول ومن الأقوال فيه أنه مؤمن عاص يترك النظر والاستدلال إن كان فيه قابلية لفهم ذلك، فإنّ كان كذلك حرم عليه التقليد، ووجب عليه النظر الصحيح، وإن لم تكن له قابلية لفهم ذلك كالعوام الأصحاح فهذا لا يجب عليه النظر، ويكفيه التقليد، لأن إيجاب النظر على من لا قابلية فيه من باب تكليف مالا يطاق وقد رفعه الله على هذه الأمة بفضله فقال تعالى: ﴿ لايكلف الله نفسا إلاّ وسعها﴾»[2] ، ويؤيده في ذلك الشيخ عبد الله بن محمد الهبطي – رضي الله عنه – الذي كان ينصر من يرى صحة إيمان المقلد ويفرح به[3]، وهذا ما يعكس لنا مدى تقارب وجهات النظر ووحدة رؤى علماء المغرب العربي في في بعض المسائل والقضايا العقدية، كما يتضح لنا ايضا أنّ هناك تواصل واتصال في هذا المجال بين هذه النخب العلمية، وما حدث مع شيخ الجماعة سيدي محمد خروف التونسي الأنصاري (ت 966هـ/1558م) الذي امتحن بالأسر، وفداه سلطان المغرب أحمد الوطاسي، وقد كان آسره النصراني يطلب منه أن يُقرئه النحو كشأنه معه في أرضهم؛ عندما كان يقرأ عليه هناك " المفصل " للزمخشري، ليتوصل الآسر إلى فهم القرآن ، فأفتى الشيخ أبو عبد الله اليسرتيني بالمنع من ذلك بعد أن كان خروف التونسي يعده بذلك لما قدم معه إلى المغرب، وقد قال أبو العباس المنجور : « والمنع من ذلك هو المذهب، إذ قال مالك: ينهى أن يعلِّم المسلم الكافر القرآن والخط العربي لأنهم يتوصلون بذلك إلى المصحف» [4] .

والقضية التي استفتى فيها الشيخ محمد بن الحاج محمد العربي التجيبي المسراتي بالقيروان ؛ مفتي تونس أبي القاسم بن عظوم المرادي [*] في أوائل شعبان 986هـ/ سبتمبر1578م، عن مسألة رجل زوج ابنته في محل إقامته فمكثت مع زوجها في بلد أبيها فترة، ثم سافرت مع بعلها إلى قرية ليس فيها قاض ، وبمجرد مجيء الزوجة لزيارة أبيها تشبثت بالإقامة عنده

---

(1). محمد شقرون بن أحمد بن أبي جمعة الوهراني: **الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين**، تحقيق ومراجعة: دار الصحابة للتراث، ط1، طنطا، مصر، 1992، ص 17

(2). محمد شقرون: **المصدر السابق**، ص 36.

(3). محمد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، ج2، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 560.

(4). الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج3، ص 355.

(*). **أبي القاسم بن محمد بن عظوم المرادي**: ينتمي إلى أسرة العظاظمة التي اشتهرت بالعلم في المجتمع التونسي وفي مدينة القيروان خاصة، ولد عام 930هـ/1523م، تولى منصب الافتاء في تونس عام 1574م وهو صاحب كتاب الاجوبة.

في البلد، حيث يوجد الحاكم وتناله ما الأحكام الشرعية، كما ادّعت من جهة أخرى المضارة من زوجها وسوء عشرته إلاّ أنّ الزوج أراد الرجوع والعودة بها، فعرض الأمر على ابن عظوم ، فأجاب أنّ من حق الزوجة السكن حيث تسري أحكام الشريعة الاسلامية؛ ولا يحق للزوج إكراهها على العودة، ومما قاله : « إذا كان الأمر كما ذكر ؛ فللزوجة المذكورة ما دعت إليه من السكنى بالمدينة المذكورة ،التي تحشى فيها الأحكام الشرعية ولا يجاب الزوج إلى ما دعى إليه من نقلها بوجه، على ما أفتى به الشيوخ أبو القاسم أحمد الغبريني وأبو علي بن القداح والإمام ابن عرفة وتلميذه البرزلي...» [1].

هذه المسألة عالجت قضية من القضايا الإجتماعية التي أكدت أهمية التمسك بالشرع وأحكامه، كما أقرت ضرورة الإقامة في الأماكن التي تسري فيها أحكام الشريعة الاسلامية ، وأشارت من جانب آخر إلى عمق تاريخية الصلات ومتانتها واستمراريتها بين شعوب أقطار المغرب العربي عامة ، وبين علماء وفقهاء المنطقة بوجه خاص ؛ كوجه آخر من وجوه التواصل في ظل الحركية القائمة بين هذه الفئات المثقفة من علماء المنطقة.

وبذلك تكون الفتاوى قد عالجت الكثير من قضايا و انشغالات المجتمع المغاربي، ارتبطت بالعديد من ا لتساؤلات والاستفسارات حول نوازل مختلفة؛ شغلت بال العامة عموما والنخب على وجه الخصوص، ففتحت الباب واسعا للفتاوى والأجوبة وتبادل الآراء في مختلف المسائل ، وكانت إحدى أدوات التقارب التي حافظت على روابط الاتصال وآليات التواصل؛ وإحدى القنوات والمسارب التي اتخذها الحراك الفكري بين علماء بلاد المغرب العربي.

ثانيا: المجالس والمناظرات العلمية.

من عوارض العلم المناظرة فيه، وهي مباحثة بين متنازعين فأكثر لتحقيق حق أو إبطال باطل، أو تغليب ظن وتسمى أيضا المجادلة والمحاجّة ؛ لأن كلاّ من الخصمين يفاوض الآخر بالنظر والجدال والحجة ؛ وتجرى في القطعيات أو الظنيات [2]، فالمناظرات والمجالس تشحذ المواهب وتصقلها؛ وفي ظلها يتنافس العلماء وتبرز القضايا الفكرية والمسائل العلمية والخلافات الدينية المذهبية، لذلك تعتبر من أهم ملامح التواصل التي تسهم في إثراء وإنعاش الحركة الثقافية وتساعد على امتزاج عناصر المجتمع، بحتكاك الأدباء وفقهاء العصر وامتداد تأثيرها إلى معالم الحياة المختلفة، لتنوع موضوعاتها واتساع دائرة المناقشات حول مسائل الأمة [3]، ويورد لنا الونشريسي في " المعيار"، بعض المناقشات مع علماء تلمسان على غرار

---

(1). أبي القاسم ابن عظوم : **كتاب الأجوبة**، تحقيق وتقديم: محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، مطبعة علامات، قرطاج، تونس، 2004، ص 285-286.

(2). أبي الحسن علي بن مسعود اليوسي: **فهرسة اليوسي**، ت: زكرياء الختيري، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، (د.ط)، الرباط ، المغرب، 2004،ص 41.

(3). ليلى غويني: "**التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، جامعة الجزائر2، 2012، ص 216.

(*). الإيلاء: هو الحلف والامتناع أي أن يحلف الرجل أن لا يطأ زوجته أربعة أشهر أو أكثر، وقد إختلفت الروايات في هذا الجانب بين من أجازه وبين من قال أنه لا يجوز لأنه فيه إلحاق ضرر بالطرف الآخر.

العقباني سعيد بن محمد بن محمد التلمساني مع القباب أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي الفاسي ؛ ودارت حول اقتراح لتجار البرّ في سلا بإيداع درهم صغير كلّما اشتروا سلعة للتجارة، فنازعهم حاكة المدينة في اقتراحهم وترافع الفريقان إلى العقباني، قاضي سلا آنذاك فحكم بينهم بحكم نقضه القباب بفتوى، وهناك محاورة أخرى بين الإثنين حول مسألة " الإيلاء " (*) بالمصدر ذاته، وردّ حكم العقباني يتخلله اعتراض القباب، وقد كان بين فقهاء المغرب وغرناطة وتلمسان مناظرات كثيرة، تمثل شهادات على الصيت الذي كان لعلماء المغرب خارج بلدهم [1]، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي لما اختلف الفقهاء عليه قَدِم إلى فاس لأجل المناظرة؛ بحضرة السلطان الشيخ أبي زكرياء الوطاسي ثم المريني فلما نزل بظاهر فاس خرج الفقهاء إلى لقائه والسلام عليه، فلما استقر له الجلوس معهم قال لأحد مماليكه واسمه ميمون تكلم مع الفقهاء في نازلة اليهود ؛ فأنفوا من كلامه ورجعوا إلى ديارهم، وأعلموا السلطان أنّ غايته الظهور والملك [2]. والمناقشات والمناظرات التي دارت بين مبعوث الجزائر إلى المغرب محمد بن علي الخروبي وبين كبار مرابطي المغرب والمتصوفة فيه، وكان مفتي فاس اليسيتني وأبو عبد الله المبطي وغيرها ممن شاركوا في ما ورد في قضية النفي [3]، والمناظرة التي وقعت بين الفقيه علي الحاج بن ال بقال الأغصاوي والشيخ أبي عمران موسى بن علي الوزاني في مسألة العدو والفرار من الطاعون، وألّف أبو عمران تأليفا في ذلك فلم ينصف له أبو الحسن [4]، وبذلك تكون المجالس ومناظرات العلم قد أسهمت في فتح باب الجدال وتوسيع دائرة المناقشات ؛ وتبادل الآراء وانتشار الأفكار كملمح من ملامح الحراك الفكري للنخب العلمية المغاربية التي أرست دعائم لعلاقات ثقافية قوامها التواصل.

ثالثا: المراسلات المتبادلة.

تعد المراسلات المتبادلة حجر الزاوية في الحراك الفكري العلمي، وتتنوع بحسب الغرض المقصود من كتابتها، فقد تكون لغرض التقريظ حيث يعبر المقرظ عن اهتمامه بأعمال غيره من العلماء ، وقد تكون لغرض علمي، ومراسلات لغرض التلغيز، أو مراسلات عامة كالرسائل الإخوانية المتبادلة بين العلماء؛ بقصد التهنئة أو التوديع أو المجاملة [5]، ومن المراسلات التي كان غرضها طرح بعض المسائل الفكرية أو الدينية الغامضة أو الاستيضاح عنها، نذكر مراسلات الخروبي مع خواص أهل فاس ومراكش، ومراسلات عبد الكريم المغيلي إلى علماء فاس حول التعامل مع اليهود ؛ والسلوك الذي ينبغي أن يتبع معهم ، والمراسلات التي كانت بين أبي سعيد أحمد بن القاضي صاحب الجذوة ودرة الحجال وغيرها من

---

(1). محمد المنوني: **لقطات من معيار الونشريسي عن الحياة العلمية في فاس المرينية** ،من كتاب **التاريخ وأدب النوازل**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، الرباط، المملكة المغربية، 1995، ص 88-89.

(2). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 131.

(3). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 133-134

(4). ابن عسكر:**المصدر السابق**، ص 40.

(5). ليلى غويني: **التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**، ص 222-223-224.

المغرب، وعالم تلمسان الشهير سعيد المقري من الجزائر، وفي هذه المراسلات طلب ابن القاضي من الأستاذ العالم المشار إليه، الإجازة العامة وذلك سنة 1009هـ/1600م؛ واستجاب سعيد المقري لطلبه في نفس السنة [1].

والمراسلات التي كانت تتم بين أحمد الورنيدي التلمساني المعروف ب ابن الحاج و الإمام محمد بن غازي المكناسي(ت.1513م)؛ كبير علماء فاس في مسائل مختلفة مطلع القرن 16م، وقد كان كل واحد يلغز لصاحبه بالمسائل نظما ويجيبه صاحبه بالنظم، ومن نظم ما عبث به ابن غازي إليه:

وَمَيْتُ قَبْرٍ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ .....إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَعَامِ تَكَلَّمَا

يَقُومُ يَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا .....ويَأْوِي إلى القَبْرِ الَّذِي مِنْهُ قُوِّمَا

فَلَا هُوَ حَيٌّ يَبْتَغِي قُ زِيَادَةً.....وَلَا هُوَ مَيِّتٌ يَبْتَغِي قُ تَحُلَمَ

فأجابه سيدي أحمد بن الحاج بقوله:

بِحَمْدِ اللهِ أَبْدَيْتِي ثُمَّ بَعْدُهُ ..... أُصَلِّي عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ مُسَلِّمَا

هُوَ القَلَمُ القَبِّ الدَوَاةُ وَطَعْمُهُ.....مِدَادُ كَلَامُهُ الكِتَابُ فَفَهِمَا

كَاتِبُ هَذَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ.....عَفَا اللهُ عَنْهُ كُلَّ مَا أَجْرَمَا [2]

ومن المراسلات العلمية الراقية، تلك التي رافقت الجدل حول الاتجاه الصحيح لقبلة جامع القرويين بعد بنائه ، حيث ظل الأمر مثار نقاش حتى بلغ العالم الفلكي عبد الرحمن التاجوري (ت.960هـ/1553م)؛ الذي يعتبر في عصره شيخ الجماعة في الفلك والتوقيت ، وله العديد من المؤلفات في هذا العلم، فقام بواجبه بعد تأكده من انحراف القبلة؛ وأرسل إلى أمير فاس أحمد الوطاسي رسالة شرح فيها خطأ توجه المصلين في فاس إلى الجنوب، ما دامت مكة تقع في جهة الشرق معتمدا على أدلة عقلية ونقلية؛ ومصرحا بأن ذلك منكر ويجب تغييره ، وكانت هذه الرسالة من عالم ليبي لم يزر المغرب الأقصى؛ ومع ذلك قدم من الأدلة ما يوجب تغيير الا تجاه حتى يكونوا في الوضع الصحيح أثناء الصلاة، فأثار ذلك جدلا بين الفقهاء والعلماء، ما دفع السلطان الوطاسي أحمد لتدارس رسالة التاجوري، وبعد النقاش وفي ظل غياب متخصص في الفلك آثر الشيوخ السكوت وعدم الرّد، غير أنّ أحدهم قال :« كلام هذا الرجل لا يلتفت إليه ولا يعوّل عليه » وتحمس للرد عليه اثنان من العلماء محمد اليسيتني وعبد الوهاب الزقاق [3]، وكان رد اليسيتني الذي وضع تآليف

---

[1]. عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 135-136.

[2]. ابن مريم: **المصدر السابق**، ص 62.

[3]. جمعة محمود الزريقي: **تراجم ليبية " دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديما وحديثا"**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2005، ص 472.

عديدة منها: جزء في تصحيح قبلة فاس والرد على الفقيه أبي زيد عبد الرحمن التاجوري [1]، معتمدا على أدلة عقلية ونقلية منها مخالفة التاجوري لما درج عليه علماء فاس، منوهًا أنها وضعت في الاتجاه الذي وضعها الإمام المهدي إدريس الثاني؛ وأقرّها من جاء بعده، ثم موافقتها لاتجاه القبلة في جامع القرويين الذي بناه الصحابة، وأن جلّ العلماء الذين زاروا فاس لم يعارضوا الاتجاه، كما أنه تعرّف إلى مخالفة قبلة الجامع من طريق السماع دون مشاهدة، أما الرّد الشيخ عبد الوهاب الزقاق ناقش فيه التاجوري حول الأدلّة التي ذكرها.

ومما جاء في ملخص ردّه أنّ التاجوري اعتمد على المعلومات الواردة إليه من المسافرين، الذين لا يصح الاعتماد عليهم لأنهم من العامة، بل يجب الاعتماد على العدول، حيث جاء الردّين خاليين من أي وجهة نظر علمية، تعتمد على المعطيات العلمية والفلكية، ما دفع عبد الرحمن التاجوري بالرّد عليها بكتاب أسماه " تنبيه الغافلين عن قبلة الصحابة والتابعين ". وقد جاء الرّد كاملا حيث استفتى فيه علماء مصر، ثم تطرق لنقض الجوابين بأدلة فلكية هندسية وأحكام فقهية؛ مبينا بالدليل القاطع خطأ الحجج الواردة في الرّدين، ولم يكتف برسالته الثانية بل كتب رسالة أخرى لأحد العلماء بشأن الموضوع نفسه؛ وجهها إلى فقيه درعة محمد بن علي التمجروتي، إلى جانب ذلك وضع العديد من التآليف حول الجهات الأربع وبيت الإبرة (البوصلة)، وبعد مرور فترة من الزمن على تلك المجادلات ؛ تم تحويل قبلة مساجد فاس و تغيير الاتجاه في عهد الأمير الشيخ الأصغر، الذي أمر بوضع علامة على المحاريب توضح الاتجاه الصحيح للقبلة [2].

والشيخ أبو فارس عبد العزيز القسنطيني (ت.940هـ) الذي كانت له رسائل مفيدة وعجيبة في الدين مع تلميذيه الشيخان أبو محمد عبد الله بن عمر المطغرى و أبو عبد الله محمد بن علي الدرعي [3].

وعليه فالمراسلات العلمية فسحت فضاءا رحبا للنقاش والجدل تمّ في ظله طرح الأفكار وتبادل الرؤى بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة بين النخب العلمية المغاربية، لذلك أخذت شكلا من أشكال التواصل الثقافي بين علماء المغرب، وكانت إحدى الدعائم والروابط التي حافظت على استمرارية الصلات الفكرية بين هذه الأقطار.

رابعا: الأسئلة والردود.

تعدّ إحدى مظاهر الحراك الفكري ؛ التي حافظت على أواصر العلاقات المغاربية و أرست دعائمها ووطدت أركانها والأمثلة كثيرة، فقد بعث الفقيه سيدي محمد القلعي أحد تلاميذ الشيخ محمد بن يوسف السنوسي؛ إلى فاس أسئلة تزيد عن الخمسين مسألة تسمى بالقلعية، فأجاب عنها أحمد بن يحي الونشريسي وقد انتفع الناس بها كثيرا[4]، والشيخ أبو

---

[1]. الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج3، ص 77.
[2]. جمعة محمود الزريقي: **المرجع السابق**، ص 473-474.
[3]. ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 133.
[4]. ابن مريم: **المصدر السابق**، ص 419.

حفص عمر الوزان (ت.965هـ) في قسنطينة؛ الذي كانت تشدّ إليه الرحال في طلب العلم ؛ وممن يفتى بأقواله وأفعاله وكانت تأتيه الأسئلة من كل مكان ، إذ يروى أنّ بعض الأسئلة و ردت عليه من المغرب من ناحية فاس ، فاستعجل صاحبها الجواب فردّها دون جواب، فأتى بها إلى الشيخ أبي عبد الله محمد العطّار (ت.943هـ/1536م)، الذي كان واقفا بأحد أبواب الجامع الأعظم (قسنطينة)؛ فأجابه عن المسألتين ساعته وأعطاه إياه، فأتاه للشيخ الوزان فأعجبه وأثنى عليه [1]، والفقيه العالم أبو عبد الله محمد النّالي المعروف بالمسّفر (ت.920هـ) الذي كانت ترفع إليه الأسئلة من الأقطار البعيدة فيجيب عنها بأجوبة جليلة، نقل كثيرا منها الونشريسي في " المعيار" [2]، والفقيه أبو القاسم بن سلطان القسنطيني نزيل تطوان في القرن 16م، الذي ألّف وهو بها كتابا رد فيه على الطائفة الأندلسية[*] (وهي الطائفة الملعونة التي لا زالت لها بقية في بلاد المغرب بقبيلة بني حسن)[3]، قد أبدع النقد في دحض أقوالهم الفاسدة في مجلدين على ما ذكره معاصره أبو العباس بن القاضي في درة الحجال : « أبو القاسم بن سلطان القسنطيني الفقيه المعقولي بقصبة تطوان وله كتاب في مجلدين؛ في الرد على الطائفة الأندلسية أجاد فيه كل الإجادة، وناضل فيه عن السنة السمحة أطلعني عليه سنة 995هـ» [4]، ولما تكلم ابن القاضي في كتابه على الشيخ محمد الأندلسي رئيس الفرقة الأندلسية، وشنّع على هذه الطائفة قال: « من أراد الوقوف على شناعتهم جملة وتفصيلا وما قيل في هذه الطائفة الملعونة، فليطالع تأليف الفقيه أبي القاسم بن سلطان القسنطيني نزيل تطوان، فقد أبدع فيهم ، وزيف أقوالهم وبيّن فسادها، وهو في نحو مجلدين » [5].

ومؤلفات عمر الوزان سالف الذكر؛ التي منها واحد في الرّد على زعيم الطائفة الشابية عرفة القيرواني الذي ثار على الأمير الحفصي[6]؛ والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد اليسيتني الفاسي الخطيب المفتي الذي كانت له تآليف منها : الرد على مخلوف البلبالي في إنكاره القول بطهارة بول المريض الذي باله بأوصاف الماء بلا تغيير ، وكان مخلوف البلبالي[*] قد ألّف

---

(1). عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص 36-37-38.

(2). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 34.

(*). **الطائفة الأندلسية**: من الطوائف البدعية الطارئة على المغرب في أوائل القرن 10هـ/16م ، مع الفقيه محمد الأندلسي الذي استقر بمدينة مراكش وكان من جهابذة علماء عصره، إلاّ أنه كان ينحو منحى ابن حزم الظاهري، ويبالغ في انتقاد أئمة الإسلام خصوصا مالك بن أنس ، حتى لقب أنصاره بالمحمدية وغيرهم من المخالفين له بالمالكية، مات قتيلا في عهد السلطان محمد بن الغالب سنة 984هـ، انظر **دوحة الناشر** لابن عسكر ص109، **ودرة الحجال** لابن القاضي ،ج2، ص35-37.

(3). عبد السلام بن عبد القادر وآخرون: **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب،1997، ص 49.

(4).أبو العباس ابن القاضي: **درة الحجال في أسماء الرجال**، ج2، (د.ط)، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ص 288.

(5).محمد داود: **تاريخ تطوان**، مج1، ط2، مطبعة كريماديس، تطوان، المغرب (د.ت)، ص 157.

(6).أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 30.

(*). **مخلوف بن علي البلبالي**: الفقيه العالم الرحالة القاضي، أخذ عن الشيخ ابن غازي وعبد الله بن عمر أقيت، دخل السودان وتنبكتو ومراكش وأقرأ العلوم هناك، توفي في حدود 950هـ، انظر **الجذوة** لابن القاضي، ج1، ص344، **وشجرة النور** لابن مخلوف، ج1، ص278.

فيه تأليفا ردّ به على من نقل طهارته سلك في هـ طريق المعقول فناقضه، والرّد على عبد الوهاب الزقاق في زعمه صحة الخلف في وعيده تعالى، وتأليف في الرّد على من زعم أنه لا إله إلاّ الله لا ينتفي بها ألوهية صرم وغيره[1].

كما أجاب ابن غازي عالم فاس (ت.1513) علماء تلمسان عن سؤال وجهوه إليه حول مراتب العلم عند العشر(أصحاب القراءات)، وكيفية ترتيب ذلك عند الجمع ، ففصّل القول فيه حسب القواعد المقررة ؛ عند أرباب العشر ويرى البعض أنّ هذه الرسالة ليست هي الرسالة المعنونة بـ "المسائل الحسان المرفوعة إلى حبر فاس والجزائر وتلمسان "[2]. وعليه شكّلت الأسئلة والردود المتبادلة بين النخب العلمية المغاربية مظهرا آخر من مظاهر الحراك الفكري ؛ الذي تمّ في ظله الأخذ والعطاء وحصل من خلاله التقارب و والتأثير والتأثر، كما أنها تجسد حلقة أخرى من حلقات التواصل الثقافي والتآصر العلمي بين أقطار بلاد المغرب.

خامسا: الإجازات.

تعتبر الإجازة في ذلك الوقت شهادة يمنحها الشيخ للطالب، يأذن له من خلالها أن يروى عنه كتبه ومرو يّاته، ونظرا لأهميتها اهتم أهل العلم بالحصول عليها من العلماء ذوي الشهرة الكبيرة والعلم الوافر[3]، والإجازات عادة ما تتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة ؛ ولكن صيغتها رغم موضوعها وثبوتها على شكل واحد تقريبا ، كانت أقرب إلى الأسلوب الأدبي[4]، لذلك كانت هجرة العلماء وتنقلاتهم بحثا عن الهدوء والاستقرار، وتولّي المناصب العلمية الرفيعة مجالا مجالا لعقد حلقات التدريس التي أقبل عليها المغاربة فقرأ وا عليهم واستجازوهم[5]، ومن جملة هؤلاء العلماء الشيخ العلامة محمد شقرون بن هبة الله، الذي قدم على فاس سنة 1559م؛ ومن تلامذته المغاربة محمد بن عسكر(1529م-1578م) الذي لازمه سنين طويلة؛ وأخذ عنه علوما جمة، فأجازه مرتين،الأولى عام (969هـ/1561م).

ومما جاء في نص الإجازة : « الحمد لله أجزت الفقيه، الوجيه المحترم النزيه، الحسيب الأصيل ذات الأصل الصميم والنسب الفاضل العميم، العلم الحجة القاضي الأعدل أبو عبد الله محم د بن سيدي علي عسك ر جميع مروياتي وكل مسموعاتي عن أشياخي تغمدهم الله برحمته وأسكنهم فسيح جنته، فليرو عنّي ما رويت وليتحدث بما سمعت على شرط الإجازة ووصفها . إجازة صحيحة ثابتة كما يجب »، وتتميز هذه الإ جازة بكونها جد مختصرة خلافا لغالب الإجازات .

---

[1]. أحمد بابا التنبكتي: **المصدر السابق**، ص 596.

[2]. سعيد أعراب: **القرّاء والقراءات بالمغرب**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 81.

[3]. ليلى غويني: **التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**، ص 215.

[4]. أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج2، ص 183.

[5]. فوزية لزعم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائرية العثمانية(1518-1830)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر،السنة الجامعية 2005-2006، ص 100.

والثانية سنة (972هـ/1564م) حيث أجازه في عقائد السنوسي وشروحاتها، ومحصل المقاصد للشيخ ابن زكري، حسبما أجازه في ذلك شيخه أبو عثمان المنوئي، كما أخذه عن الشيخين بإجازتهما له في ذلك جملة وتفصيلا [1]، وفي المقابل قام الفقيه المقرئ سيدي أحمد بن محمد الدقون (ت.921هـ) خطيب جامع القرويين بفاس ؛ بإجازة منظومة للمقرئ الحافظ شقرون بن أبي جمعة المغراوي (ت.927هـ/1529م) ومما أجاز لأبي جمعة المذكور:

أجاز لك الدقون يا نجل سيدي ..... أبي جمعة المغراوي كل الذي روى

فحدّث بما إستدعيت فيه إجازة ..... وسلم على من خالف النفس والهوى [2]

ومن جملة فقهاء تلمسان الذين وردوا على فاس ، أحمد بن أحمد العبادي الذي وجد حظوة لدى السلطان أبو عبد الله الغالب واشتغل بالتدريس، وممن أخذ عنه الشيخ محمد بن عسكر ؛ الذي لقيه وأخذ مروياته، وأجازه العبادي في سلسلة مشايخ الصوفية وفي الحاجبين الأصلي والفرعي، وكتب له بذلك وأجازه بهذه العبارة « أجازني والدي رحمه الله الحاجبين عن الشيخ محمد بن عيسى البطوئي...»، ثم سرد سنده إلى الإمام ابن الحاجب[3].

ونظرًا للمكانة التي تبوأتها قسنطينة كأكبر الحواضر العلمية خلال القرن 10هـ/16م، لم يفوّت علماء المغرب الأقصى فرصة الأخذ عن علمائها ؛ كالشيخ سعيد الماغوسي الشهير بالحاج أبي جمعة (950هـ/1016هـ) الذي نزل بها أثناء رحلته إلى المشرق، وأخذ على بعض أعلامها كالوزان والعطار، كما قرأ على الشيخ عبد الكريم بن يحي الفكون " مختصر السعد " و " مختصر ابن الحاجب الأصلي " فأجازه [4]، وإجازة الشيخ ابن خروف التونسي (ت.1558م) للشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني؛ لما ورد عليه بجامع القرويين في فاس سنة 956هـ/1549م، طالبا منه أن يجيزه بكتب الحديث وكتب العلم معقولا ومنقولا مما أخذه عن مشايخه، فأجازه ، ويقول في ذلك ابن خروف : « فاستخرت الله تعالى وأجزته بالكتب الستة، الموطأ، والبخاري، ومسلم، والترمذي والسنن لأبي داود، والنسائي وغيرها من كتب الحديث كالأربعين حديثا التي قرأها عليّ وغيره، وكذلك أجزته بفهرسة شيخ شيخنا العلامة فقيه عصره المشارك المتفنن المفيد خطيب جامع القرويين أبي عبد الله محمد بن غازي . وكل ما اشتملت عليه من كتب المعقول والمنقول وعجائب وغرائب ولطائف وفوائد من منظوم ومنثور ...» وطلب ابن خروف من الشيخ المذكور الحديث عنه وإجازة من

---

(1). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 117.
(2). الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج3، ص 309.
(3). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 118-119.
(4). فوزية لزعم: **المرجع السابق**، ص 127-128.

يراه أهلا لذلك إذ يقول : « وقد أذنت للطالب المذكور سيدي الشريف أن يحدث عنّي و أن يجيز لمن طلب منه ذلك بما صحّ عنده أنّه من مروياتي وثبت لديه أنّه من مجازاتي.. »[1].

كما أجاز الشيخ أبو عبد الله محمد بن غازي الفقيه الخطيب المفتي أبو الحسن علي بن هارون المطغري التلمساني(ت.951هـ)، الذي لازم شيخه بفاس 29 سنة، وقد ذكر هذه الإ جازة ابن هارون في ثبته، وكانت عامة شاملة لكل الفنون، كما أباح له الشيخ ابن غازي رواية كل ما أخذه عنه من مسموع ومقروء، إذ يقول : « وقد أذن لي أن أروي جميع ما ذكرته وجميع ما احتوت عليه فهرسته مع ذيلها المكتوب هذا بآخره وجميع ما يجوز له وعنه روايته من مقروء ومسموع مفرق ومجموع ومجاز ظاهرا أو مكنون في أي فن من الفنون...»[2].

ويذكر المنجور صحة هذه الإجازة، وأنها كانت سنة 906هـ، ووجدها أسفل ثبت ابن هارون مفصلا به بخط الشيخ ابن غازي، إذ يقول: « صحيح ذلك وكتب متلفظا بالإ جازة الموصوفة فوقه محمد بن علي بن غازي العثماني سمح الله في أوائل صفر عام سبعوتسعمائة عرّفنا الله خيره بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد – صلى الله عليه وسلم – وشرف وكرم هذا تمام الإجازة وهذا ما قرأ شيخنا ابن هارون على شيخنا ابن غازي من عام قدوم ابن غازي على فاس إلى هذا التاريخ المذكور..»[3]، وعليه فالإجازات مثّلت هي الأ خرى إحدى دلائل الأخذ والعطاء ، أو التلقي المعرفي والعلمي في ظل التأثر والتأثير الحاصل بين الطالب وشيخه ، وكانت شكلا من أشكال الحراك الفكري القائم بين علماء المغرب ، وحلقة من حلقات التواصل الثقافي المغاربي القائم بين أبناء المنطقة من مثقفيها.

سادسا: انتقال المصنفات العلمية.

إنّ النشاط الذي عرفته حركة تبادل الكتب وشرائها ونسخها، من أهم أوجه الحراك الفكري بين بلدان المغرب، والتي شكّلت أحد روافد الا تصال الثقافي؛ لاسيما إذا كانت هذه المؤلفات التي تناقلها العلماء وأشاعوها في بيئتهم ؛ قد أثارت النقاش أو الاهتمام، ومن المعلوم أنّ الكتاب حينما ينقل من جهة إلى جهة قد يصاحبه استحسان فيتم شرحه إن كان متنا مركزا، ويحشّى ويعلق عليه إن كان في حاجة إلى الزيادة والإتمام، وينتقد أو يردّ عليه إن كانت مواقف صاحبه تدعو إلى ذلك، وبذلك يكون ردّ الفعل الذي يحدثه العمل التأليفي بانتقاله من وسط إلى وسط ومن بيئة إلى بيئة، أكبر رابط لعملية التواصل الثقافي[4].

---

(1). عبد الواحد السجلماسي: **الإتمام ببعض من لقيته من علماء الاسلام**، تقديم وتحقيق: نفيسة الذهبي، ط1، مطبعة الرباط نت، المغرب، 2008، ص 79-80-81.

(2). أحمد بن علي المنجور: **الفهرسة**، تحقيق: محمد حجي، (د.ط)، دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1976، ص 40-41-42.

(3). أحمد المنجور: **المصدر السابق**، ص 43-44.

(4). عبد الله المرابط الترغي: **الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل** من كتاب: **السفر في العالم العربي الإسلامي**، ط1، المغرب، 2003، ص 30.

ونظرا لأهمية المؤلفات، كان بعض الشيوخ يقول : « آلة تحصيل الطالب : كتب صحاح وشيخ فطّح ومداومة وإلحاح »[1]، ونذكر على سبيل الا ستشهاد أهم المؤلفات ، التي حظيت بإقبال المغاربة على اقتنائها؛ والتي شكلت مراجع هامة بالنسبة إليهم ومنها : صحيح البخاري والرسالة لأبي زيد القيرواني ، ومختصر خليل في الفقه ومختصر ابن الحاجب، وجمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه [2]، وفي علوم القرآن : الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي، وكتاب أحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الطبري، وكتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي عبد الحق بن عطية الأندلسي[3]، وعقائد السنوسي في التوحيد، وألفية ابن مالك والأجرومية في النحو ، والجوهر المكنون في البلاغة والخزرجية في العروض، والسلم المرونق للأخضري في المنطق والتلمسانية في الفرائض ، والشاطبيتان الكبرى والصغرى في القراءات وتلخيص البناء في الحساب [4]، أما المصنفات الصوفية فقد ظلت نفس المؤلفات السابقة المتداولة ، التي انتقلت من المشرق إلى المغرب منذ القرن 5هـ؛ مثل مؤلفات المحاسبي وكتاب الإحياء والرسالة القشيرية، وقوت القلوب لأبي المكي وحلية الأولياء لأبي نعيم وغيرها [5]،كما اهتم العلماء بالشروح على غرار : شرح الشقراطية، شرح الرسالة القشيرية، شرح ابن عاشر، شرح الوغليسية؛ أما الحواشي فإنّ جل علماء بلاد المغرب قدّموا حواشي على نفس المؤلفات منها : حاشية على العقيدة للسنوسي، حواشي حول صحيح البخاري وغيرها [6].

وكانت الكتب التي تصل بلدا مغاربيا من المشرق أو تؤلف فيها من قبل علمائها ، سرعان ما تنتقل إلى البلد المجاور ومثل ذلك يحصل أيضا بالنسبة للكتب التي تؤلف في القطر المجاور، وطرق انتقالها متعددة، وإحداها الا نتقال مع طلبة العلم والعلماء الذين ينتقلون من بلد إلى آخر، فمختصر خليل في الفقه الذي وصل من الجزائر إلى المغرب، نقله عالم جزائري انتقل إلى المغرب وكذلك الحال بالنسبة لعقائد السنوسي (الصغرى- الوسطى- الكبرى)، التي ألّفها محمد بن يوسف السنوسي (ت.1490م) في التوحيد ، نقلها أحد الطلبة المغاربة من تلمسان إلى المغرب فأقبل الناس على حفظها وقراءتها [7]، إذ يشير ابن عسكر في ترجمة الشيخ أبي عبد الله الورياجلي أنه نذر على نفسه أن لا تفارقه عقيدة السنوسي الصغرى، وأنه جعلها في جيبه على الرغم من جلال قدره وسعة علمه [8].

---

(1). أحمد المنجور: **المصدر السابق**، ص 65.
(2). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 139.
(3). أحميدة عميراوي: **بحوث تاريخية**، ط2، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2006، ص 93.
(4). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 139.
(5). الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ و 7هـ**، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 82-83.
(6). ليلى غويني: **التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث**، ص 225.
(7). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 140.
(8). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 122.

وقد ازدهر علم الكلام في تلمسان مع الشيخ السنوسي، لهذا نشر المهاجرون من تلاميذه كتبه في المغرب فـاعتمدوها وراجت بينهم [1]، ويقول أحمد المنجور في فهرسته أنه قرأ العقيدة الكبرى لمحمد بن يوسف السنوسي قراءة تفهم على يد الفقيه أبي العباس أحمد بن جيدة الوهراني [2].

وكانت الأقطار المغاربية نقاط عبور للمصنفات العلمية المشرق تي الأندلسية، فقد تميزت ليبيا بوجود مؤلفات علماء المشرق وهي نادرة الوجود في المغرب، وكذلك الأمر بالنسبة للمغرب فيما يتعلق بالمؤلفات الأ ندلسية، ومن هنا يقع التبادل على نطاق المغرب العربي الكبير [3]، ومن الأمثلة على ذلك نذكر أنّ الشيخ محمد بن أحمد اليسرتيني لما انتقل في رحلته من الجزائر إلى تونس، أخذ عن علمائها على غرار أبي عبد الله بن الرفيع؛ الذي أتحف الشيخ بنسخته من القطب التي خطها بيده والتي انتقلت ملكيتها إلى المنجور [4]، وما يؤكد هذا ما جاء في رحلة التمجروتي أثناء عودته ودخوله الجزائر، إذ قال أنّ الكتب أوجد فيها من غيرها خاصة الكتب الأندلسية [5]،وكان الفقيه النحوي علي بن أبي بكر السكتاني الذي تولى قضاء مراكش مدة طويلة؛ لا يملّ من مطالعة كتب النوازل والبحث عنها وغيرها من كتب التفسير، وكان يكتب بيده ويستأجر ويشتري بالمال الكثير، وقد استنسخ نوازل أبي العباس الونشريسي وهو أول من أخرجها [6]. ولعل هذا الاهتمام بالمصنفات يبرز مع الشيخ أبو الغيث القشاش، الذي ملك أكثر من 03 آلاف كتاب، والتي كانت تأتيه هدية من المشرق والمغرب ومن السلطان العثماني ؛ وتأتيه حتى من النصارى ويكافئهم عليها، وكان مولعا بجمع " البخاري " وقد وجد لديه منه ألف نسخة [7].

وقد كان انتقال الكتب يتم أيضا بين أقطار بلاد المغرب في مواسم الحج، عن طريق الحجاج المغاربة الذين كانوا يأتون معهم بالكتب لمبادلتها ؛ أو يقومون بنسخ ما يجدونه من الكتب القيّمة [8]، كما أنّ الشيخ اليسرتيني عالم فاس لما حجّ إلى البقاع المقدسة لقي العديد من أهل العلم ؛ منهم أبا فارس عبد العزيز اللمطي الذي كان آية الله في التوسع في العلوم، وقد بعث هذا الأخير لأخيه في فاس الشيخ أبي عمرو عثمان تأليفا له منظوما، يشمل على نيف وعشرين فنّا نظمه حلو رشيق يدل على تبحره وتفننه [9]، كما اهتم علماء المغرب باستعارة الكتب والمؤلفات، إذ يذكر أبو القاسم

---

(1). فوزية لزعم: **المرجع السابق**، ص 68.
(2). أحمد المنجور: **المصدر السابق**، ص 28.
(3). محمود جمعة الزريقي: **المرجع السابق**، ص 467.
(4). أحمد المنجور: **المصدر السابق**، ص 32.
(5). التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 90.
(6). أحمد المنجور: **المصدر السابق**، ص 39.
(7). أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص 279.
(8). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 140.
(9). أحمد المنجور: **المصدر السابق**، ص 36.

العياشي في رحلته (1072هـ/1661م) أنه إلتقى الشيخ محمد المكني (ت.1056هـ) أحد علماء طرابلس، الذي تولى الإفتاء بها واشتغل بالتدريس والخطابة ، وذكر أنه يمتلك مكتبة كبيرة، وقد استعار الرحّالة منه كتابين : كتاب المطول لسعد الدين وكتاب العضد على مختصر ابن الحاجب [1]، إنّ النشاط الذي عرفته حركة تبادل المؤلفات وشرائها ونسخها ونسخها من أهم أوجه التفاعل وصورة من صور الإمتزاج والتقارب الثقافي بين النخب المغاربية، كما أنها تمثل إسهاما من هذه الفئة في التعريف بالنتاج الفكري لعلماء هذا الفضاء الجغرافي المترامي ، وعليه فإنّ انتقال الكتب يمثل إحدى قنوات الحراك الفكري للعلماء، ورابطا من روابط الاحتكاك والتواصل وإحدى آليات التلاقح الثقافي بين مثقفي بلاد المغرب، في عصر انعدمت فيه وسائل الاتصال الحديثة، فأصبحت المصنفات معرضا للثقافة بكل فروعها.

سابعا: التصوف.

الظاهر أنّ المغرب الإسلامي لم يكن بدوره بعيدا عن ظاهرة التصوف، وظهرت فيه حركة دينية في هذا الاتجاه، وبرز متصوفون لامعون قبل القرن 16م، منهم أبي الحسن الشادلي، عبد السلام بن مشيش وأبا مدين شعيب وغيرهم، وتبعهم في ذلك عبد الرحمن الثعالبي ومحمد الهواري وإبراهيم التازي؛ ومحمد بن يوسف وغيرهم من المهتمين بالحركة الصوفية على مستوى العالم الإسلامي [2]، فالفكر المغاربي في خصوصياته العلمية لا يعرف انتشارا خارج حدوده الجغرافية، إلاّ عبر قوافل رجال التصوف، فحين غابت شروط التواصل الحضارية؛ وتقلبت العلاقات والروابط في ظل الانحطاط وارتفاع سدود العزلة؛ برز التصوف كعامل موحد بين أقطار شمال إفريقيا، وكثقافة مشتركة تسمح على الأقل بالإحساس بالتواصل ووحدة الانتماء، فلا يمكن الحديث عن الشادلي وزروق والتيجاني ؛ إلاّ كثقافة أو جسور ربطت بينها، وأبقت على روابط روحية فكرية حافظت على التواصل والوحدة المفقودة على سائر المستويات [3]، ولعل من بين الطرق الصوفية التي شكّلت محاور للالتقاء؛ وروافد للتقارب وقنوات للحراك بين أقطار بلاد المغرب :

* الطريقة القادرية : المشرقية الأصل، والتي تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني (ت.1166م) وهي طريقة نشأت في بغداد، وانتشرت في المغرب العربي عن طريقين هما مصر والأندلس، حيث استقر في مصر أحد أبناء الشيخ الجيلاني وهو الشيخ عيسى مؤلف " لطائف الأنوار" في التصوف، أما في الأندلس فقد لعبت ذرية ولديه : إبراهيم وعبد العزيز دورا

---

(1). عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية "ماء الموائد" (1661م–1663م)**، مج1، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص 145-146.

(2). أحمد مريوش و آخرون: **المرجع السابق**، ص 89.

(3). عبد المجيد الصغير: "**من أجل إعادة تقويم الحدث الصوفي بالمغرب**"، من كتاب: **الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، الرباط، المغرب، 1997، ص 276.

كبيرا في نشر تعاليم القادرية في المغرب العربي؛ بعد هجرتهم من الأندلس إلى فاس [1]، والتي اختلطت تعاليمها بالطريقة الشادلية وقد عرفت ازدهارا ملحوظا بعد دخول العثمانيين إلى الجزائر [2]، ثم انتقلت أيضا إلى ليبيا على يد أبي مدين المغربي، ونجد في طرابلس في القرن 9هـ، أحد شيوخ القادرية الذين كان لهم دور كبير في نشرها، فقد أورد العلامة البلوي في ثبته أنّ عبد الجبار الفجيجي، أخذ سنده في النظرة، بمدينة طرابلس الغرب عن عبيد الله بن محمد بن فاضل الغرابلي الذي يصل سنده إلى عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة [3].

* الطريقة الشادلية: نسبة إلى أبي الحسن الشادلي (ت.656هـ)، من أشهر الطرق بشمال إفريقيا ومن أقدم الطرق الصوفية استقرارا بالمغرب، حيث كان مركزها : بوبريت في مراكش، و هي من الطرق الأولى التي أدخلت التصوف إلى منطقة المغرب، وانطلقت من مركزها لتنتشر انتشارا واسعا في الجزائر، نتيجة مرونة تعاليمها و اعتدال نهجها [4]، وتونس التي يرى البعض أنها مكان ميلاد الطريقة الشادلية [5]، ومن مظاهر شيوعها تلك الموقعة التي حدثت بين السلطان أحمد الحفصي والنصارى، التي خرج فيها الشيخ سيدي علي المحجوب؛ الذي وقف عند كدية القيروان، وأخذ قبضة من التراب ومسكها في يده، وقرأ حزب البحر[*] للشيخ أبي الحسن الشادلي، وعند تمام قراءته رمى بها نحو الكفرة [6]، وفي ليبيا ذكر الخروبي أنه أخذ الأحزاب والوظائف الشادلية عن ابن عمة والدته الحاج محمد بن الحاج تمّام، الذي كان أحد شيوخ الدائرة الشادلية [7]، لذلك فقد كانت لها السيادة المطلقة، حيث تنتسب إلى هذه الطريقة معظم الطرق الصوفية الفرعية.

الفرعية.

* الطريقة الجازولية الشادلية: التي أسسها محمد الجزولي، الذي ينتسب إلى جدّه محمد بن سليمان؛ الذي كان من أكابر مشايخ الصوفية في القرن 15م، وقد كثر أتباع طريقته بعد وفاته.

---

[1]. الطاهر مختار فيلالي: **المرجع السابق**، ص 37.

[2]. أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830م)**، ج1، ص 513.

[3]. علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 591.

[4]. صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 99.

[5]. أحمد مريوش و آخرون: **المرجع السابق**، ص 94.

[*]. **حزب البحر**: حقيقة الحزب عند الصوفية الورد المعمول به تعبدا ونحوه، وفي الإصطلاح مجموعة أذكار وأدعية وتوجهات للذكر والتذكير والتعوذ من الشر وطلب الخير، واستنتاج المعارف وحصول العلم، مع جمع القلب على الله سبحانه وتعالى، وقد قال أبو الحسن الشادلي في شأن حزبه الكبير" من قرأه كان له مالنا وعليه ما علينا" أي له ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة، انظر **مرآة المحاسن** للإمام أبي حامد، ص 140.

[6]. ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 157.

[7]. علي محمد إبراهيم أبوراس:**المرجع السابق**، ص 592.

* الطريقة الزروقية : التي تنتسب إلى مؤسسها الشهير أبي العباس أحمد بن عيسى البر نسي الفاسي (ت.899هـ/1494م)، التي كان لها أتباع في الجزائر [1]، وفي ليبيا التي استوطنها وكان له بها تلاميذ مثل : الخروبي، محمد بن عبد الرحمن ومحمد البرموني وأبي العباس أحمد بن غلبون، غير أنّ هذه الطريقة لم يكتب لها الا نتشار الواسع بين العامة لشدة تعاليمها [2]، كما كان للنشاط الذي قام به تلاميذ الشادلي بالمغرب ؛ أن تفرعت عن الشادلية أيضا الطريقة المدنية في ليبيا نحو 1450م، والطريقة العروسية ومؤسسها أحمد بن عروس الهواري [3] دفين تونس (ت.868هـ)، الذي انتقل إلى ميلة حيث انتصب لتعليم الصبيان القرآن الكريم، ومنها رحل إلى المغرب الأقصى وتردد على العلماء ورجال التصوف ثم عاد إلى تونس، حيث التفّ حوله الأتباع والمريدون ؛ وأُطلق عليه اسم سلطان المدينة، حتى أنّ أحد أمراء الحفصيين لازم هذه الطريقة مدة طويلة [4]، وقد انتشرت هذه الطريقة، وكُتِبَ لها الذيوع والشيوع بفضل عبد السلام الأسمر (ت.1573م)، دفين زليتن؛ الذي وضع أسس هذه الطريقة ووضع أورادها وأرسى دعائمها، وقد وجدت تربة خصبة صالحة لنموها وازدهارها في الأقاليم الليبية [5]، والطريقة اليوسفية التي تنتسب إلى مؤسسها أبي العباس أحمد بن يوسف المليانى الجزائري (ت.931هـ/1524م)، الذي كان من أكابر مشايخ الصوفية ، وكان له أتباع كثيرون في الجزائر والمغرب وقد أفرط بعضهم في الاعتقاد فيه؛ وربما نسبوا له النبوّة، ومن هؤلاء المدعو ابن عبد الله [6].

والطريقة العيساوية التي تنتسب إلى مؤسسها محمد بن عيسى (ت.930هـ/1523م) دفين مكناس؛ حيث توجد الزاوية المركزية ، والتي انتشرت في الجزائر وكان لها أتباع [7]، كما انتشرت زواياها في جميع الأقاليم الليبية [8]، والطريقة الشابية التي عرفت بإسم مؤسسها أحمد بن مخلوف الشابي ؛ الذي تتلمذ على يد أحمد بن عروس الهواري ؛ ولازم الشيخ علي المحجوب، وانتشرت الشابية انتشارا واسعا مع الشيخ عرفة؛ الذي جعل القيروان مركزا دينيا وسياسيا [9]، والتي كان لها لها زوايا عديدة في تونس والجزائر، وكان عملها دينيا وسياسيا ، وامتد نفوذها من عنابة إلى واد سوف، وإلى كل من القالة

(1). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية** ، ص 137.
(2). علي محمد إبراهيم أبوراس: **المرجع السابق**، ص 591.
(3). عمار هلال: **الطرق الصوفية**، ص 106.
(4). صلاح مؤيد العقبي: **المرجع السابق**، ص 161.
(5). حبيب وداعة الحسناوي: **الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا**، ص 54.
(6). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 125.
(7). صلاح مؤيد العقبي: **المرجع السابق**، ص 170.
(8). محمود جمعة الزريقي: **المرجع السابق**، ص 457.
(9). صلاح مؤيد العقبي: **المرجع السابق**، ص 166.

وسوق أهراس وتبسة، والأوراس [1] التي نجح عبد الصمد الشابي من السيطرة على سكانها؛ وكان يقوم بفلاحة سهول باغاي لحسابه [2]، وبذلك كان للطرق الصوفية تأثير واسع، حيث انتشرت في العديد من المناطق عن طريق طلب العلم والمعرفة، وحتى من خلال الرحلات إلى الأماكن المقدسة، وإلى الكثير من المدن الثقافية التي ازدهرت بها دور العلم والفكر والتقوى، سواء كان في ذلك في المغرب الأقصى أو تونس، أو القاهرة أو الحجاز أو بلاد الشام وحتى تركيا [3].

وما يلاحظ من جانب آخر أنّ الروح الصوفية تتغلغل حتى داخل المؤلفات، كما نرى ذلك عند الشيخ عبد الرحمن الأخضري في تأليفه " السلم المرونق" حين حاول التوفيق بين علم الظاهر والباطن، ومثله الشيخ السنوسي، صاحب التآليف في العقيدة الذي نجده يدافع فيها عن الجانب الصوفي [4]، وبذلك تكون التجربة الصوفية وسعت من المجال للثقافة المغاربية، وعمقت الإ شعاع الروحي بين أقطار شمال افريقيا، ولهذا لما سئل الإمام الحافظ إبراهيم بن اسماعيل الأجدابي عن علمه من أين أخذه، ولم تكن له رحلة فقال: « اكتسبته من بابي هوارة وزناتة »، ويقصد أنه كان يلتقي العلماء الذين يفدون على طرابلس من المشرق والمغرب، فيأخذ عنهم العلم خلال إقامتهم [5].

إنّ كثرة الطرق الصوفية دفعت كل واحدة منها إلى السعي لا ستقطاب أكبر عدد من الأتباع والمريدين ، ما أسهم بشكل عملي في تمتين الروابط وتفعيل ديناميكية الحراك الفكري القائم بين علماء بلاد المغرب ، في ظل الحركة الصوفية كصلة من صلات التواصل الثقافي ، فسلطة المؤسسات الصوفية عملت على تنظيم ال علاقات الاجتماعية، فتخطت الصعيد الإقليمي المحدود وضيق الأقاليم إلى فضاء أرحب؛ بعد كسر طوق الحدود الجغرافية المغاربية ، نظرا للا متداد الشبكي لهذه الطرق و ارتباطها بزواياها المنتشرة في أغلب أصقاع المنطقة، فالتصوف مصدر من مصادر المدد والتواصل الروحي في مختلف الأزمنة والأمكنة.

المبحث الرابع : حركية العلماء المغاربة بين اقطار بلاد المغرب في القرن 16م :

إنّ علاقات الجوار بالرغم من الاختلافات السياسية والمذهبية، قد فسحت المجال أمام تعزيز التبادل الث قافي وإرساء دعائم ثقافة مغاربية ، قوامها تبادل الزيارات بين العلماء والمتصوفة ، فظهرت رموز وأعلام جسّدت وحدة الحقل الثقافي المغاربي.

---

(1). أحميدة عميراوي: **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال**، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2002، ص 26-28

(2). محمد بن محمد بن عمر العدواني: **تاريخ العدواني**، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص 336.

(3). أحمد مريوش و آخرون: **المرجع السابق**، ص 94.

(4). سليمان عنابي: "**الحركة الصوفية ابان العهد العثماني في الجزائر**"، مجلة الدراسات الاسلامية، العدد 07، الجزائر، جوان 2005، ص 40.

(5). الحسين الورتيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، ص 329.

أولا: علماء الجزائر.

عرفت الهجرة العلمية الجزائرية نشاطا ملحوظا خلال القرن 10هـ/16م، إذ تم إحصاء حوالي 13 عالما كانوا في المغرب الأقصى، على الرغم من الظروف السياسية والعسكرية التي كانت تعيشها البلاد، والتي لم تكن في صالح العلم وأهله [1].

ومن علماء هذا العصر في المغرب نذكر :

* أحمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي ثم الوهراني : الفقيه العالم الأستاذ المقرئ المتكلم، المعروف بالسيد شقرون لكونه أشقر اللون أحمر العينين، جهير الصوت ؛ قدم على فاس ودرس بها، وكان من الفقهاء الأعلام، أخذ عن الإمام الشيخ ابن غازي، وعن أبي العباس الدقون، له العديد من التآليف منها " الجيش الكمين في الكّر على من يكفِّر عوام المسلمين" و " جامع جوامع الاختصاص والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان"، توفي سنة 930هـ/1524م [2].

* عبد الواحد بن أحمد بن يحي الونشريسي: الفقيه العلامة، انتهت إليه رياسة العلم، وجمع بين الخطط الثلاث (الفتوى والقضاء و التدريس) بفاس، وهو الذي وقّع معاهدة الهدنة بين السلطان السعدي محمد الشيخ الشريف والسلطان أبي العباس أحمد المريني [3]، وكان له مجلس خاص لا يحضره إلاّ الفحول من الفقهاء ؛ كابن الزقّاق والإمام اليسيتني وغيرهما. تولّى القضاء 18 عاما، وكان « فصيح العبارة، آية في إنشاء الخطب البليغة، قويم الطبع، ورقيقه يهتز لسماع الألحان وآلات الطرب، وفتاويه محررة محققة، يطالع الكتب والنوازل »، توفي مقتولاً سنة 1549م على نحو 70 سنة، وله شرح على ابن الحاجب في أربعة أسفار [4].

* أحمد بن محمد بن جيدة المديوني الوهراني : من كبار فقهاء المالكية في عصره، ولد وتعلم ونشأ بوهران، ومنها رحل إلى فاس، حيث جلس للتدريس فأخذ عنه عدد من العلماء وطلبة العلم [5]، أخذ عن الشيخ محمد بن يوسف السنوسي مقدمته الصغرى في العقائد، وعن الكفيف ابن مرزوق الذي كان يطالع له، والتصوف عن ابن تاغروت؛ وفي المقابل أخذ عنه بفاس الشيخ أحمد المنجور، توفي بمدينة فاس سنة 951هـ/1544م [6].

---

(1). عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 117.

(2). الكتاني :**سلوة الأنفاس**، ج3، ص 353، انظر كذلك: **دوحة الناشر**، ص 125-126.

(3). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 52-53.

(4). أحمد بابا التنبكتي: **المصدر السابق**، ص 289.

(5). عمار هلال: "**العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين 10م و 20م**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 09، بوزريعة، الجزائر، 1995، ص 30.

(6). ابن القاضي المكناسي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، ج1، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973، ص 158.

* أحمد بن محمد بن قاسم العقباني : من علماء أواخر القرن 10هـ، ولد ونشأ وتعلم بتلمسان، واستقر به المقام بفاس فاشتغل بالفتوى المالكية والتدريس، الى أن توفي سنة 980هـ/1572م [1].

* محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني : (1502م-1573م) من أكابر علماء عصره، كان إماما في علم الكلام قدم على فاس في صدر أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشريف، فقلده الفتوى وتولى خطط الإمامة والخطابة والتدريس بجامع الأندلس ثم القرويين، لقي المشايخ وأخذ عنهم بتلمسان ، وطالت أيام رياسته بفاس إلى أن أدركته الوفاة سنة 981هـ/1573م، ويذكر ابن عسكر أنه لقيه مرارا وفاوضه في مسائل عديدة [2].

* محمد شقرون بن محمد بن هبة الله الوجديجي التلمساني : (1503م-1575م) المعروف بشقرون التلمساني، نزيل فاس ومفتي مراكش، كان فقيها علامة مشاركا في كل فن، كتّي بمالك الصغير في زمانه، تأتيه الفتاوى شرقا وغربا، كان متضلعا في الحساب والفرائض والبيان والمنطق والتفسير [3]، استوطن فاساً بعد أن قدم إليها من تلمسان سنة 967هـ؛ فعظمه سلطان المغرب وولاه الفتوى بحضرة مراكش وسائر أقطار المغرب، وانتفع الناس بعلومه، وممن أخذ عنه أبو إسحاق إبراهيم الشاوي المراكشي، وابن عسكر صاحب الدوحة، و أبو العباس المنجور، توفي بفاس سنة (983هـ/1575م) عن عمر يناهز 75 سنة [4].

* أحمد بن أحمد العبادي التلمساني: من فحول العلماء، كبير الهمة عزيز العلم، لقي المشايخ وأخذ عنهم وتفقه على يد والده، قدم على فاس مع جماعة من علماء تلمسان عام 968هـ، لما رحّلهم السلطان السعدي أبي عبد الله الغالب بسبب فتنة وقعت بينهم وبين الأتراك، فحظي بمكانة مرموقة وإقامة جليلة، وتصدر للتدريس في فاس ثم انتقل إلى مراكش، ورجع منها إلى تلمسان واستقر أخيرا بمليانة [5]، توفي نحو(980هـ/1572م)، وكان من أكابر علماء عصره [6].

عصره [6].

* محمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الوقاد : (ت.1001هـ/1593م) من علماء تلمسان الذين شدّوا الرحال إلى المغرب الأقصى، فاستقر بتارودانت أين تولى وظيفة الإفتاء ، غير أنه اضطر إلى مغادرة المنطقة بعد 06 أشهر لأنه كان يجهل اللغة البربرية، فاستقر بسجلماسة أين تولى وظيفة الإفتاء والقضاء، ثم تولى الوظيفتين بمكناس، ثم أصبح خطيبا

---

(1). محمد بوشنافي: **المرجع السابق**، ص 102.
(2). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 123.
(3). ابن مريم: **المصدر السابق**، ص 407.
(4). الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج3، ص 358.
(5). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 118.
(6). عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية**، ص 119.

بجامع الأندلس بفاس، وفي الأخير عاد إلى تارودانت أين تولى الفتوى والخطابة ؛ وكان له الفضل في تعريب المنطقة [1] أخذ العلم عن التنسي وختم عليه ا لبخاري 16 مرة، وكان من الزّهاد يحذّ ر من الملوك وأصحاب السلطان وكثيرا ما كان ينشد قائلا:

كُل التراب ولا تعمل لهم عملاً ..... فالشر أجمعه في ذلك العمل [2]

* أبو الحسن علي بن هارون المطغري التلمساني : (ت 951هـ/ 1545م) الذي كان من فحول الفقهاء وأكابر العلماء حيث تفقه على ابن غازي وغيره من أجلاّء علماء فاس؛ التي درّس وأفتى بها وانتهت إليه رئاسة العلم.

وقد قال عنه المنجور :« كان فقيها مفتيا خطيبا أستاذا فرضيا ، لازم ابن غازي نيفا وعشرين سنة ، حتى قيل له خزانة العلم لكثرة الفنون»، وذكر اليسيتني أنه أفقه من عبد الواحد الونشريسي لملازمته ابن غازي [3].

إنّ رجالات الفكر من تلمسان الذين تقاطروا على المغرب من أوائل أيام الدولة السعدية؛ استحقّوا الرعاية والحظوة لأنهم أثبتوا جدارتهم لهذا التقدير، بفضل تضلعهم في العلوم الدينية، في بلد لا يزال يزن فيه المجتمع الحضري حياته اليومية؛ بتعاليم الشريعة وتوجيهات ذوي الورع والفكر الديني، فمارسوا مهام القضاء والتدريس ؛ وشغلوا مكانا ممتازا في إطار الفقه المالكي، وأسهموا في الإشعاع الثقافي بوجه عام[4].

ولم تكن اتصالات علماء الجزائر بالمغرب الأقصى مقصورة على علماء تلمسان ووهران أي الغرب الجزائري، بل هناك علماء من الشرق الجزائري انتقلوا إلى المغرب نذكر منهم:

* أبو القاسم بن سلطان القسنطيني : الفقيه المعقولي نزيل تطوان ، الذي ألّف كتاب في مجلدين في الرّ د على الطائفة الأندلسية، أخذ عن أبي العباس المنجور؛ وله رحلة إلى المشرق أدّى فيها فريضة الحج، لقي هناك جماعة أخذ عنهم كأبي زيد التاجوري و أبي الحسن البكري، ولد تقريبا سنة 930هـ [5] والمتوفى في عام (995هـ/1586م)، بالإضافة إلى بعض بعض المشايخ والعلماء أمثال الشيخ يحي الزواوي المتوفى سنة (999هـ/1590م)[6]، محمد بن أحمد القسنطيني المعروف

---

[1]. محمد بوشناقي: **المرجع السابق**، ص 359.

[2]. الإفراني: **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي، الدار البيضاء، المغرب ، 2004، ص 176.

[3]. محمد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، ج2، ص 554-555.

[4]. إبراهيم حركات: "**الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب**"، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1975، ص 189-190.

[5]. ابن القاضي: **درة الحجال**، ج3، ص 288.

[6]. أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519-1830م)**، ص 468.

بالكماد؛ الذي كان من العلماء الأعلام أخذ عن أعيان بلده بجبال زواوة والجزائر، ثم ارتحل إلى فاس فتصدر فيها للإقراء وازدحم عليه الطلبة والفقهاء، وتنافسوا في الأخذ عنه، وكان قليل الكلام كثير الصمت، ورعا زاهدا [1].

وقد حمل هؤلاء العلماء بدخولهم فاس عادات تلك البلاد وأطرها المرجعية، وقد كان العنصر التلمساني متشبثا بالدين وعلم الكلام والمنطق و البلاغة، ما جعله يؤثر في مجموعة مهمة من سكان فاس، فالا متزاج بين هذه العناصر أعطى خليطا هائلا من الثقافات العامة [2]، وعلى الرغم من تأزم الأوضاع في منطقة المغرب عامة، نتيجة الحملات الإسبانية والحروب التي خاضها الأتراك ضد الحفصيين والسعديين، فإنّ ذلك لم يمنع العلماء الجزائريين من التنقل إلى تونس؛ وإن كان عددهم قد عرف تراجعا [3] وانخفاضا بشكل ملحوظ، فمن نهاية القرن 15م إلى نهاية القرن 18م؛ تمّ إحصاء تسعة علماء خلال 03 قرون كاملة، انتقلوا بين الجزائر وتونس طلبا للعلم والمعرفة ، في ظروف تكاد تكون استثنائية [4]، ومن العلماء الذين حافظوا على اتصالاتهم بتونس خلال القرن 16م و شدّوا الرحال نحوها نذكر:

* منصور البجائي (1461م-1524م): الذي رحل إلى تونس [5] وعبد الرحمن الاخضري (1514م-1546م) الذي الذي يعدّ من أبرز العلماء الذين أنجبتهم الجزائر ، وأخصبهم إنتاجا وأكثرهم شهرة، كتب في المنطق والفرائض والبيان ؛ والمعاني والفلك والحساب، وقد عاش في بنطيوس (من قرى بسكرة)، وتثقف على يد والده، ولعله قرأ على الشيخ الوزان، وذهب أيضا إلى الزيتونة بتونس [6]، ويحي الفكّون الجدّ الذي انتقل إلى تونس، وصاهر الشيخ الزنديوي الذي استخلفه في إمامة جامع الزيتونة، ثم استقل بالإمامة، وتزوج حفيدة الشيخ البرزلي [7]، وقد استشهد القاضي يحي الفكون المنحدر من أسرة عريقة بقسنطينة، عندما احتل شارلكان تونس عام 1535م؛ حيث قتل في المعركة [8]، وابنه قاسم بن يحي الفكون الذي كان قاضيا بقسنطينة زمن الشيخ الوزان، وكان قد تولى إمامة جامع البلاط بتونس حين انتقل والده إليها به، ومن شيوخه محمد مغوش التونسي، وكان العم قاسم ممن فاق عصره في علم المعقول، وكان ممن تصدى للتفسير زمن مشيخة عصره، توفي سنة (965هـ/1557م) [9].

---

(1). محمد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، ج2، ص 354.

(2). محمد مزين: **فاس وباديتها "مساهمة في التاريخ السعدي"**، ج2، ط1، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1986، ص 577.

(3). أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(1519-1830م)**، ص 469.

(4). عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية**، ص 56.

(5). عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص 383.

(6). أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، ص 30-31.

(7). عبد الكريم الفكون: **المصدر السابق**، ص 383.

(8). Jacques Berque : **L'intérieur du Maghreb**, Edition Gallimard, France, 1978, p: 135.

(9). عبد الكريم الفكون: **المصدر السابق**، ص 43-44.

كما تمكن الكثير من طلبة وعلماء توات من الرحيل إلى كل من تلمسان وتونس وطرابلس والمشرق، طلبا للعلم وعاد هؤلاء إلى إقليمهم بعدما رسخوا في العلوم الدينية والدنيوية ، وأسهم الكثير منهم في الحياة الثقافية للإقليم، فالثقافة التواتية لم تكن محلية الطابع، بل كانت نتيجة سفر الكثير من فقهاء توات إلى كل من فاس وتلمسان وتونس ومصر والحجاز والشام [1].

وهكذا يتضح جليا مدى حركية العلماء الجزائريين بين أقطار بلاد المغرب، و الحظوة والمكانة الراقية والمواقع التي احتلها هؤلاء؛ والوظائف والرتب التي تقلدوها ، وما تركوه من تأثيرات واضحة وبصمات بارزة في المناطق التي وضعوا فيها عصا التسيار، في زمن عشعش فيه التخلف، وانتشرت فيه البدع والخرافات والإيمان بالغيبيات.

ثانيا: علماء المغرب.

على الرغم من وجود جامع القرويين، فقد استقبلت الاقطار المغاربية عددا من علماء المغرب الأقصى الذين تنقلوا إليها لأغراض شتّى، ومن هؤلاء نذكر:

* محمد بن أحمد اليسيتني: الفقيه الإمام العلامة الجامع بين فنون المعقول والمنقول، قرأ على الإمام ابن غازي قليلا، وأكثر عن الأستاذ أبي زكرياء يحي السوسي؛ وأبي العباس الزقاق وأبي عمران الزواوي ، وابن هارون وعبد الواحد الونشريسي وغيرهم، رحل إلى المشرق؛ ولقي بتلمسان المفتي محمد بن موسى و الإمام أبا سعيد المقري [2]، ودخل قسنطينة فقرأ بها على الفقيه العالم الكبير أبي حفص عمر الأنصاري المشهور بالوزان ؛ في الأصلين والبيان وغيرهما ، وأخذ أيضا عن أبي عبد الله محمد العطّار، ولقي بتونس أبا عبد الله مغوش وأبا العباس أحمد بن سليطن وأبا عبد الله محمد بن الحويجب؛ وأبا القاسم البرشكي ومحمد بن حسين الزنديوي ؛ وأبا عبد الله محمد بن الرفيع، ثم انتقل إلى مصر والبقاع المقدسة وأخذ عن علمائها ، توفي سنة 959هـ [3].

* عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد اللمطي الميموني المكناسي : أبو مالك، كان يستظهر مختصر ابن الحاجب، وله معرفة بالنحو والفرائض، انتقل من فاس إلى الجزائر وتوفي بها سنة 988هـ [4]، وقد كان لأحمد بن يوسف الملياني زاوية برأس الماء بمنطقة مليانة، كانت مقصودة من قبل الجزائريين والمغاربة، [5] وممن انتقل من المغرب الأقصى نذكر أيضا:

---

(1). فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين 18و19م**، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 117.

(2). ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج1، (د.ط)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 283.

(3). ابن القاضي: **درة الحجال**، ج2، ص 201-202، وانظر **نيل الابتهاج**، ص 595.

(4). ابن القاضي: **درة الحجال**، ج3، ص 140.

(5). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 138.

* محمد بن علي الشطيبي : الشيخ الرحّال، العالم صاحب التآليف الكثيرة منها " اللباب على آية الكتاب " و " شرح المباحث الأصلية لابن البناء السرقسطي" وألّف في علم التاريخ تأليفا عجيبا ، وألّف في الخط والكيمياء وغير ذلك، رحل إلى بلاد المشرق ولقي العديد من المشايخ، ولكنه أخذ الطريقة على الشيخ أحمد بن يوسف الملياني ، توفي سنة 960هـ.

* عبد الله الخياط الزرهوني : كان من مشايخ الصوفية، أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني، وكان له أتباع ، توفي مسموما سنة 930هـ ودفن بزاويته من جبل زرهون.

* عبد الله بن عمر المطغري : الفقيه الكبير، العالم النحرير شيخ الاسلام [1]، الذي عاد ولم يأخذ عن الملياني لأنه أنكر عليه عدم المحافظة على أوقات الصلاة، وانصرف إلى الأخذ عن عبد العزيز القسنطيني [2].

وهناك من علماء المغرب من انتقل للقيام بمهام ديبلوماسية سفارية، حيث استقبلت الأقطار المغاربية عددا من الموفدين ومن أبرزهم:

* الحسن بن محمد الوزّان صاحب كتاب وصف إفريقيا؛ الذي أوفده السلطان الوطاسي محمد البرتغالي إلى ملوك المسلمين في شمال إفريقيا والمشرق، وقد وفد على تلمسان ومعسكر ومرّ بالجزائر ثم بجاية عام 1515م، ثم مرّ بالمسيلة في طريقه إلى تونس حيث اتصل بالبلاط الحفصي، وبعدها واصل سفره إلى القسطنطينية [3].

* وأبو الحسن محمد بن محمد الجازولي علي التمجروتي الدرعي : الذي كان له سند و رواية وكان يشتغل في السفارة [4] والذي زار الجزائر عام 997هـ /1589م مع أبي عبد الله محمد الفشتالي، موفدين من السلطان أحمد المنصور إلى السلطان العثماني، وقد خلّد مشاهداته في كتاب أسماه " النفحة المسكية في السفارة التركية " [5].

* وأبو العباس أحمد بن يحي الهوازلي وأبو العباس أحمد بن ودة : اللذين زارا الجزائر في إطار السفارة سنة 1581م [6].

ونظرا للمكانة التي تبوأتها قسنطينة كأكبر الحواضر العلمية في الجزائر خلال القرن 16م، لم يفوّت علماء المغرب الأقصى الفرصة للأخذ عن علمائها ، كالشيخ سعيد الماغوسي الشهير بالحاج أبي جمعة (ت.1016هـ/1607م)، الذي نزل أثناء رحلته إلى المشرق بقسنطينة وأخذ عن بعض أعلامها ؛ منهم الشيخ عمر الوزان والشيخ محمد العطار، كما قرأ على الشيخ عبد الكريم بن يحي الفكّون"مختصر السعد" و"مختصر ابن الحاجب الأصلي" فأجازه، ولا يستبعد أن يكون

---

(1). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 16،83،87..

(2). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 138.

(3). ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التوثيقي والجغرافي للغرب الاسلامي**، ص 291.

(4). ابن القاضي المكناسي: **جذوة الاقتباس**، ج1، ص 326.

(5). الإفراني: **صفوة من انتشر**، ص 197-198.

(6). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، ص 118.

الحاج أبو جمعة، قد مكث بالمدينة مدة مكنته من الأخذ عن هؤلاء العلماء [1]، لذلك لم تكن حركة تنقلات العلماء قاصرة على قطر دون آخر، بل كانت حركية علمية مت بادلة زادت في تقوية وشائج العلاقات وتوثيق عرى التواصل الفكري والعلمي، بحكم الروابط الثقافية المشتركة بين هذه الأقطار ، فحدود العلم بين الجزائر والمغرب لم تكن موجودة في ظل امتداد الجسور وتعدد القنوات وتنوع المسارب؛ التي تسربت معها الأفكار وانتقلت عن طريقها المعارف.

ثالثا: علماء تونس.

لقد عرفت الصلات الفكرية بين تونس و أقطار بلاد المغرب خلال العصور الحديثة ؛ تطورا ملحوظا، أكدّ أهمية الروابط الثقافية التقليدية واستمراريتها عبر العصور، فمنذ مطلع القرن 16م ومع مجيء الإسبان إلى تونس، هاجر الكثير من العلماء التونسيين، ومن هؤلاء نذكر:

* محمد أبي الفضل خروف الأنصاري التونسي : (ت.966هـ/1558م) نزيل فاس وشيخ الجماعة فيها، كان عالما بأصول الفقه والكلام والبيان والمنطق، أخذ بتونس عن المفتي الخطيب حسن الزنديوي، وبفاس عن س قين، وبمصر عن الشمس والناصر اللقانيين وغيرهم [2]، امتحن بالأسر بعد هجوم الإسبان على تونس، ففداه سلطان المغرب أحمد بن محمد الوطاسي المريني؛ بالحاح من الشيخ أبي عبد الله اليسيتني لمكاتبة جرت بينهما، وذلك في حدود(947هـ/1540م)، فقدم على فاس و تصدى للتدريس، ونشر العلوم العقلية، وهو مجدد سند تعليمها بالمغرب . اشتهرت دروسه بجامع القرويين بفاس، حيث درّس لنحو 18 سنة وكان استقراره بها في حدود 947هـ كما أشرنا، وأخذ بفاس عن عبد الرحمن سقين وعلي بن هارون، وعبد الواحد الونشريسي وعبد الوهاب الزقاق ومحمد اليسيتني ، وقد انتفع بعلمه عدّة علماء من المغرب الأقصى ؛ كالشيخ أبو العباس المنجور والشيخ أبو عبد الله القصّار وغيرهما [3]، ووفد على فاس بغير كتب لا بتلائه بالأسر وغرق كتبه في البحر، ومع ذلك كان خروف التونسي إمام العلوم العقلية في عصره، وقد كان في لسانه عجمة (لكنة) مع ميله إلى الخمول، لذلك لم يقدّروا قدره، توفي بفاس سنة (966هـ/1558م) [4].

* عبد الملك البرجي (ت.940هـ/1534م): الشيخ الفقيه الراوية خاتمة العلماء التونسيين أبو عمران عبد الملك البرجي الأندلسي، أحد أشياخ الشيخ أبي عبد الله بن هبة الله، ورد على تلمسان واستقر بها إلى أن توفي في صدر العشرة الرابعة، وكان جليل القدر كبير الشأن [5].

---

(1). فوزية لزعم: **المرجع السابق**، ص 127-128.
(2). ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، ص 281.
(3). الكتاني: **سلوة الأنفاس**، مج3، ص 355، وانظر: ابن القاضي في **جذوة الاقتباس**، ص 323.
(4). ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، ص 282.
(5). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 133.

* عبد العزيز بن خليفة القسنطيني الأصل ثم التونسي : المتوفى نحو (940هـ/1534م) الفقيه الصوفي، له رسائل صوفية توجد ضمن مجموع صغير؛ عدد أوراقه 36 بالزاوية الحمزية بالمغرب الأقصى [1]، لذلك لا يستبعد أن يكون قد انتقل إلى المغرب الأقصى ومكث مدة به مدة زمنية طويلة، مكنته من الاتصال بعلمائها.

* أبو عبد الله محمد مغوش التونسي : عالمها الكبير وفقيهها ومفتيها، كان أعلم أهل تونس بالمعقولات متفننا نحويا حافظا لصحيح البخاري، أخذ عنه أبو العباس العيسى واليسيتني [2]، وقد غادر تونس لما احتلها الإسبان 1535م، وخرج منها للمشرق ودخل اسطنبول، واجتمع بعلمائها؛ وأثنوا عليه كثيرا عند سلطانها سليمان القانوني ، فأكرمه وطلب منه الإ قامة بها [3]، فامتنع ورجع لمصر واجتمع بعلمائها، فعظّموا درجته في الفنون، وتوفي بها في حدود (946هـ/ 1540م) [4].

* الشيخ إبراهيم الزواوي التونسي : كان من أولياء الله تعالى؛ محبّا للخير حريصا على لقاء المشايخ والأخذ عنهم ، فقد أخذ عن الشيخ منصور الزواوي، كما حجّ فلقي الشيخ أحمد بن عقبة الذي أخذ عنه، ولقي أيضا الشيخ أحمد زروق الذي تتلمذ عليه، دخل المغرب الأوسط فلقي الشيخ أبا العباس أحمد بن يوسف الراشدي؛ ونهل من معينه، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى؛ فأدرك الشيخ أبا محمد عبد العزيز التبّاع بمراكش وأخذ عنه هو الآخر، وفي تونس صحب الشيخ فتح الله العجمي، وظهرت على يده خوارق كثيرة في حياته وبعد مماته، توفي بفاس سنة 961هـ/ 1554م، وقبره خارج باب الجيسة، وطال عمره كثيرا حتى زاد على المائة بكثير [5].

* أبو الطيب الظريف التونسي: كان واعظا بجامع الزيتونة، رحل إلى فاس بعد أن أخذ بتونس عن بعض علمائها فخاطبه قاضي الجماعة بفاس؛ أبو الحسن علي بن هارون بمنظومة منها:

جادك الغيث إذا الغيث انهمر.....حضرة الأنس البديع المؤنس

لم يكن إلاّ لكلمح بالبصر.....أو بريق لاح لي من تونس

فأجابه أبو الطيب بأبيات منها:

أيها الشريخ الفقير المغبر.....سيد القطر وصدر المجلس

---

(1). محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 85.

(2). ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، ص 273.

(3). الوزير السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ج1، ق3، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1970، ص 844.

(4). ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، 273.

(5). أبي حامد العربي بن يوسف الفهري: **مرآة المحاسن من أخبار أبي المحاسن**، دراسة وتحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني (د.ط.و.ت)، ص 297-298.

قد تفضلتم بنظم كالدرر..... حلّ من قلبي محل النفس[1]

كما امتحن كثير من أهل العلم في القرن 16م بالنفي والإبعاد، كالشيخ أحمد العيسى، الذي نفي إلى طرابلس الغرب ومات بها سجينا [2].

ما يلاحظ في ظل هذا الحراك الفكري أنّ انتقال التونسيين لم يتطور ، نظرا لتوافد العلماء المستمر على تونس من القرويين خاصة، بحيث توفر للتونسيين الحصول على المعرفة وشتّى العلوم دون الهجرة إلى فاس[3]، وغيرها من الحواضر الفكرية ومراكز الإشعاع العلمي، وهذا ما يفسر قلّة هجرة علمائها إلى البلدان المغاربية المجاورة، وعلى الرغم من ذلك فإنّ حركية هذه الثلة من النخب العلمية توحي بوجود تواصل فكري وتواصل ثقافي، حافظ على أواصر العلاقات الثقافية التي ازدادت متانتها .

رابعا: علماء ليبيا.

من أبرز عماء ليبيا الذين تنقلوا بين أقطار بلاد المغرب، وكانوا همزة وصل وجسر تواصل ثقافي؛ أكّد حقيقة الترابط والتلاحم الفكري القائم بين أبناء المنطقة ، نذكر :

* أبو العباس بدر الدين أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي : من علماء الجبل الغربي في الفقه واللغة، سافر إلى تونس طلبا للعلم، وعندما حصل على مبتغاه عاد إلى مسقط رأسه عالما ومعلما، ومن أشهر كتبه " مقدمة في أصول الفقه وشرحها "، فكانت أجمل وأنقى متن في أصول الفقه، كما أنّ له حاشية على مقدمة التوحيد، ويبدوا أنّ له مؤلفات أخرى في الفروع الفقهية على ما ذكره إسحاق أبو طفيش، توفي سنة (928هـ/1522م) [4].

* عبد السلام الأسمر بن سليم بن محمد المخزومي القرشي : العالم العابد والصوفي المجذوب في حق الله تعالى، ولد ببلدة زليتن سنة 880هـ، تفنن في الفقه والنحو والتوحيد والمنطق، أخذ العلم عن شيوخ عصره، منهم الشيخ عبد الرحمن الوسلاتي و الأستاذ زروق، والشيخ الدوكالي وعنه أخذ التصوف ، حتى صار إمام وقته في العلوم ال شرعية، تعرض للاضطهاد من بعض الفقهاء والحكام، فرحل عن مسقط رأسه زليتن وذهب إلى جبل زغوان بتونس، ومنها رجع إلى زليتن وأخرج منها، وذهب إلى ساحل الأحامد وأخرج منه، وذهب إلى مدينة طرابلس وأقام بجامع الناقة وأخرج منها؛ بأمر من الوّالي في ذلك الوقت، وذهب إلى غريان فأخرج منها ، وذهب إلى قلعة سوفجّين بأرض أرفلة ومكث فيها سبع سنين، ثم

---

[1]. ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج2، 153.

[2]. محمد النيفر: **المرجع السابق**، ص 554.

[3]. دلندة الأرقش وآخرون: **المرجع السابق**، ص 305.

[4]. أحمد مختار عمر: **النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الاسلامي حتى العصر التركي**، (د.ط)، كلية التربية، منشورات الجامعة الليبية، 1971، ص 152.

انتقل إلى تاورغة ثم إلى مصراتة ومنها إلى مسقط رأسه، وكان على جانب كبير من العلم، وله وصية كلها حثّ على التقوى وتعلم العلم، وله مؤلفات كثيرة منها : " العظمة في التحدث بالنعمة " و " الأنوار السنية في أسانيد الطريقة العروسية " وغيرها، توفي سنة (981هـ/1573م) ودفن بزاويته بزليتن [1].

* عمر بن عبد الله بن محمد بن حمودة المخزومي المعروف ب ابن حجا الطرابلسي مولداً ودارًا : من علماء طرابلس ، ولد سنة (902هـ/1496م) حفظ القرآن الكريم، وقرأ النحو والفقه والتوحيد و التصوف، وهو من تلامذة الشيخ عبد السلام الأسمر، أخذ عنه الشيخ كريم الدين البرموني علومه، وكان يحفظ حكم ابن عطاء الله ، هاجر إلى تونس، واستقر بها وتوفي بالداموس بحيّز المنستير سنة (999هـ/1590م)[2].

* عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز السعيدي المخزومي : أبو حفص الطرابلسي مولدًا ودارًا، قال عنه البرموني أنه ولد بطرابلس سنة (906هـ/1500م)، وتوفي والده قبل اليوم السابع من مولده فكفلته جدته، ولما كبر دخل الكُتّاب وحفظ القرآن الكريم، ورحل إلى تونس في طلب العلم، وأخذ عن مشايخها ثم ارتحل إلى الأزهر، وتتلمذ على يد علمائه، ثم عاد إلى طرابلس واجتمع بالشيخ عبد السلام الأسمر وأخذ عنه التلقين، ودرس بمدينة طرابلس، ثم انتقل إلى الصابرية (من قرى الزاوية) وبقي بها إلى أن توفي سنة (999هـ/1590م) [3].

* الشيخ الحاج قاسم بن قلاع الطرابلسي : منشأً ومولدًا، دفين مدينة فاس، قال الأستاذ محمد الخروبي أنّه من الأشياخ الذين عاشرهم وأخذ عنهم، وكان ناسكا ذا أخلاق كريمة [4]، كما لا يفوتنا أن نشير في هذا المقام إلى العلامة محمد الخروبي الذي جسّد حلقة من جسور التواصل بين أقطار بلاد المغرب والذي سيكون لنا الحديث عنه في الفصول اللاحقة.

ما يلاحظ أنّ حركية العلماء اللّيبيين اقتصرت في غالب الأحيان على الزيتونة التي كانت قبلتهم الأولى ، والحواضر المشرقية التي كانت وجهتهم؛ على غرار الأزهر وغيره، في حين لا نكاد نلحظ لهم حراكا نحو الأقطار المغاربية الأ خرى (الجزائر والمغرب الأقصى)، وقد يعزى ذلك حسب اعتقادنا إلى قرب مراكز الإ شعاع الفكري، ووجود علماء جهابذة وشيوخ فطاحل في كل من تونس ومصر ، والتقاء علماء ومشايخ ليبيا بأقرانهم من علماء الجزائر والمغرب في مواسم الحج على إعتبار أنّ طرابلس طريق طبيعي ونقطة استراحة للحجيج المغاربة، ولعل هذا ما يفسر اكتفاءهم بما يتلقّونه في ظل هذا الاحتكاك والتلاقح وتدارس مختلف العلوم، ما يغنيهم عن الهجرة.

---

[1]. الطاهر الزاوي: **أعلام ليبيا**، ط3، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 223،224،225.

[2]. الطاهر الزاوي: **المرجع نفسه**، ص 285.

[3]. أحمد مختار عمر: **المرجع السابق**، ص 158.

[4]. النائب الأنصاري: **المنهل العذب**، ص 105.

هذه التنقلات التي قامت بها هذه الفئة من العلماء ، تعكس لنا حقيقة الصلات الثقافية القائمة التي لم تتأثر بالعلاقات السياسية المتوترة في معظم الأحيان بين بلدان المنطقة، بل إنّ هذه الهجرات ظلت مستمرة ومتواصلة طيلة هذا القرن وما أعقبه، وإن كانت تتباين من رقعة إلى رقعة؛ ومن منطقة إلى أخرى من بلاد المغرب العربي ، تبعا للأنظمة السياسية القائمة وتوجهاتها، ولخصائص ومميزات الحياة العلمية في كل قطر من هذه الأقطار.

نستنتج مما سبق أنّ الحراك الفكري بين علماء أقطار بلاد المغرب العربي؛ قد عرف استمرارية في العصور الحديثة على الرغم من تقلب الأوضاع السياسية وتزايد الأخطار الخارجية وتكالب الأعداء، لذلك كان التيار السائد بينها هو تيار الأفكار والثقافة، التي أكدّت عمق تاريخية الصلات القائمة بينها ، فالفكر العلمي في جملته لا يعرف حدودا جغرافية و لا سياسية ، إذ استمرت العلاقات الفكرية وازدادت تماسكا بين المجتمعات المغاربية ، فقد كان التواصل أفقيا بين ثقافات متزامنة؛ الشيء الذي أدّى إلى نمو الثقافة و تطورها؛ وتجددها في ظل تبادل الأفكار والآراء ورواج المؤلفات وتشجيع الإبداع، ما أسهم في تقارب المجتمعات المغاربية وتعزيز الموروث الثقافي المشترك، وبالتالي حدوث التواصل العام على جميع الأصعدة؛ في ظل التأثير والتأثر القائم نتيجة تعدد شبكة وقنوات الاتصال.

فالحراك الثقافي وإن كان في بعض م ظاهره نضال النخب العلمية؛ فهو في الواقع ينابيع معرفية تتسرب دون انقطاع إلى مختلف ثقافات الدول المغاربية، والروابط الثقافية القائمة تدل دلالة واضحة على أنّ الصلات الفكرية كانت قوية ومتينة، فقد أسهم الحراك في تشكيل شبكة من العلاقات الاجتماعية في أوساط النخب العالمة آنذاك، وإحداث نوع من التواصل المعرفي والفقهي والاجتماعي بين المنطقة المغاربية في سياق هذه التنقلات البينية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : ترجمة حياة الشيخ محمد الخروبي

المبحث الأول: المولد والنشأة.

أولا: نسبه ومولده.

ثانيا: الوالد.

ثالثا: الوالدة.

رابعا: التعليم الأولي.

المبحث الثاني: مشايخه وتلاميذه.

أولا: شيوخه.

ثانيا: تلاميذه.

المبحث الثالث: حركية الخروبي بين الأقطار المغاربية.

أولا: رحلته إلى أقطار المغرب العربي وحراكه الديبلوماسي.

ثانيا: أعماله.

ثالثا: تأديته لمناسك الحج.

المبحث الرابع: نتاجه الفكري ومكانته العلمية.

أولا: مؤلفاته.

ثانيا: مكتبته.

ثالثا: مكانته العلمية (أقوال العلماء)

رابعا: وفاته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل:

من الرموز العلمية التي أسهمت في الحراك الفكري بسهم وافر خلال القرن 10هـ/16م، وكان لها دور في الميدان السياسي، وشكّلت علما من أعلام التواصل بين أقطار المغرب العربي ؛ محمد بن علي بن مصطفى الخروبي الطرابلسي الذي كان من الرجال البارزين الذين عرفتهم هذه البلدان، حيث بلغ شأوا عظيما ومكانة رفيعة أهلته لأن يتقلد أعلى الرتب والمناصب العلمية فضلا عمّا قامت به هذه الشخصية من أنشطة ثقافية و فكرية وما أحدثته من حركية ونشاط فكري مغاربي امتد اشعاعه ليغطي بأنواره المنطقة بأسرها ، فكان أحد الروافد الكبرى للثقافة المغاربية سواء بما قدمه من نتاج فكري وعلمي أو بما أثاره من مواقف وآراء، فقد كان على اتصال بالمغرب وبعلمائه وبمناخه الفكري والثقافي في وقت مبكر، و كانت له تنقلات شكلت جسر ربط بين هذه البلدان الشقيقة.

المبحث الأول: المولد والنشأة.

أولا: نسبه ومولده: تضاربت الآراء واختلفت وتباينت المصادر التي تناولت حياة هذه الشخصية في هذا الشأن.

01 – أصله ونسبه:

هو الإمام المتضلع أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي مولدا ومنشأً، الجزائري منزلا ومدفنا [1]، صدر علماء الجزائر في بداية العهد التركي ، وقد نسب الخروبي إلى صفاقس و طرابلس والجزائر، كما عرف عنه أنه كان صاحب حظوة عند العثمانيين، وربّما زار أو تربى في اسطنبول قبل قدومه إلى الجزائر[2]، وقد وصفه بعضهم بالمالكي المغربي.

وعلى الرغم من تعدد انتماءاته، فقد أثبتت معظم المصادر نسبته إلى طرابلس؛ مراعية في ذلك مكان المولد والمنشأ وهذا الرأي تؤيده كتابات الخروبي نفسه، الذي أشار في عدد من مؤلفاته ومراسلاته انتسابه إلى طرابلس، والبعض الآخر من أصحاب المصادر والمراجع قد نسبه إلى الجزائر معتمدا على المدة الطويلة التي عاشها بها، وعلى الشهرة العلمية والسياسية التي نالها أثناء إقامته بها، أمّا أصحاب المصادر والمراجع الذين نسبوه إلى صفاقس دون سواها أو مع غيرها، فليس لهم مبرر إلاّ لمجرد المرور أو الإ قامة بها فترة زمنية محددة [3]، لذلك ارتبط اسمه بأكثر من قطر مغاربي، إذ يقول صاحب الدوحة: «محمد بن علي الخروبي الصفاقسي ثم الجزائري »[4]، ويؤيده في ذلك الحضيكي بنفس العبارات قائلا :

---

(1). ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ج1، ص 332.

(2). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500–1830)**، ج1، ص 498.

(3). محمد حسين القذافي: "**حياة أبي عبد الله الخروبي في طرابلس وتونس والجزائر والمغرب**"، من كتاب **أعمال ندوة التواصل الثقافي**، ص 205–206.

(4). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 126.

«محمد بن علي الطرابلسي الخروبي السفاقسي ثم الجزائري»[1]، وهذه النسبة ليس لها كبير فائدة في تلك الحقبة، حيث لا حدود ولا قيود في دار الإ سلام، بل يمكن للفرد الذي يمتلك القدرة على التنقل العيش في أي قطر مغاربي، حيث في إمكانه احتلال مكانة مرموقة بين أهله وذويه وهو ما حصل مع الشيخ الخروبي، كما أن حراك الشيخ الخروبي ونسبته إلى أماكن أخرى يدّل على حركيته وكثرة تنقلاته بين أقطار بلاد المغرب (تونس، الجزائر، المغرب)، بالإضافة إلى الوطن الأم طرابلس الغرب [2]، كما يعكس لنا من جانب آخر حقيقة التواصل المغاربي القائم.

02 – مـكـان مـولـده:

أمّا مكان مولده فإن المصادر والمراجع التي ترجمت له تكاد تتفق عليه وهو قرية قرقارش[*] والتي تقع على ساحل البحر، حوالي أربعة كيلومترات غربي مدينة طرابلس (ليبيا)[3]، وهي الآن بحكم التوسع العمراني أصبحت بداخل المدينة بل من أشهر أحيائها تقريبا [4]، وبقرية قرقارش هذه يوجد مسجد يحمل اسم الخروبي نسبة إلى الولّي الصالح علي بن مصطفى الخروبي والد مترجمنا، كما يوجد بجوار هذا المسجد ضريح به قبر الشيخ وبجانبه زاوية للذاكرين ملحقة به[5].

03 – تـاريـخ مـيلاده:

أمّا تاريخ مولده فلم يتعرف إليه جُلّ مترجميه ولا يعلم بالضبط، حيث لم تشر إليه جلّ المصادر، ولكن عدد من الباحثين المعاصرين؛ حاول عن طريق المقارنة والاستنتاج تحديد تاريخ ميلاده منهم الأستاذ المهدي البوعبدلي رحمه الله: في دراسته حيث حدد تاريخ ولادته بسنة 880هـ التي يقابلها عام 1475م[6] ويشاطره في ذلك الدكتور مولود عبد الحميد الحميد فقد قال: «يغلب على الظن أن ولادته كما قال الأستاذ المؤرخ المهدي البوعبدلي الجزائري كانت سنة 880هـ »، ويرى الدكتور رفيدة أنّ مولد أبي عبد الله الخروبي كان بعد سنة 886هـ/1481م لأن زواج أبيه من أمّه كان حوالي هذه السنة[7]، وربما اعتمد في ذلك على ما فهمه من دراسة الدكتور فهمي علي خشيم في كتابه " أحمد زروق والزروقية" حين حين قال: « حطت الرحال بزروق في هذه البلدة– يعني مصراته– بعد طول تطواف وسكن بها عام 886هـ/1481م

---

(1). محمد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، ج1، ص 277.

(2). محمد حسين القذافي:**المرجع السابق**، ص 206.

(*). سميت **قرقاش** باسم مؤسسها الأمير قراقوش، أحد ولاة طرابلس في القرن 6هـ/8م

(3). El Mahdi Bouabdelli:" **Le cheikh Mohamed El Kharoubi** " , In.R.A, volume: 96, paris, 1952,p :330.

(4). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص207.

(5). ناصر الدين محمد الشريف: **الجواهر الاكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية**، ط1، دار البيارق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999، ص 140.

(6). El Mahdi Bouabdelli : **Op.cit**, P331.

(7). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص207-208.

حسب المصادر التي بين أيدينا» [1]، لأن زواج أبيه الخروبي الكبير من أمه تم عن طريق الشيخ زروق ؛ ولذلك يرجح البعض مولده سنة 888هـ/1483م [2]، لأن الأب توفي والابن طفل صغير لم يعقل عنه شيئا، وإنّما عرف أخباره وحاله عن طريق أمه وتلاميذ أبيه ومعاصريه، وهذا الرأي يقوي ويدعم ما ذهب إليه الدكتور رفيدة ، ويضعف رأي الشيخ البوعبدلي ومؤيديه من الكتاب؛ أمام غياب المعلومات المؤكدة وتضارب المعلومات المستنتجة المتوصل إليها والله أعلم.

ثانيا: الـوالد:

كان الوالد علي بن مصطفى الخروبي من أصدقاء أساتذة التصوف وفقهاء البلاد ؛ يتمتع في قلوب العامة بالا حترام والإكبار، إذ كان رجلا فقيها صالحا ذا مكانة مرموقة و من أخص أصدقاء الشيخ أحمد زروق، الذي أحدث في عصره ازدهارا في المدرسة الصوفية والطريقة الشادلية ؛ ومدارسة فقه الإ مام مالك و أصحابه [3]، ذكره صاحب " شجرة النور" هكذا دون أن يشير إلى شيء من حياته أو حتى سنة وفاته، ولكنه ذكر أنّ علماء أخذوا عنه العلم؛ وكان من أهل القرن 10هـ، وقد ذكره باسم الخروبي الكبير وممن أخذ عنه أحمد زروق والشيخ محمد بن أبي جمعة الهبطي(*)[4].

يقول الخروبي الا بن عن والده في ترجمته له : « فأمّا الوالد فهو علي المعروف بالخروبي، كان رحمه الله رابع إخوته وكان من قرية باءزاء طرابلس الغرب يقال لها قرقارش نحو ثلاثة أميال أو أربعة من ناحية الغرب من طرابلس [5]»، والظاهر والظاهر أن أصل هذه الأسرة ليس من هذه القرية ولعله ليس من طرابلس كلها، حيث زعم البعض أن الخروبي قدم من المغرب وأن أسرته ترجع إلى أصل مغربي، ما قد يحمل على الظن أنها من الأ سر الأ ندلسية التي وفدت إلى الشمال الإفريقي أثناء وبعد نكبة الأندلس [6]، وكان له مكانة محترمة في الوسط الا جتماعي في عصره، حيث يقول عنه: « نشأ في في عفاف وصلاح...وصحب رجالا صالحين وكان هو الصدر فيهم والمشار إليهم ...يمتثلون بأمره ويتقيدون به في دينهم ودنياهم» [7]، وكان رجلا صالحا وقورا بين الناس، مهيب الجانب، ذا رأي محترم يحب الصالحين ويصحبهم، يقول عنه

---

(1). علي فهمي خشيم: **أحمد الزروق والزروقية**، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002، ص 168.

(2). جمعة محمود الزريقي: **المرجع السابق**، ص 451.

(3). أحمد عمر مختار: **المرجع السابق**، ص 154.

(*). **ابو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي**: الإمام العالم المتصوف الزاهد، كان يغلب عليه محبة الله كابن الفارض، اخذ الطريقة عن عبد الله الغزواني والعلوم عن الشيخ أحمد زروق والشيخ الخروبي الكبير الطرابلسي وعنه جماعة منهم عبد الواحد الونشريسي، وهو مؤلف " تقييد وقف القرآن" توفي سنة 930هـ، انظر **شجرة النور**، ج1،ص 277

(4). ابن مخلوف: **شجرة النور**، ج1، ص 267-277.

(5). محمد الخروبي: **مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمسة**، دراسة وتحقيق: جمعة مصطفى الفيتوري، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2002، ص 27-28.

(6). إبراهيم رفيدة: "**أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي (فكره الصوفي وتفسيره رياض الازهار وكنز الأسرار)**"، من كتاب **أعمال ندوة التواصل الثقافي**، ص 134.

(7). علي مصطفى المصراتي: **مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم**، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2002، ص 40.

الخروبي: « كان رحمه الله رجلا مهابا، وقورا صموتا سؤوسا لأمر الخلق، يرجعون لرأيه وينقادون لأمره » [1]، وقد أخبرته والدته أن السلطان أبا بكر والي طرابلس ابن الأمير عثمان صاحب افريقية، كان يأتيه من قصبته على رجليه مع أجناده ووزرائه إلى الدار؛ يتبركون به ويستشيرونه في أمور المسلمين فلا يقف لأميرهم ؛ ولا لهم عند القدوم والا نصراف، وذلك اعتزازا منه بدينه [2]، وبهذا الوصف ندرك أن والده من شخصيات المجتمع ؛ التي كان لها تأثير فعّال على ما يبدو ، وقد طوى الزمن والده قبل والدته، وينقل لنا الخروبي صورة من التعلق الشديد لمحيط الأ سرة ورئيسها المعلم، ويحدثنا عن توديع الناس وتكريم الشعب لهذا الوالد المربّي الصوفي قائلا : « ولما مات قام أهل البريح في البلد يعزّون بموته، وغلقت الحوانيت ولم يبق أحد من أهل البلد نساء ورجالا إلاّ وخرج لجنازته »، وفي رحلة الوداع الأ خيرة ينقل لنا هذا الوصف الذي يمثل صورة من صور العادات والتقاليد : « ولما دفن أخذ الناس سجادته التي حمل عليها، وكان يصلي عليها في حياته ... فاقتسموها حارة حارة وكاد الناس أن يقتتلوا عليها، وربما أخذ الرجل ما بيد صاحبه »[3]، وهذا جانب من جوانب التفكير والمعتقدات السائدة في هذا العصر.

ثالثا: والـدتـه:

أما والدة أبي عبد الله الخروبي فهي السيدة زهرة بنت الحاج محمد البوديكي المصراتي، فهي سيدة مصراتية، وكان والدها رفيقا للشيخ أحمد زروق ، قيل هو الذي سماه بوديكي ؛ لأنه كلما زاره الشيخ زروق ذبح له ديكا فلقبه بذلك [4].

وقد كان الشيخ زروق قريبا من آل الخروبي ، حتى أنه يتدخل في شؤونهم العائلية إمّا في طرابلس أو مصراتة، فهو الذي زوّج الخروبي الكبير بهذه السيدة المصراتية التي هي والدة الخروبي الصغير، وكان يرعى الأسرة بعد وفاة صديقه، ومن طرائف ما يكتبه الخروبي من مداعبة زروق ؛ واتصاله سائلا عنهم متفقدا لأحوالهم بعد وفاة الخروبي الوالد وقد ترك زوجته وأطفالا له، قال له: « يا أولاد السرديكة قولوا لها: لا تقولي أنّ زروق غرّبني من بلادي وأهلني»[5]، وكانت له زوجة قبل السيدة زهرة المذكورة؛ هي بنت الرجل الصالح محمد بن أبي بكر المحجوب التاجوري، وكان له أبناء هم إخوة للخروبي الصغير وكانت لها أخت متزوجة من الرجل الصالح خليفة أبي غرارة؛ المعاصر للخروبي الكبير الذي كان أسن منه[6].

وكان أبو عبد الله الخروبي شديد الإ عجاب بأمه كثير الثناء عليها، فخورا بوالدته أيّما فخر، يصفها بالصلاح والتقوى والكياسة؛ والعمل من أجل راحة أولادها وتربيتهم على العفة، حيث عانت من أجلهم صنوف مشقة الحياة .

---

(1). محمد الخروبي : **مزيل اللبس**، ص 28.
(2). علي مصطفى المصراتي: **المرجع السابق**، ص 40.
(3). علي مصطفى المصراتي: **المرجع نفسه**، ص 45.
(4). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص28.
(5). علي فهمي خيشم: **المرجع السابق**، ص59-61.
(6). إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص135.

ومما قاله فيها: «وكانت الوالدة رحمها الله حرّة كيّسة حاذقة لم أر في زمانها مثلها، كانت تحوطنا وتجتهد في تعليمنا القرآن ومن أعجب ما رأيت من اجتهاده ا في تعليمنا ؛ أنها كانت تسهر الليل في عملنا وتوقد لنا القنديل وتجعلنا بإزائ ها نقرأ السور» [1]، فنفهم من حديثه عنها أنها هي مربيته ومعلمته الأ ولى، وهذه الشدّة أو القسوة يصاحبها من قلب الأ م وتصرفاتها صور من الرقة والحنان، إذ يقول الخروبي في كتابه ا لتاريخي: « وربما أضيقت علينا يرق قلبها فتبكي خفية منّا لأجل المشقة التي تلحقنا من السهر » [2] وهذا جانب من صور التربية في الأ سرة المثقفة ، وجانبا من جوانب التهذيب والتوجيه المتصل بالمناخ الفكري السائد.

رابعا: التعليم الأولي:

نشأ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي في قرية قرقارش؛ إحدى قرى مدينة طرابلس الغرب، وعاش حياته الأ ولى تحت إشراف والدته وبعض أساتذته وخصوصا الذين كانت تربطهم بأسرته علاقة قرابة أو صداقة أو تلمذة على أبيه[3].

أخذ في بداية حياته عن والده الشيخ علي بن مصطفى الخروبي المدفون في المسجد الذي يحمل اسمه في قرقارش[4]، وكان وكان رجلا صالحا صوفيا؛ حيث كان يحضر لمشاهدة مجالس والده [5]، وقد بدأ دراسته حسب الطرق التقليدية المتبعة في عصره [6]، وذلك بالتوجه إلى الكتّاب لقراءة القرآن الكريم؛ كعادة من عايشوه وسبقوه في مجال التعليم [7].

وقد تربى الخروبي في بيت علم من لدن أسلافه الكرام، وحضر مجالس العلم والعرفان [8]، وتظهر من خلال ترجمة الخروبي لأمه؛ أنها كانت كانت المدرسة الأ ولى التي صقلت نفسيته، فهي التي تولّت في مبدأ حياته رعايته والحرص على تعليمه ومواصلته، وهي التي لقنته بعض فرائض العبادات ووظائف الذكر ، وأحاطته بفيض حنانها وأعطته ما عندها من العلم والتوجيه والجهد [9]، إذ يقول عنها الخروبي : « كانت تعلمنا الوظائف التي تقال عند النوم وعند القيام منه وعند الأكل، وعند الشرب وغير ذلك من وظائف الدورة، فلكثرها حفظناها منها»، وهذا جانب له أهميته في التكوين التربوي.

---

(1). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص28.

(2). علي مصطفى المصراتي: **المرجع السابق**، ص47.

(3). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 212.

(4). جمعة محمود الزريقي: **المرجع السابق**، ص 451.

(5). أحمد مختار عمر: **المرجع السابق**، ص 154.

(6). El Mahdi Bouabdelli: **Op.cit**, P330.

(7). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 212.

(8). أحمد النائب الأنصاري: **المنهل العذب**، ص 200

(9). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 212

فالأم كانت مثالا للمرأة الواعية المتدينة فهي معلمته الأ ولى: «وكثير من مسائل الصلاة وفرائضها وسننها ومندوباتها إنما حفظناها منها»[1].

ثم أخذ عن أساتذة عصره ومشايخ قطره؛ الذين تولوا رعايته وتربيته وتعليمه، وكان بعضهم علماء كبار ؛ وقد ترجم لأحد عشر من هؤلاء لشدّة صلته بهم، وتلقيه عنهم وشمولهم إياه بالتربية والرعاية وحلولهم محلّ الوالد ، خصوصا من كانوا على صلة قوية بوالده أو تصلهم بالأ سرة قرابة، إذ كانوا له عوض الوالد في صغره يرعونه وأسرته ؛ وكان من لقيه منهم بعد أن كبر شيوخا له [2]، منهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن دفين تاجوراء ، والشيخ أحمد زروق البرنسي وعلى غيرهما من فقهاء ليبيا أو القادمين إليها ، وقد ذكر شيوخه في كناش صغير ترجم فيه لحياته ، ونشر الآن بلسم شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي، وهذا التحصيل العلمي الوافر هو الذي أهّلهُ للقيام بعدة أعمال مهمة منها : مجال التدريس وتكوين التلاميذ، وتأليف الكتب والرسائل العلمية، والقيام بدور إصلاحي في مجال التصوف [3].

على أن هؤلاء الشيوخ يتلاقون في صفة جامعة ؛ تغلب عليهم في تصويره حياتهم وأحوالهم ، فيما أضفاه عليهم من أوصاف وألقاب؛ وما أسبغ عليهم من ثناء وإطراء حارين كثيرين ، كل ذلك كان في دائرة الا تجاه الصوفي وآدابه وتقاليده وطرقه وتعاليمه[4]، التي يرتبط في ظلها المريد أشدّ الارتباط بشيخه عن صدق واعتقاد برفعة سلوكه وصواب فعله وعلو مقامه وسمو شأنه، لذلك شاعت الكرامات وانتشرت الخوارق المنسوبة إلى بعضهم أحيانا.

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه:

أولا: شيوخه (أساتذته): تتلمذ أبو عبد الله الخروبي على يد ثلّة من العلماء ؛ لكان لهم تأثير في سلوكه ومعاملته بعد ذلك، ذكرهم في كتابه المخطوط " شرح الإرادة " الذي يعرف في مكتبة أوقاف طرابلس؛ تحت اسم" ذكر بعض أولياء طرابلس"، ومن هؤلاء الشيوخ الذين خصّهم بتفصيل جوانب من حياتهم وتلقيه عنهم نذكر:

1 محمد بن الحاج تمام: تلقى على يديه التربية وأقرأه الوظائف والعقائد والأ حزاب الشادلية [5] حيث درس عليه مسالك الطريق، وأخذ عنه حكم ابن عطاء الله السكندري، وكان محمد تمام شادليا زروقيا [6]، فهو من رعيل الشيوخ المتصوفة الذي سلكوا في طريق التربية وتهذيب السلوك، وهو ابن عم والدته الذي يقول عنه : « وأوانا وأحسن تربيتنا واجتهد في تعليمنا العلم و ضبطنا لطلبه ، وأقرأنا الوظائف والعقائد والأ حزاب الشادلية، إذ كان رحمه الله تعالى من الدائرة الشادلية

---

[1]. علي مصطفى المصراتي: **المرجع السابق**، ص 47-48.
[2]. إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص136.
[3]. جمعة محمود الزريقي: **المرجع السابق**، ص 452.
[4]. إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص 136-137.
[5]. محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 29.
[6]. أحمد مختار عمر: **المرجع السابق**، ص154.

ويحفظ حكم ابن عطاء الله ويفهم معانيها، وكان رحمه الله تعالى حريصا على تعليمنا الخ ير وطريق القدماء، وكان يوصينا بالتحفظ من طرق أهل الأ هواء، ويحذرنا من خلطة أهل الدعاوى، ويحظنا بالتمسك بأذيال السادات الشادلية»، وهكذا دخل الخروبي في سنّ المبكرة مدارس الصوفية وتعلم مناهجها وسلوكها؛ حيث تبنى طريقة السادات الشادلية التي كان من أكبر المدافعين عنها، وكان لهذا الجو الصوفي الأثر الكبير في تربيته وسلوكه، حيث أصبح من كبار المتصوفة والفقهاء[1].

2 الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحطاب الرعيني: المعروف بالحطاب الكبير الأ ندلسي الأ صل؛ الطرابلسي المولد المكي الدار والقرار، العالم الشهير (ولد سنة 861هـ وتوفي سنة 945هـ/1538م)[2]،وقد أثنى عليه فأكثر؛ ووصفه بصفات صافية مادحة منها الجامع بين الشريعة والحقيقة[*]؛ وشيخ الطريقة وإمام الحقيقة، وهو من أساتذة الخروبي العلماء الذين ظهر أثرهم في تفكيره وسلوكه [3]، وكان أستاذا يعلم طلابه التواضع العملي وخدمة العامة ومصالح الأمة، والذي يقول عنه: « ربّانا أحسن تربية وأدّبنا أحسن تأديب »، وكان يقوم برعايته وأسرته وتدبير شؤونهم، ويذكر أنه كان يبالغ في تخديم طلبته وتعويدهم على الخدمة العامة ؛ وخدمة الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه [4]، ويقول الخروبي في حقّه أيضا: « وكان هذا السيد مهابا وقورا، صموتا دائم الذكر، ملازما للخلوة إذا خرج للتفسير، أو تقرير كلام القوم وإظهار معاني حقائقهم، وشرح ما أشكل من عباراتهم وبيان ما غمض من إشاراتهم؛ وله في هذه الطريقة أشياخ عظام منهم الولي العارف القطب سيدي أحمد الدهماني وهو عنده العمدة ، ومنهم العمدة الوالد» [5].

وقد نهل الخروبي من معين الحطاب علما وعملا، فكان من أبرز شيوخه وألصقهم به لمكانته العلمية والصوفية ولصلته بوالده، وقد استفاد من دروس أستاذه استفادة بالغة في الآداب الصوفية والأ حكام الشرعية، فقد كان هذا الشيخ ضليعا في التفسير والنكت الصوفية ، حيث يقول عنه : « يؤدبنا بآداب الصوفية ويعلّمنا الأ حكام الشرعية والحقائق الإ حسانية والنكت والأسرار العرفانية إلى أن قبضه الله إليه وهو راض عنّا » [6].

---

(1). حبيب وداعة الحسناوي: "**أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي (الفقيه الصوفي: حياته ونشاطاته الفكرية والسياسية)**"، مجلة البحوث التاريخية، العدد 02، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الجماهيرية الليبية، 1981، ص 283.

(2). ابن مخلوف: **شجرة النور**، ج1، ص 269.

(*). **الشريعة والحقيقة**: الشريعة أمر بلتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية، فالشريعة جاءت بتكليف الخالق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده، لذلك فالشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدّر وأخفى و أظهر، انظر **الرسالة القشيرية** لأبي القاسم القشيري، ج1، ط1، شركة القدس للتجارة، القاهرة، مصر،2008، ص 346.

(3). إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص 137.

(4). حبيب وداعة الحسناوي: **ابو عبد الله محمد بن علي الخروبي**، ص283.

(5). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 28.

(6). إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص 138.

3 الحاج الصالح قاسم بن قلاع الطرابلسي :مولدا ومنشأ، المتوفى بمدينة فاس ؛ فهو ممن عاشرهم الخروبي وصحبهم، وكان قوي الصلة به وبأسرته، ظاهر الرعاية له في صغره، شديد التأثير عليه في سلوكه الصوفي، حيث يقول عنه الخروبي: « وممن عاشرناه وصحبناه وأفادنا وله علينا تربية : الفقير الصادق السالك الناسك ذو الأحوال السنية، والأخلاق الكريمة الزكية السنية سيدي الحاج قاسم بن قلاع الطرابلسي منشأ ومولدا، دفن بمدينة فاس، وكان رحمه الله تعالى يوالينا ويفيدنا ويخدمنا بحرمة مولانا الوالد لأنه شيخ شيخه ...وهذا كله من فضل الله تعالى ومنه، ومعرفة الصالحين وذكر أحوالهم والنظر في كتبهم»، ويقول عنه أيضا: «ويسألني عما يخصّني في الدار وإذا أخبرته ألجأني إلى روضة خارج بلد طرابلس تعرف بروضة سيدي عبد الله الشعاب ونبيت هناك في مذاكرة وعبادة وخير ، ونرجع إلى البلد وقد تأثرت قلوبنا واطمأنت أنفسنا، وربما حملني إلى الجامع الأعظم من طرابلس نذكر ونتذاكر حكاية الصالحين ومعاملاتهم»[1].

وهو الذي دفعه للتصوف العملي بعد أن درس معه سيرة الفاروق عمر بن الخطاب ، ورسالة في التصوف كتبها (يوسف العجمي) وديوان سلطان العاشقين لعمر بن الفارض، ونتيجة لذلك زهد الخروبي في الحياة المادية الزائلة وباع غالي ثيابه ووزعها على الفقراء وارتدى أبسط الثياب[2]، إذ يقول الخروبي عنه:« فتذاكرنا حالة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزهده وقرأنا شيئا من رسالة سيدي يوسف العجمي وأنشدنا من لامية ابن الفارض ...وأخذت ثياب سيدي الحاج قاسم ولبستها ولبس ثيابي ، وعمدت إلى دارنا فكان لي فيها بعض طعام فأخرجته وفرقته على من احتاجه ، وبعت ثيابي من غير أن تعلم الوالدة »[3]، وهذا ينّم عن تأثره البالغ بأستاذه وزهده الواضح في الدنيا، وهذا سلوك المتصوفة.

4 الشيخ عبد النبي الجبالي: الذي التقى به الخروبي في جنزور بزاوية أبي جعفر[4] غربي طرابلس وسنه اثنتين وعشرين سنة، سنة، فأخذ عنه الطريقة وصافحه وأصبح في عداد شيوخه ؛ الذين يعتز بهم أيّما اعتزاز[5]، والذين كان لهم أتباع ومريدون كثيرون وكان يحظى بتقدير الأمراء واحترامهم، وقد كانوا يستمعون إلى نصحه وإرشاداته[6]، وكان الذي أرسله إليه هو خاتمة شيوخه الشيخ الشهير أبو عبد الله محمد بن زيتون المغربي [7].

وقد قال عنه الخروبي : « وممن عرفناه من الصالحين وأخذنا عنه من أولياء الله المتقين الشيخ الكبير الولي الشهير فريد عصره ووحيد دهره ، العارف بالله القدوة مربي المريدين ومفيد السالكين ، ذو الكرامات الشهيرة والأحوال الزكية الأثيرة

---

(1). أحمد النائب الانصاري: **المنهل العذب**، ص 201،202،203.

(2). أحمد مختار عمر: **المرجع السابق**، ص 155.

(3). أحمد النائب الأنصاري: **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**،(د.ط)، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1994، ص 105.

(4). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 29.

(5). إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص 138.

(6). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي**، ص 283.

(7). إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص138.

المكاشف المربي سيدي عبد النبي الجبالي نفعنا الله به آمين ، وقفنا ببابه وتأدبنا بآدابه وخدمناه ودعى لنا بخير، وكان هذا الشيخ كثير الأتباع عام الانتفاع... وكنت حين وقوع هذه الإشارة منه ابن نحو اثنتين وعشرين سنة أو ما قاربها» [1].

5 الشيخ خليفة أبو غرارة : من شيوخ الخروبي الذين خدمهم ولهم عليه تربية ، وقد أطنب في الثناء عليه وذكر كراماته واعتقاد الناس فيه [2]، من سكان منطقة الحارات ثلاثة أميال قرب طرابلس ومما قال فيه : « وممن عرفناه وخدمناه وله علينا مشيخة وفينا تربية الشيخ القطب الغوث العارف بالله تعالى ، ذو المجاهدات العظيمة، والأحوال الزكية الكريمة، وشيخ زمانه ووحيد أقرانه، المكاشف سيدي خليفة أبو غرارة »[3].

وكان الشيخ خليفة تربطه بالخروبي علاقات عائلية؛ حيث أنّه كان زوجا لأخت زوج أبيه، ذلك أن الشيخ علي الخروبي كان متزوجا بامرأة أخرى من تاجوراء، وهي بنت الشيخ أبي بكر المحجوب التاجوري؛ فكان إذا حضر إلى طرابلس نزل في بيت الخروبي [4]، ما فسح له المجال لأن ينهل من معينه؛ وكان الخروبي يصفه بقوله : « فكان مهابا صموتا وقورا يهابه الملوك والأمراء، وتعظمه العلماء والفقراء، وكان يحب السماع ويحضره عند الشيخ محمد الحطاب » [5].

6 الشيخ الصالح المشهور محمد شان الشان : صاحب المسجد المعروف بطرابلس[6]، يقول عنه الخروبي : « وممن خدمناه وصحبناه وله علينا تربية ومشيخة؛ الولي البدل سيدي محمد المشهور بشان شان، كان مجذوبا من أهل الحال، أطبق الناس على ولايته واجتمعت القلوب على محبته ، وأطلق الله على ألسنة الناس أنه من الأ وتاد، وكان مكاشفا يتكلم على الخواطر» [7]، وكان كثير الكرامات واقترنت به حكايات عجيبة ، إذ يقول عنه محمد الخروبي : « وقد كان شيخنا ابن عبد عبد الله محمد الشهير بشان شان رضي الله تعالى عنه يدخل عليه أناس من المشرق ومن المغرب، فيخبرهم ببلادهم وبغاياتهم وبأنسابهم، وربما يقول للواحد من الداخلين عليه ؛ رأيت في بلادكم كذا وكذا يتيما وكنا نفهم عنه يريد ت ربية السلوك، هذا وما عُ لم أنه سافر قط من بلد طرابلس ولا جال في البلاد، وكثير من الحكايات عن الأولياء في هذا المعنى»[8]، وكما ذكرنا آنفا ، فهذا جانب من جوانب الاعتقاد والقول بكرامات الأولياء، والتي كانت سمة بارزة في العصر.

---

(1). أحمد النائب الانصاري: **نفحات النسرين والريحان** ، ص 106-107.

(2). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 223.

(3). أحمد النائب الانصاري: **المنهل العذب**، ص 204

(4). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي**، ص 283.

(5). احمد النائب الانصاري: **نفحات النسرين والريحان** ، ص 107.

(6). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 224.

(7). احمد النائب الانصاري: **نفحات النسرين والريحان** ، ص 108.

(8). محمد الخروبي: **مخطوط أجوبة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي** ، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم : (329-M16.htm) ، ص 20.

7 الشيخ عبد الرحمن بن عبيد التاجوري: الذي كان له أتباع كثيرون وأصحاب صالحون، وكان يتوسم في الخروبي الخير ويرجوا أن تكون الخلافة فيه[1]، حضر مجالسه العلمية وأخذ عنه التربية [2]، قال الخروبي رحمه الله :« وكان يؤدبنا بآداب بآداب الفقراء ويتوسم فينا الخير، ويرجوا أن تكون الخلافة فينا، فصحبناه زمانا وخدمناه أياما، وكان صالحا ورعًا متعبدا، له أتباع كثيرون وأصحاب صالحون، وأخذ الطريقة عن الشيخ الصالح الولي العارف ، القطب الوارث المربي ذي الكرامات الظاهرة والخوارق الباهرة، شيخ شيوخ أهل افريقية سيدي محمد بن أبي بكر، وهو أخذ عن سيدي محمد الدخلي ،وهو أخذ عن سيدي فتح الله العجمي رحمهم الله جميعا ونفعنابهم»[3].

8 الشيخ أحمد زروق: هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي[*] الشهير بزروق[**] فقيه ومحدث صوفي، هو آخر أئمة الصوفية المحققين الجامعين لعلمي الحقيقة والشريعة ، له كرامات عديدة ؛ حج ثلاث مرات[4]، وكانت ولادته بفاس سنة 846هـ/1442م، دفين منطقة بآتكران بمصراتة سنة 899هـ/1493م؛ وقبره مشهور وأمره شهير، صاحب التآليف العديدة الكثيرة [5]، من أصحاب والد الخروبي وأحد تلاميذه، وعند وفا ة علي الخروبي؛ واصل الشيخ زروق صلته بأفراد عائلته[6]؛ حيث عاشره محمد الخروبي فترة من الزمن ، عندما استقر الشيخ زروق بدار الخروبي ؛ وهو في طريقه إلى الحج والعودة منه[7].

فهذه العلاقة الأبوية والتربوية كما أشرنا وظفها في وقف جزء هام من نشاطه؛ على الجلوس إلى الشيخ والارتواء من علمه العزيز، ولا سيما في علوم الشريعة وعلم الحقيقة ، وقد قال عن صحبته : « فما فارقنا ولا فارقناه حتى قبضه الله تعالى، ونتج لنا لذلك نتائج ؛ فظهرت علينا أنواره وأشرقت علينا شموسه، ففتح علينا ببركاته فكل ما نحن عليه إنّما هو من بركاته، ومن بركة الصالحين الذين جعلوا أيديهم علينا»[8]، ولم تقف صلة محمد الخروبي بأستاذه زروق عند حد التلمذة

---

(1). حبيب وداعة الحسناوي: **ابو عبد الله محمد بن علي الخروبي**، ص 284.

(2). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 31.

(3). احمد النائب الانصاري: **المنهل العذب**، ص 206.

(*). **البرنس** بضم النون: نسبة إلى قبيلة بالمغرب الأقصى. ونسبة إلى قبيلة البراسن التي مازالت مستقرة بموطنها التي كانت تسكنها شمال غربي تازة، وهي في الحقيقة مجموعة قبلية قبائلها لبني فكوس والطائفة وبني بويعلا ووربة وحتى تكون من الواجهة الادارية دائرة من دوائر إقليم تازة قاعدتها تاينسيت ومن اشهر مراكزها باب المروح، انظر **جذوة الاقتباس**،ج1، ص 129.

(**). قال ابن القاضي في **جذوة الاقتباس**: « وإنما يقال له **زروق** لأن جده كان أزرق العينين»، ص 129.

(4). أحمد بابا التنبكتي: **المصدر السابق**، ص 132.

(5). الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج3، ص 225.

(6). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي**، ص 284.

(7). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 31.

(8). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي**، ص 284.

والرعاية، بل إنّه بقي على صلة دائمة بفكر أستاذه، خاصة في التصوف والطريقة الشادلية ، فهو أحد شرّاح " أصول الطريقة" لشيخه زروق [1].

9 الشيخ أبو عبد الله محمد الشهير بزيتون الفاسي : الإمام الفقيه الصالح صاحب الكرامات ، أخذ عنه الشيخ أحمد زروق [2]، ويرتبط لقاء الخروبي بهذا الشيخ بقصة غريبة؛ حين كان يفكر في التفتيش عن شيخ مبرز من شيوخ الهداية والطريقة ، وقد تذكر ما كان يسمع من شيخه الحطاب حين يقول: «من لا شيخ له فهو عند أهل الطريقة لقيط»، أو لعله قد سمع: «من لا شيخ له فالشيطان شيخه»، إذ يقول الخروبي: « فأخذت في الأهبة إلى السفر أطلب شيخا يأخذ بيدي ويكون واسطة بيني وبين ربّي وسببا لوصولي لحضرة مولاي »، فاستشار خاله ابن عمة والدته الحاج تمام سابق الذكر، فقال له : «لا أدلك في زماننا إلاّ على الشيخ محمد زيتون شيخ شيخنا أحمد زروق فقال له وأين هو؟ فقال في فاس »، فعزم على السفر لتحقيق غايته والظفر بأمنيته والوصول إلى هدفه ، لكن الصدفة عجيبة إذ لم تمض أيام قلائل والشيخ زيتون قد وصل؛ ونزل بدار الخروبي نفسه [3]، فعاشره فترة من الزمن وهو في طريقه إلى الحج والعودة منه[4].

وقد أخذ عنه ولقّنه الذكر، فممّا لقنه : «يا الله دلّني بك عليك، وارزقني من الثبات عند وجودك، ما أكون به متأدبا بين يديك»، وهو من كلام أبي عبد الله بن عباد الرفزي في كيفية الدعاء بالأ سماء الحسنى له، إذ يقول عنه أبو عبد الله الخروبي: « شيخنا الولي الصالح العارف بالله تعالى المكاشف ، بدل وقته وإمام عصره، شيخ الشيوخ سيدي محمد بن عبد الله زيتون الفاسي» [5].

إذ يعد خاتم أشياخه بحسب اعتراف الخروبي، وعنه أخذ المصافحة مسندة صحيحة وبعض الأ ذكار؛ التي أتمّ بها مراحل تعليمه الصوفي ، ودخل في « زمرة المريدين وديوان السالكين وفي حزب الصالحين »، وكانت المصافحة قد تمت بطرابلس فوصل بذلك إلى مرحلة متقدمة، وأصبح علمًا مذكورا في أقسام المغرب العربي [6].

10 الشيخ يحي بن علي البجائي: من أكابر أصحاب الشيخ زروق ، فهو أحد شيوخ أبي عبد الله محمد الخروبي ، الذي عني بذكرهم لتربيتهم له أحسن التربية ؛ وتوليهم إياه بالنظر في شؤونه وتفقدهم أحواله [7]، يقول الشيخ الخروبي في شأنه:

---

[1]. إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص139.

[2]. ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ج1، ص 240.

[3]. إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص 140.

[4]. محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص31.

[5]. محمد المهدي الفاسي: **مخطوط تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية**، مؤسسة الملك عبد العزيز ، الدار البيضاء، المغرب، رقم (ms 299.M2HTM)، ص55.

[6]. حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي**، ص 284.

[7]. إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص141.

شأنه: « فخدمناه زمانا طويلا، فظهرت علينا أنواره وأشرقت في بواطننا معارفه وأسراره» [1]، وليس من الغريب أن يكون البجائي من شيوخه؛ وأن يكون على صلة قوية به وأن يلازمه زمنا طويلا، فهو صاحب الشيخ زروق وخليفته في طريقته وقيادة تلاميذه، بعد موته إلى أن سافر إلى مصر التي بها توفي ، وكانت صحبته لهذا المربي قبل اتصاله بشيخه زيتون[2].

11 الشيخ علي بن أبي تربة التونسي: الدار والقرار، الذي التقى به الخروبي بتونس عام 932هـ/1525م، وكانت له معه أيام جديرة بالذكرى والا حترام، وراجع عليه بعض الوظائف و الأوراد [3] قال عنه: « الولي الصالح ذو الأخلاق الزكية والأحوال السريّة والأفعال المرضية، والمقامات العلية ، والمسلك الكريم والطريق المستقيم ؛ سيدي علي بن أبي تربة التونسي الدار والقرار والأخبار..»، كما قال أيضا: « أخذنا عنه الوظيفة الكبرى ووظائف الدورة، فجزاه الله عنا خيرًا» [4].

وبعد هؤلاء الأ ساتذة الذين تحدث عن أحوالهم الصوفية والا جتماعية بشيء من التفصيل ، يذكر عدد آخر من أساتذته على سبيل الإجمال، فقال: « وصحبنا غير من ذكرنا من الصالحين عددا كثيرا وجمًّا غفيرا، كلهم صالحون زاهدون عالمون؛ ذوو طريق قويم وسراط مستقيم...» [5].

وقد قيل أنه أخذ العلم من علماء مشارقة ومغاربة، على غرار أحمد زروق دفين مصراتة ، ومحمد بن عبد الله زيتون [6]، وفي الجزائر كانت له علاقات مع علمائها كأحمد بن يوسف الراشدي [7]، وأخذ عن عمر العطاوي الراشدي وعبد الجليل بن محمد الراشدي، وأبي عبد الله محمد بن مرزوق ومحمد بن يوسف السنوسي [8].

إذ يقول صاحب الجذوة : « أخذ عن محمد عبد الله الزيتوني وعن أحمد بن أحمد زروق ، وعن عمر العطاوي الراشدي عن عبد الجليل بن محمد الراشدي ، وأبي عبد الله بن مرزوق و ابن زكرياء المغراوي وعبد الرحمن الثعالبي ، وأخذ أيضا عن عمر بن زيان المديوني عن محمد بن يوسف السنوسي، وعن إبراهيم التازي صاحب وهران، عن محمد بن واضح الشلبي..» [9].

أمّا العباس بن إبراهيم السملالي في الإعلام يقول: « أخذ عن محمد بن عبد الله الزيتوني وعن أحمد بن أحمد زروق، وعن عمر العطّاوي الراشدي عن عبد الجليل ب ن محمد الراشدي ومحمد بن مرزوق ، وابن زكرياء المغراوي وعبد الرحمن

---

(1). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص32.
(2). إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص141.
(3). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 32.
(4). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 221.
(5). محمد حسين القذافي: **المرجع نفسه**، ص 277.
(6). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، ج1، ص 498.
(7). El Mahdi Bouabdelli : **Op.cit**, P332.
(8). عبد المنعم القاسمي الحسني: **أعلام التصوف في الجزائر**، ط1، دار الخليل القاسمي، بوسعادة، المسيلة، الجزائر 2005، ص 336.
(9). ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ج1، ص 332.

الثعالبي، وأخذ أيضا الخروبي عن عمر بن زيان المديوني ، عن محمد بن يوسف السنوسي عن إبراهيم التازي؛ صاحب وهران عن محمد بن واضح الشلبي» [1].

أما ابن مخلوف فيقول: « أخذ عن الشيخ زروق و أبي عبد الله محمد الزيتوني وعمر بن زيان المديوني » [2]، وهذه المصادر تبرز أسماء الشيوخ الجزائريين الذين نهل الشيخ أبي عبد الله محمد الخروبي من معينهم وارتوي من فيض بحر علمهم الذي لا ينضب ، كعمر العطاوي الراشدي و عمر بن زيان المديوني(*) ومحمد بن مرزوق(**)، غير أنها تذكر من جانب آخر أساتذة له، أمثال محمد السنوسي(***)(ت895هـ/1489م) وابراهيم التازي(ت 866هـ/1462م) و أبا زيد عبد الرحمن الثعالبي(****)(875هـ/1471م)، إلاّ أنه يتبين لنا من تاريخ وفاة هؤلاء الأ شياخ أن الخروبي لم يأخذ عنهم لعدم المعاصرة؛ وعدم الملاقاة فهو صغير السن، ولعل الأستاذ أبو القاسم سعد الله قد أصاب حين قال؛ بأن الخروبي أخذ عن تلاميذ عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي، وجميعهم يمثلون أقطاب حركة التصوف في المغرب العربي [3].

ويختم الخروبي سرد أسماء مشايخه بقوله: « كل ما آتينا به من ذكر أشياخنا الكرام و أساتذتنا العظام، فهو تصديق لقولنا" رباني اشياخي"، وكل ما ذكرنا من أحوالهم الزكية ومقاماتهم العلية وأفعالهم السنية ، فهو تصديق لقولنا " أسانيد في الطريقة"، ونعني بالطريقة طريقة السادات الصوفية رضي ا لله عنهم ببركاتهم " [4]، يتضح لنا مما تقدم كثرة الشيوخ والأساتذة الذين أخذ الشيخ محمد الخروبي عنهم وجلس بين أيديهم في أكثر من قطر مغاربي، و هذا يبرز لنا حقيقة التواصل العلمي القائم بين الأقطار المغاربية، كما يتجلى لنا من جانب آخر سعي الشيخ الحثيث لتحصيل العلم والاستزادة من المعارف، ما سينعكس ايجابا على شخصيته ونتاجه الفكري دوره السياسي.

---

(1). العباس بن إبراهيم السملالي: **الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة: عبد الوهاب منصور، ج5،ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1993، ص 130.

(2). ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، ص 284.

(*). لم نقف على ترجمة لهما.

(**). **محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني** سبط الامام الحبر قطب المغرب، الحفيد ابن مرزوق، قال عنه أبو عبد الله ابن الامام ابن العباس: « هو آخر علماء قطرنا، الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الحائز قصب السبق في ذلك وخصوصا علم الحديث» وكان حيّا سنة 918هـ/1512م ودخل فاس واجاز عبد الوهاب الزقاق، للمزيد انظر **البستان** لابن مريم ، ص 403-404.

(***). **محمد بن يوسف السنوسي التلمساني** عالمها وصالحها وزاهدها وكبيرها، العلامة المتفنن الذي كان له قصب السبق في جميع الفنون خاصة علم التوحيد والمعقول، كان مولده بعد 830هـ، امّا وفاته فكانت في عام 895هـ/1489م، انظر **البستان** لابن مريم، ص 374-376.

(****). **أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي**: الامام علم الأعلام المفسر المحدث العارف بالله، أثنى عليه جماعة بالعلم والصلاح ، أخذ عنه أئمة من أهل المشرق والمغرب ، له تآليف كثيرة مفيدة منها تفسير اختصر فيه ابن عطية والانوار المضيئة في الميع بين الحقيقة والشريعة وغيرها، كان مولده 786هـ وتوفي سنة 875هـ/1471م. للمزيد انظر **شجرة النور الزكية** ،ج1، ص 364-365.

(3). ابو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**،ج1، ص 498.

(4). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 32.

ثانيا: تـلامـيـذه:

أشارت عدد من المصادر إلى أن هناك عدد لابأس به من التلاميذ، الذين أخذوا عن الشيخ محمد الخروبي في كل من المغرب والجزائر، ومن هؤلاء الذين استطعنا الوقوف على أسمائهم:

01- أبو النعيم وضوان بن عبد الله الجنوي(ولد 912هـ/توفي 991هـ): الفاسي دارا وولادة ومنشأً ووفـلة، لقي الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري و أخذ عنه [1]، إذ يقول صاحب سلوة الأنفاس: « وأخذ أيضا عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، شارح " الصلاة المشيشية" نزيل الجزائر ودفين خارجها سنة ثلاث وستين وتسعمائة، وكان يكاتبه بأسئلة في التصوف فيجيبه عنها ...» [2]، وقيل إنه لقي الخروبي وأخذ عنه؛ لما قدم إلى المغرب للسفارة[3].

02- محمد بن يوسف الترغي المستاري(ت.1000هـ) من كبار مشيخة العصر السعدي ، ولد بفاس ولعّل والده أبا يعقوب هو الذي قدم إليها، ثم انتقل بعدها أبو عبد الله إلى مراكش وقضى بها جل حياته [4]، وكان أستاذا مجودا عارفا بالقراءات السبع وهو مؤدب أولاد الملوك، وعنه انتشرت القراءة بالمغرب بسائر طرقها، أخذ عن الشيخ سيدي رضوان الجنوي والإمام الخروبي الطرابلسي وأبي عبد الله عدّي وغيرهم[5].

03- محمد بن عبد الرحمن الحضري الوزروالي أبو عبد الله: القاضي فقيه ومحدث، له سند صحيح وقلم فصيح، ولد سنة 928هـ، أخذ عن أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي عن زروق [6]، وهو أحد رواة الوظيفة الزروقية عن الشيخ محمد الخروبي تلميذ الشيخ زروق[7].

04- أبو الحسن علي بن البقّال الأغصاوي : الفقيه الشيخ الأديب، رحل إلى المشرق وجال بأقطاره نحو 16 عاما، لقي المشايخ ثم رجع إلى المغرب وأخذ عن الشيخ أبي محمد الهبطي؛ وعن الشيخ أبي عبد الله محمد الخروبي السفاقسي في طريقته، توفي أواخر سنة 981هـ ودفن بزاويته من بلاد أغصاوة [8].

---

(1). محمد المهدي الفاسي: **الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع**، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث المغربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2011، ص 100.

(2). الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج2، ص 290-291.

(3). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 256.

(4). سعيد أعراب: **المرجع السابق**، ص 85-86.

(5). الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج3،ص 359-360، والإفراني في **الصفوة**، ص 236.

(6). ابن القاضي: **درة الحجال**، ج2، ص 33-34.

(7). العباس بن إبراهيم السملالي: **الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام**، ج5، ص 183.

(8). ابن عسكر: **المصدرالسابق**، ص 39-40.

05- أحمد بن أبي القاسم الهروي التادلي : الشيخ العارف العلم الحجة المؤلف ، المولع باقتناء الكتب والمطالعة ، يقول عنه أبو العباس أحمد المقري التلمساني في كتابه " زهرة الآس العاطرة الأنفاس" : « استجزته فأجازني كل ما تجوز له وعنه روايته، وجميع تآليفه وما أخذ عن شيوخه كالإمام الشهير أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي»، ثم يذكر أنه أجاز له جميع ما له من منظوم ومنثور، وأدعية وأذكار وكل ما رواه عن أشياخه أئمة هذا الشأن ؛ كالخروبي الطرابلسي الآخذ عن الإ مام أحمد زروق[1].

06- أبو حفص عمر بن عيسى عبد الوهاب الشريف الحسني : أحد أحفاد عبد السلام بن مشيش، صنّفه صاحب التحفة ضمن أصحاب الغزواني[2]؛ حيث كان يكاتبه بأسئلة فيجيبه عنها[3].

07- أحمد بن القاسم بن محمد بن سالم عبد العزيز بن شعيب الهروي : هو الإمام العارف الصوفي البعيد الصيت، أحد المكثرين من التصنيف وجمع الكتب، صاحب زاوية الصومعة بتادلا، أخذ عن الشيخ الخروبي ومحمد بن عبد الرحمن الشريف وغيرهم[4].

8- الشيخ محمد الشنقيطي : ولد سنة 912هـ والمتوفى بفاس سنة 991هـ، له أتباع وفهرسة، أخذ عن الشيخ زروق والشيخ الخروبي المتوفى سنة 963هـ، وعنه أخذ من لا يعد كثرة[5].

9- أبو عبد الله محمد بن الأ ندلسي البرجي الشهير بالشطيبي : كان واسع العلم والمعرفة شهير الذكر ، وهو صاحب التآليف المشهورة، أخذ عن زروق عن تلميذه أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي [6]، وأخذ أيضا عن الشيخ أبي عبد الله الخروبي الجزائري؛ وكان يكاتبه بأسئلة في التصوف فيجيبه عليها[7]، وكان جمّاعا للمسائل من التصوف وغير ذلك وله وله رحلة حجّ فيها ولقي أعلاما، توفي سنة 960هـ[8].

---

(1). أحمد بن محمد المقري التلمساني: **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، تحقيق: محمد سالم هاشم، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 302-303-305.

(2). محمد بن احمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، ج1، ص 270.

(3). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 257.

(4). عبد الحميد بن عبد الكبير الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمستنسخات والمسلسلات**، اعتناء: إحسان عباس،ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص 713.

(5). ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، ص 286.

(6). الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج2، ص 291.

(7). ابن عيشون الشراط: **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب الرباط، المغرب، 1997، ص 172.

(8). ابن القاضي: **درة الحجال**، ج2، ص 203.

10- أبو زيد عبد الرحمن ا لأندلسي: قال فيه الشيخ الخروبي في مقدمة كتابه عيوب النفس : « إنه من الذين طلبوا منه شرح رجز الشيخ زروق لعيوب النفس للسلمي، وبيان مجمله وتفصيله» [1].

11- أبوعثمان سعيد بن أحمد المقرّي : (ت.1010هـ) نسبة لمقرة من قرى بلاد الزّاب، كان إماما علاّمة مفتيا رئيسا ، ولّي فتوى تلمسان سنين طويلة ، تفقه بشيوخ فاس كأبي العباس الونشريسي والزقاق ؛ وتخرج على يديه جماعة كأحمد بن القاضي والشيخ سعيد قدورة و ابن أخيه أبي العباس المقرّي مؤلف "نفح الطيب" [2]، وقد قال الروداني إنّ أبا عثمان المقري صافح أيضا سيدي محمد الخروبي الطرابلسي ؛ وهو صافح أحمد زروق وذكر سند المصافحة حتى أوصله إلى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم [3]، وقال أحمد المقري في كتابه "روضة الآس" عرد حديثه عن شيخه أحمد بن أبي القاسم الهروي التادلي ؛ أنه قد طلب منه أن يستجيز له عمّه مع أنه شاركه في الخروبي وغيره : « وقد سألني صاحب الترجمة وأكّد على أن استجيز له مولانا العم، المفتي العلم، أبا عثمان سيدي سعيد بن مولاي الجد أبي العباس أحمد بن أبي يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش المقرّي» [4].

12- عبد الرحمن الأخضري: (ت.981هـ) من أبرز العلماء الذين أنجبتهم الجزائر في القرن 10هـ/16م، ومن أخصبهم إنتاجا وأوسعهم شهرة في ميدان التأليف ؛ والكثير في العالم الإسلامي، ذلك أنّه كتب في المنطق والفرائض والبيان ؛ والمعاني والفلك والحساب، وقد تلقى بعض العلم ومبادئ الطريقة الزروقية على الشيخ محمد بن علي الخروبي [5]، إذ يقول الأستاذ الأستاذ سعد الله: « ولو لم يكن للخروبي من التلاميذ غير عبد الرحمن الأخضري لكفاه » [6]، ويقول عنه الشيخ المهدي المهدي البوعبدلي: « وإذا كان الخروبي اشتهر في الأوساط الخاصة، فإن الأخضري عمم نشر المذهب في الطبقات العامة » [7].

13- سيدي علي بن حامد [*]: كان فقيها صالحا، وهو الذي أخذ عن الشيخ محمد الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر لقيه وتتلمذ له فناوله السبحة وألبسه الخرقة؛ وأضافه التمر والماء، وأعطاه الورد وألزمه قراءته [8]، يتبين لنا مما ذكرناه الدور

---

(1). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 257.

(2). محمد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، ج2، ص 571-572.

(3). محمد بن سليمان الروداني: **صلة الخلف بموصول السلف**، تحقيق: محمد حجّي، ط2، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2008، ص 472.

(4). احمد المقري: **المصدر السابق**، ص 306.

(5). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، ج1، ص 30-31.

(6). أبو القاسم سعد الله: **المرجع نفسه**، ص 500.

(7). المهدي البوعبدلي: "**عبد الرحمن الأخضري و أطوار السلفية في الجزائر**"، مجلة الأصالة، العدد 53، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1978، ص 25.

(*). **لم أجد من ترجم له.**

(8). محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، ج2، ص 437.

الكبير للخروبي في مجال التدريس وتلقين العلوم، مع كثرة طلبته وتلامذته في مختلف أقطار بلاد المغرب، والذين تجاهلت المصادر ذكر أسماء الكثير منهم؛ على الرغم من الصيت والشهرة والحظوة التي نالها الشيخ.

المبحث الثالث: حركية الخروبي بين الأقطار المغاربية.

أولا: رحلته إلى أقطار المغرب العربي:

لقد عُرف الشيخ الخروبي رحمه الله تعالى – بالإضافة إلى بلده الأصلي طرابلس – في كل من تونس،الجزائر والمغرب، الأمر الذي يؤكد شهرته العلمية ومكانته البارزة بين أهله؛ خصوصا المتعلمين منهم، ولعل من الأمور التي أسهمت في شهرته كثرة حركيته بين هذه الأقطار متعلما ومعلما[1].

01- رحلته إلى تونس:

من الأشياء الغامضة في حياة الخروبي بداية رحلته إلى أقطار المغرب العربي، فلم نعثر في المعلومات المتاحة على تاريخ محدد لتنقلاته، وإن كان قد ذكر أنه كان يعدّ العدة للسفر إلى فاس؛ عندما أدركه شيخه ابن زيتون في طرابلس، وبالرغم من أهمية الحدث في حياة الشيخ العلمية والتصوفية ؛ نجده يهمل السنة التي تمّ فيها ذلك [2]، ولكن من الجائز أن تكون هذه الرحلة قد بدأت بعد احتلال الإسبان طرابلس سنة 916هـ/1510م، حيث أثار هذا الغزو الهجرة شبه الكاملة للسكان، والخاصة من العلماء الذين غادروا هذه المدينة ومقاطعاتها [3]، لما كان من ضيق أهلها بهذا الاحتلال والتجائهم والتجائهم إلى تاجوراء وغريان ومسلاتة[4]، ولعل من الأمور التي تؤكد ذلك ؛ حزنه وأنينه وأسفه على احتلال بلاده، إذ يقول الخروبي في إحدى مؤلفاته : « أعادها الله للإسلام »، وهذه الجملة تدل على أن البلاد وقعت تحت وطاة غزو أجنبي[5].

ليس من الواضح أن تكون رحلته للا تصال بالأسطول التركي، المتخذ من تونس منطلقا له في البحر الأبيض المتوسط؛ لمساعدة المسلمين الفارين من الأندلس عقب سقوط غرناطة ، لأنه ليس هناك ما يدل على مسعى له في هذا الجانب[6]، أو للاتصال بالدولة الحفصية نظرا لتواطؤ حاكم تونس مع الإسبان؛ ما جعل أمر الحصول على مساعدة

---

(1). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 250.

(2). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 286.

(3). El Mahdi Bouabdelli : **Op.cit**, P : 331-332.

(4). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 251.

(5). علي مصطفى المصراتي: **المرجع السابق**، ص 53.

(6). إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص 144.

سياسية وعسكرية حفصية أمرا مستحيلا أو في حكم المستحيل، ذلك أنّ هذا الحاكم قد هاجم طرابلس وتاجوراء في محاولة منه لكسر المقاومة الشعبية لصالح حلفائه الإسبان[1]، فمن المعقول أن يكون تنقله لدواعي منها:

– لمزيد من الإطلاع والاتصال بمدارس المغرب العربي ومراكز الإشعاع كالزيتونة مثلا، إذ كانت الرحلات العلمية أمرا متعارفا عليه، مرغوبا فيه لا يكاد يستغني عنه العالم والمتعلم [2]، حيث أنّ الاتصال بين العلماء في طرابلس والقيروان وصفاقس وتونس كان طبيعيا، لقرب هذه البلاد من بعض؛ ولوجودها في الغالب تحت حكم واحد، ونظرا لوجود طرابلس في طريق المغاربة أثناء سفرهم ؛ لتأدية فريضة الحجّ ، فيجلسون في مساجدها دارسين ومدرسين ؛ فيجازون ويجيزون، وقد يرحل بعض العلماء قصدا إلى صفاقس أو القيروان للأخذ والسماع من أكابر العلماء[3].

– لطلب الأمن والحماية في كنف حكّام تونس الحفصيين ، خصوصا وأنّ تونس كانت عاصمة إفريقية، وطرابلس عاصمة بلد الشيخ الخروبي التي كانت تابعة لها [4]، إذ لم ينقطع التواصل بين تونس وليبيا عبر مختلف العصور، فقد كان المصير مشتركا منذ مئات السنين، وكانت كل الأحداث تجري فوق الأراضي التونسية والليبية في نسق واحد[5].

– كما أنّ المصادر التي ترجمت له كابن عسكر في الدوحة؛ والحضيكي في طبقاته وغيرها ، تصفه بالصفاقسي نسبة إلى صفاقس إحدى مدن البلد التونسي الشهيرة؛ ما يدل على إقامته بها مدة طويلة كافية لتسويغ نسبته إليها.

ونظرا لعدم معرفتنا بالتحديد للفترة الزمنية التي انتقل فيها الخروبي من طرابلس إلى تونس، فإنه يتعذر علينا معرفة المدة بالضبط، لكن يمكن حصرها ما بين 916هـ وسنة 932هـ؛ أي مدة ناهزت ستة عشر سنة، وهذه مدة كافية لتعلمه وتعليمه وإقامته لمدرسة هناك، بل أن يبلغ درجة علمية تؤهله لذلك[6]، حيث يذكر الخروبي إسم اثنين من مشايخه مشايخه هما: سيدي يحي بن علي الجبالي، والشيخ الصالح علي بن أبي تربة التونسي؛ الدار والقرار والأخبار؛ الذي قابله سنة 932هـ/1525م، وإن لم يشر إلى المكان الذي قابله فيه صراحة من سياق العبارة « التونسي الدار والقرار والأخبار».

فإنّ ابن أبي تربة لم يغادر تونس وأنه مات بها، لذلك يكون قد قابله في تونس ودرس عليه الوظائف الكبرى ووظائف الدورة، ونشأت بينهما محبة شديدة وصداقة وطيدة، ولعل ما يؤكد إقامته مدة من الوقت بتونس ؛ تلك المدرسة

---

(1). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 287.

(2). إبراهيم رفيدة : **المرجع السابق**، ص 145.

(3). حمزة أبو فارس: **أضواء على جوانب من حياة ليبيا العلمية**، (د.ط)، منشورات ألقا، فاليتا، مالطا، 2001، ص 60.

(4). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 252.

(5). إبراهيم أبو القاسم: "**الخلفيات التاريخية للهجرة الليبية إلى الإيالة التونسية خلال القرنين 18و19م**"، المجلة التاريخية المغاربية، العددان 85-86، منشورات مؤسسة التميمي، زغوان، تونس، 1997، ص 252.

(6). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 252.

التي أنشأها الخروبي بها[1]، إذ يذكر هذا الأخير في حديثه عن شيخه المشار إليه: « وفي مدة إقامتنا بتونس، خرجت إلى البحيرة، وجلست على الساحل أقرأ أورادي، فأتى هو إلينا فلم يجدنا في موضع سكنانا ، فجلس ينتظرني، فلأخذني وقال فلم أقدر أن أتمالك نفسي، فدخلت المدينة، فلمّا جئت إلى ناحية المسكن وجدته جالسا على باب مدرستي فلمّا رآني أخذه انزعاج، وقال لي : أين كنت؟ والله لو لم تأت لم تكن الخروبي أبدا ، ثم إنه انبسط معي، وفتحنا باب المدرسة ودخلنا فيها، فصححت عليه بعض الوظائف ...رحمه الله تعالى »[2]، يتبين ملم تقدم أن الخروبي كانت له لقاءات وتنقلات في مدن المغرب العربي قبل استقراره بالجزائر، ولم تكن تلك الحركية عادية أو من أجل لقمة العيش، بل كانت لأغراض سياسية وعلمية، وفي كل قطر استقر فيه كان بارزا في مجاله ومشاركا في الحركة الثقافية، وذلك ما دعاه فيما بعد إلى الانتقال من تونس إلى الجزائر[3]، ومن المحتمل أن يكون تاريخ المغادرة ينحصر في سنة 932هـ أو سنة 933هـ لأسباب منها: قوله في كتابه " شرح الإرادة ": « أنه كان مقيما بتونس واجتمع خلالها بشيخه أبي تربة سنة 932هـ». وتصريحه في كتابه " كفاية المريد"؛ بأنه أخذ عليه الوظيفة سنة 931هـ[4].

02- رحـلـتـه إلى الجـزائـر :

انتقل محمد الخروبي إلى الجزائر التي كانت قد ضمت إلى الدولة العثمانية، أي بعد تبعية البلاد للباب العالي ، وإن كان البعض يرى أنّ الخروبي قدم من السلطنة العثمانية إلى الجزائر[5]، إذ يقول :« ولعله زار أو تربى في اسطانبول قبل قدومه إلى الجزائر، وكان قد تشبّع بالروح الصوفية السائدة عندئذ في المشرق ؛ من شادلية أو قادرية أو بكداشية وغيرها»[6]، وعلى أية حال فقد ارتحل إليها واستقر بها مادامت الجزائر تمثل مصدرا إسلاميا محررا، تحكمه قوة إسلامية كبرى يمكن يمكن الاستفادة من قوتها لتحرير طرابلس ، وإجلاء العدّو الأجنبي منها، وإقامة حكم إسلامي بها يرتبط بالخلافة العثمانية، بالإضافة إلى ما يترتب عن هذه الحركية من مكاسب شخصية ؛ تتمثل في إشباع رغبة الشيخ في تلقي المزيد من المعارف والعلوم؛ والالتقاء بكبار العلماء والصوفية المشهود لهم بالكفاءة وسعة الاطلاع؛ والشهرة في المغربين الأوسط والأقصى الذين كانت تتواتر أخبارهم وتتردد أسماؤهم في الأوساط العلمية والأدبية[7].

---

(1). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 286.
(2). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 251.
(3). جمعة محمود الزريقي: **المرجع السابق**، ص 452
(4). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 252.
(5). أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5، ص 197.
(6). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، ج1، ص 498 .
(7). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 287.

وفعلا أخذ الخروبي عن علماء الجزائر وتتلمذ على بعضهم ؛ كما ذكرنا مثل عمر العطاوي الراشدي، عمر بن زيان المديوني وأبي عبد الله بن مرزوق ، وتلاميذ محمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمن الثعالبي وغيرهم، ومن المؤكد الذي لا شك فيه أن الشيخ الخروبي قد أقام بالجزائر مدة بلغت ثلاثين سنة تزيد ق ليلا أو تنقص، وهو في هذه الفترة الزمنية قد وصل درجة علمية كبيرة ؛ أهلته لتولي وتقلد بعض الوظائف كالخطابة [1] والتدريس، والإفتاء بالجامع الأعظم "الكبير" وكانت له علاقات متينة مع علماء العاصمة آنذاك ، على غرار الشيخ أحمد بن يوسف الملياني ، وعلاقات طيبة بأتراك الجزائر[2]، وقد خصص جل وقته وكرّس نفسه وجهده، للتأليف خصوصا في مجال التصوف والأذكار والأوراد، وغيرها من العلوم السائدة في عصره ؛ كالتفسير والحديث والفقه، ونتيجة لنبوغه العلمي وتأثيره في معاصريه، احتل مكانة علمية بارزة بين أقرانه من العلماء؛ وصار له تلاميذ ومريدون[3]، وبفضل دراسته وعلمه الغزير وجهده المضني وما تحلّى به من ميزات وصفات نبيلة ، استطاع أن يبني نفسه ويوطد علاقاته الشخصية بالأوساط الإجتماعية والسياسية المختلفة، ولاسيما الفئة التركية الحاكمة الجديدة التي رحبت به، من حيث هو أحد المتصوفة وعلماء الدين ؛ الذين يسهمون إسهامات هامة في الحياة السياسية والاجتماعية في بلدان المغرب العربي، كما استطاع أن يكسب ثقتهم و أن يكون له مشاركة في الحياة السياسية وقيادة العمل الديبلوماسي[4]، حيث نال حظوة بسبب ذلك لدى الحكام الأتراك، حتى انتدبوه للسفارة والقيام بمهمات ديبلوماسية في المغرب الأقصى[5]، كمندوب إلى السلطان المغربي.

03- سفارة الخروبي إلى المغرب:

الحراك الديبلوماسي: كان سلطان المغرب الأقصى محمد الشيخ السعدي قد عمل عند احتلاله لمدينة فاس في 06 فيفري 1549م/956هـ، على إلقاء القبض على كل الوطّاسيين من أبناء بني مرين، وأرسل بهم مقيدين بالأغلال إلى مدينة مراكش وكان لهم أنصارهم، فساءهم ما لقيه هؤلاء من سوء المعاملة، وكان آخر ملوكهم " أبو حسون" قد نجا بنفسه وأخذ يدعو لشخصه ولبني وطّاس المرينيين [6] هذا من جهة، ومن جانب آخر أدّى تمركز العثمانيين بالجزائر وقيام الدولة السعدية في المغرب الأقصى، إلى تطور مشكلة الحدود بين البلدين إثر امتداد السيطرة العثمانية إلى تلمسان والمناطق المحيطة؛ على يد الوالي حسن باشا بن خير الدين بربروس في منتصف القرن 16م، في الوقت الذي أتم فيه محمد

---

(1). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 253.

(2). مولاي بالحميسي: "**مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية**"، مجلة الأصالة، العدد 08، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ماي-جوان 1972، ص 73.

(3). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 253.

(4). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 288.

(5). أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3، ص 197.

(6). أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص 310.

الشيخ السيطرة على معظم بلاد الريف والمغرب الشرقي، وبعث قوات استطاعت إلحاق الهزيمة بالقوات التركية في وجدة في أفريل 1549م والدخول إليها [1].

كما تمكنت هذه القوات من دخول تلمسان في 09 جوان 1550م، وألقي القبض على الأ مير الزياني "الحسن" حليف الأتراك الذي أرسل إلى فاس، بينما فرّ أخوه "عمر" إلى الجزائر طالبا نجدة العثمانيين، وكان السعديون يرون في ضمها إليهم عاملا قويا لتوطيد سيطرتهم على كل المغرب الشرقي ، وصدّ كل تدخل تركي في المغرب، في حين كان الأتراك يرون في التمركز بتلمسان تدعيما لوجودهم بالجزائر؛ وقاعدة حصينة لغزو المغرب[2].

وهكذا شهدت الفترة الممتدة من عام 1550م-1554م سلسلة من الحوادث الحربية بين الأتراك والسعديين؛ من أجل السيطرة على تلمسان والمناطق المجاورة لها، انتهت بانسحاب الأتراك من فاس سنة 1554م؛ وبهذا استعاد السعديون السيطرة على فاس[3]، وفي خضم هذا الصراع أبدى السلطان العثماني سليمان القانوني اهتماما خاصا؛ بمسألة الحدود وتسوية موضوعها مع الحكام السعديين، وفي هذا الصدد بعث الباب العالي برسالتين إلى محمد الشيخ السعدي مؤرختين بأول رجب 959هـ الموافق لينار 1552م، وفي إحدى هاتين الرسالتين يخبر السلطان العثماني بأنه عزل حسن باشا من ولاية الجزائر ؛ وعيّن مكانه صالح رايس الذي سيبدأ مع الحاكم المغربي عهدا جديدا من التعاون والتفاهم ، ومما جاء فيها: « ولما بلغ إلى سمعنا الشريف أن أمير الأمراء بولاية الجزائر سابقا حسن باشا لم يحسن المجاورة مع جيرانه ، ومال إلى العنف والاعتساف ونبذ وراء ظهره طرق الوفاق وا لائتلاف، وسد باب الا جتهاد مع المجاهدين حماة الدين، لذلك بدّلناهم غيره فأنعمنا بولاية الجزائر على مملوك حضرتنا العلية ...صالح باشا ...ولابد أن تحسنوا المجاورة وتذهبوا طريق حسن المعاشرة » [4].

وفي إطار الإ هتمام بمسألة الحدود وتسوية الخلاف بين القطرين ، أوفدت حكومة الأتراك العام ذاته (959هـ/1552م) وفدا من كبار العلماء ، يرأسه الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي ؛ ممثلا للسلطان العثماني سليمان القانوني ، الذي ساءه وقوع الحرب بين المسلمين، وهذا في مهمة لتوطيد السلام [5]، وكانت السفارة تخص بها السلطة ذوي المكانة الرفيعة من العلماء أصحاب الشهرة والتأثير والعلاقات، على غرار الخروبي الذي خدم الوجود العثماني في المغرب العربي ، وخصوصا الجزائر خدمة جليلة بقلمه ودرسه وطريقته الصوفية، بالإ ضافة إلى نشاطه الديني

---

(1). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 288.

(2). عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 77.

(3). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 289.

(4). عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 79.

(5). بسام العسلي: **الجزائر والحملات الصليبية(1547-1791)**، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980، ص 28.

والمذهبي لصالحهم، وكانت معرفته بالمغرب وبعلمائه هي التي أهلته ؛ مع ثقة العثمانيين به لتولي هذه المهمة باسمهم لدى سلاطين المغرب[1].

حيث يرى البعض أن اختيار الخروبي يرتبط إلى حد بعيد بالعلاقات التي كانت تربطه بعلماء مغاربة، كما يعود أيضا إلى أنه سبق له أن زار مدينة فاس أيام السلطان أحمد الوطّاسي ، وهو ما أهّله في نظر المسؤولين العثمانين للعب دور الوساطة بين مراكش و اسطانبول [2]،كما يعزى اختيار الأتراك له لآداء هذه المهمة باعتباره فقيها صوفيا ، نظرا للدور الكبير الذي يقوم به الفقهاء والصلحاء في ذلك الوقت في المجتمع والسياسة ، وخاصة في المغرب الأقصى لمعالجة المشكلات السياسية والانحرافات الاجتماعية[3].

وتشير بعض المصادر أنّ البايلرباي حسن باشا بن خير الدين (1552/1544م)، قد ولد بمدينة الجزائر من أم جزائرية، وتربى بين أهلها وتثقف على يد علمائها [4]، لعل أحدهم هو الشيخ الخروبي ، وهو ما أسهم في زيادة مكانة الخروبي وتقريبه من الأوساط الحاكمة التركية بالجزائر[5]، وكان الغرض من سفارته المهادنة بين السلطانين وتحديد البلاد بينهما [6]، أي من أجل تسوية الحدود وضبط النفوذ السياسي بين البلدين والصلح بين الطرفين ، ولكي تتحرر البلاد الإسلامية من السلطة الأ جنبية [7]، فأرسل حسن باشا بن خير الدين المذكور العا لم الشهير محمد الخروبي الطرابلسي الأصل؛ إلى ملك المغرب أبي عبد الله محمد المهدي الشيخ [8]، فوفد على السلطان السعدي وهو بفاس، واستقبلته حكومة المغرب بما يليق بجلال فضله وسمو شأنه فأكرمت وفادته، ولكن جلّ العلماء الذين تحدثوا عن سفارته حكموا عليها بالإخفاق وأنها لم تأت بطائل [9]، وفي كتاب " تاريخ الدولة السعدية" لمؤلف مجهول، ترد تفاصيل السفارة التركية للمولى السعدي على النحو التالي : « لما تفرد السلطان بملك المغرب ولا بقي له منازع واستقر بفاس وكان يضبط أحوالها إذ وفد عليه رسول من السلطان سليم [كذا] وهو سيعيده في ملكه ويعلمه بما كان عليه بنو مرين مع ه من الهدايا والوداد والخدمة إليه، وإنه في نصرتهم ... فسكت عنه ولم يجبه بشيء وبقي عنده إلى أن طال جلوس الرجل ، وطلب منه أن

---

(1). ابو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500–1830)**، ج1، ص 435-498.

(2). عبد الرحيم بنحادة: **المغرب والباب العالي من منتصف القرن 16 إلى نهاية القرن 18م**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان ، تونس، 1998، ص 72.

(3). حبيب وداعة الحسناوي: "**الصراع التركي السعدي1549–1557م وسفارة الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي للمغرب عام 1952م بشأنه**"، من كتاب **أعمال ندوة التواصل**، ص 191.

(4). أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص 301.

(5). حبيب وداعة الحسناوي: **الصراع التركي السعدي**، ص 192.

(6). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 42.

(7). ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص 71.

(8). المهدي البوعبدلي: "**وحدة المغرب العربي عبر التاريخ**"، مجلة الثقافة، العدد 70، وزارة الثقافة، الجزائر، أوت 1983، ص 90.

(9). محمد حسين القذافي : **المرجع السابق**، ص255.

يسرحه فقال له مولاي محمد الشيخ : سلّم على أمير القوارب سلطانك ، وقل له أن سلطان المغرب لابد له أن ينازعك على عمل ويكون قتاله معك، إن شاء الله يأتيك مصر والسلام» [1] .

وهذه الرواية وإن لم تذكر تاريخ السفارة، إلاّ أنها أشارت أنّ القصد من ورائها تهنئة السلطان محمد الشيخ بالملك والتماس الدعاء منه؛ للسلطان العثماني على منابر المغرب، وأنّ المبعوث أو الوفد التركي المرافق قد قابل السلطان السعدي في فاس، مما يقوم دليلا على أن تلك السفارة جاءت عقب دخوله الأول فاس ؛ وقضائه على الحكم الوطاسي الموالي للأتراك؛ لذلك فالسفارة كانت تتوقع اعتراف الملك المغربي بزعامة السلطان العثماني للعالم الإ سلامي وتبعيته للحكم العثماني في الجزائر [2]، ويبدوا أنّ الإخفاق السياسي للسفارة الأولى لكان محققا، حيث استمر الخلاف واندلعت نار الحرب الحرب من جديد ، وهاجم الأتراك فاس واستولوا عليها ؛ وأعادوا إ ليها أبا حسون الوطاسي ، وكان هذا في مارس 961هـ/1554م [3]، لكن السعديين تمكنوا من إخراجه واستعادة فاس في 23 سبتمبر 1554م، وكانت هذه الحادثة نقطة تحول هام في تاريخ الدولة السعدية، فالمولى محمد الشيخ ظهر كخصم عنيد للأتراك العثمانيين ، ومن المعارضين لسياستهم التوسعية في بلاد المغرب، بل أعلن عقب النصر أنه ذاهب إلى الجزائر لمنازلة الأتراك هناك [4].

وإثر استيلاء السعديين على فاس والقضاء النهائي على الدولة الوطاسية ، بعث السلطان العثماني سليمان القانوني إلى محمد الشيخ سفارة وخطاب [5]، وكان السفير هو الشيخ محمد الخروبي الطرابلسي؛ الذي أعاد صالح رايس إرساله بمهمة التفاوض مع المهدي على رأس وفد [6]، فوفد عليه وهو بمراكش أواخر سنة 961هـ/1554م؛ فاستقبله البلاط بما بما هو جدير به، من التجلّة والإكرام، إذ يقول الناصري: « لما كان من السلطان أبي عبد الله الشيخ ما كان من غزوه تلمسان مرتين، وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو تلك البلاد ، عينت دولة الترك من جانبها الفقيه : محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر ودفينها ؛ للوفادة على السلطان المذكور في ش أن عقد المهادنة وتحديد البلاد ، فقدم عليه الفقيه المذكور وهو بمراكش سنة 961هـ في هذا الغرض، فأكرم السلطان أبو عبيد الله وفادته» [7].

وبعد أن أمّ الوفد ساحة السلطان السعدي بمراكش ، فاوضه بلسم السلطان العثماني سليمان القانوني حول النقاط التالية:

---

(1). المجهول : **المصدر السابق**، ص 30-31.

(2). حبيب وداعة الحسناوي: **الصراع التركي السعدي**، ص 193.

(3). Diego de Hoedo : **Histoire des Rois D'Alger**, p97.

(4). عبد الكريم كريم: **المرجع السابق**، ص 83.

(5). إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 281.

(6). المكّي جلول: **مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 1235-1847م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993، ص 90.

(7). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 27.

1) اعتراف السلطان العثماني بالاستقلال التام لدولة المغرب، مقابل اعتراف هذه الدولة بالخلافة العثمانية جمعا لوحدة المسلمين؛ وذلك بالدعاء للخليفة على المنابر.

2) إطلاق سراح المقيدين المنكوبين من بني وطاس المرينيين، والتخفيف من ضائقتهم، إذ لايجوز شرعا أن يقيد جماعة من المسلمين.

3) تحديد الحدود بين مملكتي الجزائر والمغرب الأقصى[1] .

وطال النقاش حول هذه النقاط، ولم يوافق سلطان مراكش السعدي على الا عتراف بخلافة آل عثمان على المسلمين، كما أنه لم يقبل تدخلهم في أمر بني وطاس[2]، أما الخطاب فقد أحضره وفد تركي قدم به من تركيا عن طريق البحر، فوصل إلى الجزائر ومنها قدم إلى مراكش عن طريق البر، يطالب فيه الباب العالي أبي عبد الله الشيخ بالدعوة له على منابر المغرب وكتابة اسمه على سكته[3]، وكان السلطان المغربي يطلق لسانه في السلطان سليمان القانوني ويسميه سلطان الحواته، لأن البواخر العثمانية كانت تجوب بكثرة عرض المتوسط[4]، لذلك ما كاد السلطان يعلم فحوى الخطاب حتى أحضر الرسول ، وقال له: « لا جواب لك عندي حتى أكون بمصر إن شاء الله وحينئذ أكتب لسلطان القوارب »[5]، ويبدوا أنّ السفارة التركية تكونت من فريقين : فريق من علماء الجزائر برئاسة الشييخ أبي عبد الله محمد الخروبي، الذي عبّر عن رغبة السلطان في إقامة علاقات سياسية حسنة، والفريق الثاني يتكون من الأتراك الرسميين برئاسة مبعوث السلطان من اسطانبول، الذي عرض الشروط التركية لأسس العلاقات التركية المغربية[6].

وتؤكد المصادر التي أرّخت لسفارة الخروبي إلى مراكش على أنّ الشيخ أخفق في سفارته ؛ ولم يحقق الهدف المرجو منها، حيث لم تنجح مهمته لدى السلطان السعدي سنة 961هـ/1554م[7]، إذ يقول الناصري: « فأكرم السلطان أبو عبد الله وفادته، إلاّ أنه لم تظهر ثمرة لمقدمه»[8]، وإذا كان الكثير يرى أن السفارة في جانبها السياسي قد أخفقت في

---

(1). أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص 310.
(2). بسام العسلي: **المرجع السابق**، ص28.
(3). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص32.
(4). إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ص 281.
(5). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 32.
(6). حبيب وداعة الحسناوي: **الصراع التركي السعدي**، ص 193.
(7). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 289.
(8). الناصري: **الاستقصا**، ج5، ص27.

في المرتين، فإنها من ا لناحية العلمية حققت نجاحا كبيرا، حيث التقى الخروبي بعدد من علماء المغرب وتتلمذ على يديه عدد آخر منهم واستجازه بعضهم فأجازه[1].

لقد اعتبر الأستاذ أحمد توفيق المدني أن السفارة الثانية كانت ناجحة في جانبها السياسي كذلك، حيث قال: « إنما أسفرت سفارة العلماء عن أمر إيجابي، وهو رسم حدود فاصلة بين دولتي المغرب والجزائر من ساحل البحر إلى بداية الصحراء، مما يزال قائما إلى يوم الناس، وهذا كان ذلك سنة 961هـ/1554م» [2] وبذلك تمّ التوصل إلى اتفاق مشترك مشترك وضبط الحدود بوادي ملوية بين البلدين[3]، وهذا العمل الديبلوماسي يمثل جانبا آخر من جوانب الحراك السياسي السياسي الذي قام به الشيخ الخروبي ، لتلافي النزاعات وتجاوز الصراعات وتقريب وجهات النظر ، وتوحيد الجهود بين أقطار بلاد المغرب تحت لواء الخلافة العثمانية؛ لدرء الخطر الخارجي والوقوف في وجه التهديد الأ جنبي، والعمل على رص الصف المغاربي وبناء علاقات متينة مبنية على التآخي والود والوئام.

ثانيا: أعـمـالـــه:

إنّ ما يتمتع به الشيخ محمد الخروبي من قوة؛ وما لديه من مقومات ذاتية ، مكنته من أن يصبح من المقدّ مين في المجتمع الجزائري، وقد كان صاحب حظوة لدى أتراك الجزائر، حيث خدم الخروبي الوجود العثماني في المغرب العربي وخصوصا الجزائر خدمة جليلة بقلمه ودروسه وطريقته الصوفية ، فبالإضافة إلى نشاطه الديني والمذهبي لصالحهم، استعين به في الوفادة كسفير إلى المغرب[4]، وكان الخروبي من الفقهاء المالكيين الذين حافظوا على مكانتهم، حيث تولى الرئاسة الدينية بجامعها الأ عظم [5]، الذي كان يسمى بمسجد المالكية بالجزائر العاصمة، وهو ما قد أشارت إليه الكثير من المصادر التي قالت بتوليه الخطابة فيه[6]، وهو مازال قائما إلى اليوم عامرا، ويعدّ من معالم الآ ثار الإ سلامية بالعاصمة الجزائرية، كما تقلد وظائف أخرى ؛ حيث أسند إليه كرسي التدريس وإدارة شؤون العبادة بالجامع الأكبر [7]، كما تولى الإفتاء بنفس الجامع، وكانت له علاقات متينة مع علماء الجزائر [8].

---

(1). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 256.

(2). احمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص 310-311.

(3). المكّي جلول: **المرجع السابق**، ص 90.

(4). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، ج1، ص498.

(5). ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"**، ص 138.

(6). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ص498.

(7). El Mahdi Bouabdelli : **Op.cit**, P : 332.

(8). مولاي بالحميسي: **مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية**، ص 73.

ولم يعين المؤرخون المكان الذي كان يدرس ويلتقي فيه الطلبة المتلقين حوله، سواء بالجزا ئر أو بالمغرب، ولكن يبدو أنه كان يجلس بالجامع الأ عظم بالجزائر العاصمة ، ليلتفّ حوله طالبوا العلم ممن يرغبون في الا رتواء والنهل من معينه [1].

ولعل ما يؤكد ذلك ما قاله الأستاذ أبو القاسم سعد الله : «.. ولو لم يكن للخروبي من التلاميذ غير عبد الرحمن الأخضري لكفاه»؛ فهو من مشاهير تلاميذه علما واستفادة وإفادة[2].

ويضيف الأستاذ أبو القاسم قائلا : « إنّ الخروبي ساعد أيضا على نشر الطريقة الزروقية بين طلبة الجزائر ، كما تعاطى التدريس والتأليف؛ وما تزال آثاره باقية عندنا »[3]، وهذا يبرز لنا مكانة الشيخ عند أمراء الجزائر وحكامها، حيث حيث انعكست هذه الحظوة إيجابا على حياة الخروبي ؛ الذي استطاع أن يثبت ذاته وأن يفرض نفسه و يتقلد وظائف عديدة.

ثالثا: تأديته لـمنـاسـك الحـجّ :

حجّ الخروبي إلى بيت الله الحرام، ولم يذكر المؤرخون تاريخ محدد لا نتقاله إلى البقاع المقدسة، أثناء إقامته بالجزائر ومرّ ببلده الأصلي(طرابلس)، إذ يقول العياشي في رحلته: «... تلميذه الإمام الخروبي لما مرّ بزاوية الشيخ قاصدا الحج »، وقد مرّ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي بقصر أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم [*]، ونزل بزاوية شيخه زروق التي وجدها قائمة، وقد بنيت بعد وفاته بعشرين سنة حسب ما أخبر به أبو سا لم العياشي في رحلته، وذلك نقلا عن أبي العباس أحمد؛ القيّم على زاوية وضريح الشيخ زروق ، وفي أثناء نزوله بها اشتكى له القائمون على هذه الزاوية من ظلم ومضايقة الأعراب لهم، فأمرهم بإضافة وإدراج زيادة على وظيفة شيخه زروق في هذه الرحلة، ومما أدرجه قوله : « يا مولانا يا مجيب، من يرجوك ما يخيب ، إقض حاجتنا، ياحاضرا لا يغيب آمين ... بعد قوله يا عا لم السر منّا.. إلخ » [4]. ولعل ما ما يؤكد هذا المرور حديثه عن شيخه الحطّ اب، ووصفه بأنه راض عنه حتى قبضه الله إليه ، وهذا القول منه يوحي بدنو لقائه له قبل فترة وجيزة [5]، ويقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله في كتابه : « وكان الأ خضري قد تلقى ورد الطريقة الشادلية والزروقية على الشيخ محمد بن علي الخروبي ، عند مرور هذا بالزّاب (حيث بنطيوس) في طريقه إلى الحج» [6]،

---

(1). مختار الهادي بن يونس: "**محمد بن علي بن مصطفى الخروبي إفادات عن سيرته ومؤلفاته**"، من كتاب **أعمال ندوة التواصل الثقافي**، ص 341.

(2). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ص 500.

(3). أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3، ص 197.

(*). **أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد**: من بدو سرت من قبيلة الحسون ممن قطنوا جهة احمد وهو الذي تولّى شؤون الضريح، وقام ببناء المسجدة والزاوية بعد 20 سنة من وفاة الشيخ زروق.

(4). أبو سا لم العياشي: **الرحلة العياشية " ماء الموائد"**، مج1، ص 187-188-189.

(5). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 254.

(6). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ص501.

وهي معلومات تؤكد لنا ذهاب الخروبي للحج وزيارته للأماكن المقدسة وآدائه للفريضة، ولكن لا نستطيع الجزم أنّه ا هي نفس الحجة التي ذكرها أبو سالم العياشي في رحلته؛ أم أنّها حجّة أخرى قام بها فيما بعد أو قبل ذلك.

المبحث الرابع: نتاجه الفكري ومكانته العلمية.

أولا: مـؤلفاتـه:

ترك الخروبي مجموعة من الكتب لا تزال حبيسة رفوف المكتبات العامة والخاصة، ذكرتها الكتب التي تناولت المؤلف بالترجمة، ومازال بعضها طيّ النسيان، فضلا عن عدد من الرسائل والأ جوبة في الفقه والتفسير والحديث [1]، وقد ركز الخروبي في أغلب تآليفه على الأ وراد والأذكار وعلوم التصوف [2]، ويمكن حصر التآليف التي تمكنا من التعرف عليها والوقوف عند بعضها؛ فيما يلي:

01- كفاية المريد وحلية العبيد: وهو كتاب يعالج قضايا في التصوف، وقال عنه الشيخ حسن العجمي أنه : « ومن أنفع الكتب إن شاء الله لمن أراد الجري على هذه المحجة الشريفة كتاب "كفاية المريد" للشيخ محمد بن علي الخروبي، فإنه بيّنَ فيه ذلك أحسن بيان »، ولذلك قال مؤلفه أن كتابه "كفاية المريد" واجب على كل سالك تحصيله [3]، وهو من أفضل كتبه، وقد أطراه المتتبعون للتصوف، وهو من المؤلفات الأكثر فائدة حيث قارنه البعض بدراسات الغزالي [4].

02- مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس : وتكمن أهميته العقدية في كونه يمثل المدخل الأ ساسي لمعرفة أركان عقيدة القرآن التوحيدية ، التي يحتاج إليها المسلم في سلوكه التعبدي، من الشهادة إلى آداء الصلاة وإيتاء ا لزّكاة فصوم الشهر وحج البيت لمن إستطاع إليه سبيلا، ومن دوافع تأليفه لهذا الكتاب ؛ يقول الخروبي في هذا الصدد : « والحامل لي على وضع هذا الكتاب أنّي رأيت عامة المؤمنين عن آداب القواع د الخمس معرضين، وخاصتهم عن أسرارها ومواطن القرب منها ساهين ، فرأيت أن أنبّه الجميع لذلك توفية لحقوق الأخوة الإ يمانية، ليلاحظوا ذلك عند تلبسهم بالعبادات الشرعية، وقيامهم بالآداب الدينية. والله أسأل أن ينفع به من سعى في تحصيله وأن يوفق الجميع إلى السلوك على سربيله بمنّه وفضله »[5]، وتوجد نسخة مخطوطة من هذا المؤلف في مؤسسة عبد العزيز للمخطوطات بالدار البيضاء (نمتلك نسخة مصورة منها) .

---

(1). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 294.

(2). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ص498.

(3). العباس بن إبراهيم السملالي: **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، ج5، ص 131.

(4). El Mahdi Bouabdelli : **Op.cit**, P 338.

(5). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 69.

03- شرح أصول الطريقة للشيخ زروق : في أصول الطريقة الشادلية، قال الشيخ حسن العجمي – في رسالة الطريقة الصوفية المفتتح بالطريقة المحمدية – عند ذكرها : « مبناها على متابعة السنة في الأ قوال والأفعال، والا شتغال بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أن تفصيل السنن يطول.. »[1]، حيث يقول الخروبي في المقدمة القصيرة:

« وبعد فالغرض من هذا التقييد، بسرط كلام شيخنا الإمام القدوة المربي الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق رحمه الله تعالى ورضي الله عنه، أسس الطريقة بسطا يظهر معانيها ويصحح مبانيها وبالله نستعين...»، وأسس الطريقة هي:

1- التحقق في التقوى بحفظ مالا يعنيه و لايطّلع عليه إلاّ الله.

2- التحقق في اتباع السنة بحيث لا يأخذ إلاّ ما صح أو كاد أو قرب.

3- رفع الهمة عن الخلائق بحيث لا يتوجه لهم في أمر من الأمور إلاّ مجازا.

4- التسليم للخلق فيما هم فيه بلقاء شرورهم وإيثار السلامة والعافية معهم.

5- الاستسلام للقدر في جميع الأحوال والصبر والرضا والشكر.

وفي الختام قال : «... كمل الأساس الذي يمليه مبنى الطريقة ومعانيها ، ومن هنا إن شاء الله يتوجه الفتح إلى الحقيقة والحمد لله رب العالمين ...»[2].

04- الدرة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة: وهو كتاب في التصوف، توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بقسم المخطوطات تحت رقم 2295، والمخطوط مبتور في أوله وآخره، وله عنوان آخر يحمل اسم: النبذة الشريفة في شرح أصول الطريقة، وأصول الطريقة خمس:

- تقوى الله في السر والعلانية.
- اتباع السنة في الأقوال والأفعال.
- الإعراض عن الخلق في الإقبال و الإدبار.
- الرضا عن الله في القليل والكثير.
- الرجوع إلى الله في السرّاء والضرّاء.

05- كراس سيرة ذاتية : يوجد بمكتبة بطرابلس تحت عنوان " ذكر بعض الأولياء بطرابلس" ويعرف أيضا بسم" شرح الإرادة"، وهذا الكتاب في محتوياته سرد وذكر لأشياخه، ومن له فضل وتربية بدءا بوالديه وانتهاءا بآخر شيخ إلتقاه وأخذ

---

[1]. العباس بن إبراهيم السملالي: **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام** ، ج5، ص 130.

[2]. مختار الهادي بن يوسف: **المرجع السابق**، ص 347-348.

عنه [1]، وهي سيرة تقتصر على الفترة التي قضاها في طرابلس قبل هجرته إلى تونس ومنها إلى الجزائر، والمتداول منه نسخة وتبدو الوحيدة، وقد استفاد منه الكثيرون في كتاباتهم كالشيخ أحمد النائب في كتابيه " المنهل العذب" و" نفحات النسرين"، قال في بدايته: « ولنبتدئ بذكر مولاي الوالد رحمه الله تعالى والوالدة رحمها الله تعالى ، إذ كلاهما له علينا تربية ونتبع بذكرهما باقي أشياخنا رحم الله الجميع ...»، وفي الختام: «وقد انتهى ما قصدنا من شرح الإرادة والحمد لله والشكر على كمال الإرادة وتتميم الإفادة»[2].

06- شرح الصلاة المشيشية: وهي مجموعة أوراد للشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش ؛ كاملة في التصوف [3]، لها انتشار واسع، توجد بالمكتبات العامة والخاصة، وتوجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط .

07- شرح الحكم العطائية: وهو شرح لأبي عبد الله الخروبي على حكم أبي الفضل أحمد بن عطاء الله السكندري [4] داراً؛ الجذامي أصلاً ونسبًا من قبيلة جذام بن عدي من كهلان سبأ، وقد اعتمد في شرحه على كتابين بصورة أساسية هما: شرح الحكم لأبي عبد الله محمد بن عباد، وشرح الحكم لأبي العباس أحمد زروق ، وكان شرحه رائعا مبسطا، بسط فيه قواعد التصوف، ويعد من أهم كتب التصوف التي يعتني بها المتصوف ة لاقتنائه، والاطلاع على قواعد التصوف وفهمها للسهولة التي يتميز بها أسلوبه الخاص[5]، وتوجد نسخة مخطوطة منه بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 1796د.

08- رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل مدينة فاس: التي ذكر مقتطفات منها ابن عسكر في كتابه "دوحة الناشر" [6]، والتي تناولت موضوعا عقديا فكريا مهما ، يمثل جانب المناظرات الفكرية التي دارت بين الخروبي وعلماء فاس كالهبطي واليسرتيني حول موضوع النفي" لا إله إلاّ الله " الذي سيكون لنا حديث عنه لاحقا.

09- رسالة في الرد على أبي عمرو القسطلي: وهي رسالة ردّ فيها على الشيخ أبي عمرو القسطلي المراكشي [7]، والتي شبه فيها دعاوى الشيخ القسطلي بدعاوى الحلاّج [8].

10- شرح عيوب النفس ومداواتها: في التصوف [1]، وله تسمية أخرى " الأنس في شرح عيوب النفس" وتوجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بالمكتبة الوطنية الفرنسية للمخطوطات باسم " كتاب في السلوك للخروبي" تحت رقم 5627

---

(1). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 295.
(2). مختار الهادي بن يونس: **المرجع السابق**، ص 349.
(3). أحمد مختار عمر: **المرجع السابق**، ص 155.
(4). الطاهر أحمد الزاوي: **أعلام ليبيا**، ص 344.
(5). مختار الهادي بن يونس: **المرجع السابق**، ص 353.
(6). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 9.
(7). ابن ميمون: **المصدر السابق**، ص70.
(8). الحضيكي : **طبقات الحضيكي**، ج1، ص 277.

من 134 ورقة، وهو شرح لنظم الشيخ زروق لرسالة عبد الرحمن السلمي في عيوب النفس، وأيضا تعرف بالرجز المعيوب في التصوف؛ وهي معروفة وذات انتشار واسع [2]، ومما جاء في مقدمته : « وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلا، ومن أراد الآخرة ترك زينة الد نيا، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء ، فلنظر إلى الحديث كيف بيّن أنّ حقيقة الحياء من الله عزّ وجلّ ؛ عن خصوم النفس وهواها وترك ما ذرها وشهواتها الموجبة لإحداث عيوبها ...»، وفي الصفحة الموالية يتحدث عن عيب من عيوب النفس إذ يقول : « الحياة الآجلة متى ما تكون في الدار الآخرة ؛ والحياة العاجلة هي الحياة الدنيا، وفَقدُ الآجلة عبارة عن عدم التفكر فيها وترك أخذ الأهبة لها والعمل لأجلها، والزاد الموصل إلى مواطنها وهذا عيب من عيوب النفس » [3] وكتاب " الدرة الشريفة" و" الأنس في شرح عيوب النفس" شرحان لنصوص زروقية تتعلقان بالطريقة.

11- أبيات النام في مدح خير الأنام : وتوجد نسخة مخطوطة منه بخزانة تطوان : رقم 518-701م [4].

وهناك مؤلفات مخطوطة لم يرد ذكرها في كتابات الدارسين منها:

12- أجوبة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي : وهو كتاب يجيب فيه الخروبي عن أسئلة في العقيدة والتصوف ، أرسلها إليه الشيخ أبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسني، ومما جاء في الصفحة الأ ولى: « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله، هذا جواب الشيخ الولي العارف ؛ الرباني الجامع الكامل ولي الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة ؛ سيدي محمد بن علي الطرابلسي الشيخ علي الخروبي الطرابلسي نفعنا الله به آمين عن أسئلة سأله عنها أبو حفص سيدي عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسني...» [5].

13- أذكار وأوراد محمد بن علي الخروبي الطرابلسي : يتناول فيه الأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ سواء في الصلوات أو أذكار الصباح والمساء وغيرها التي تمثل حصنا للمسلم في يومه وليلته ، ويذكر صاحب المخطوط في مقدمته: « يقول عبيد الله سبحانه وتعالى محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، عفا الله تعالى عنه ورحمه الله وغفر له : الحمد لله، اعلم أيها العبد الحريص على اتباع سبيل الرشاد، الباحث على طريق أهل الا هتداء، إنه يتأكد على كل مريد سالك أن يعلم ما يلزمه في دور يومه وليلته من الأقوال والأفعال والأحوال، من أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله، فإذا علم ذلك وعمل به اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ في أقواله وأفعاله وأحواله ، فقد هدي إلى صراط مستقيم... ».

---

(1). بشير ضيف بن عمر الجزائري: **فهرسة معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، مراجعة عثمان بدري، ط2، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ص 241.

(2). مختار الهادي بن يونس: **المرجع السابق**، ص 353.

(3). محمد الخروبي: **مخطوط في السلوك، المكتبة الوطنية الفرنسية للمخطوطات**، تحت :رقم 5627، الموقع الإلكتروني: gallica.bnf.fr، ص 6-7.

(4). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 35.

(5). محمد الخروبي: **مخطوط أجوبة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي**، ص 3.

وقد ختم الخروبي كتابه بقوله : « كمل بحمد الله وتوفيقه وحسن عونه وتوفيقه الجميل، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما » [1].

14- وصايا ونصائح محمد بن علي الخروبي الطرابلسي وأبو الحسن علي الحرالي و أبو الحسن الشادلي : وذكر فيه أحد شيوخ فاس من المتصوفة (المهدي الفاسي)؛ وصايا هؤلاء المشايخ، من بينهم الشيخ محمد الخروبي لتلميذه أبو النعيم سيدي رضوان الجنوي، وتوجد نسخة مخطوطة منها بمؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، تحت رقم (ms 296- M_1.htm).

15- تفسير القرآن الكريم : ويحمل اسم " رياض الأزهار وكنز الأ سرار"، وهو تفسير يقع في ثماني مجلدات ؛ توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية بخط مغربي ، ورقمها 364 طلعت، وقد أكلت الأرضة النسخة حتى لتبدو محترقة وأصبح من العسير قراءتها، كما لا يمكن إصلاح الكثير منها [2]، وهذه الأ جزاء الثمانية مستقلة عن بعضها البعض ويشمل الجزء الأول على 202 ورقة من القطع المتوسط ، وقد كتب على ظهر الورقة الأولى صورة وقفية ، تثبت أن هذه النسخة من تفسير الخروبي بأجزائها الثمانية ؛ أوقفها الشيخ محمد الترقي الأ ندلسي على زاوية الأ ندلس بالجزائر في أواسط جمادى 1111هـ [3]، ولعل ما يؤكد ذلك ما جاء في " الجذوة " لابن القاضي الذي يقول : « وحدثني بعض الجزائريين أنه رأى تفسيرا له على القرآن العظيم، بجزائر بني مزغنة » [4].

وقد افتتح الخروبي الجزء الأ ول بقوله: « بسم الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، يقول عبيد الله سبحانه محمد بن علي الخروبي الطرابلسي سامحه الله تعالى وعفا عنه ...»، وينتهي الجزء الأ ول بآخر سورة آل عمران؛ ويبتدئ الجزء الثامن وهو آخر جزء بتفسير سورة النجم، وبعدما ذكر المؤلف آياتها حيث قال: « أن هذه السورة مكية بإجماع»، ويشمل هذا الجزء على 261 ورقة في حجم الجزء الأول وبخطه، وجاء في آخر ورقة:

« انتهى تفسير سورة الناس بحمد الله تعالى وحسن عونه »، ثم قال : « تم جميع التفسير بكماله، والحمد لله حمدًا يليق بكماله » [5]، ولم يكن الخروبي يهدف من وراء آثاره إلى تحقيق الأمجاد الزائلة أو شيء من أغراض الدنيا الفانية، وإنّما كانت أهدافه أن سخّر قلمه وفكره وأعماله لغاية نبيلة؛ هي العلم والدين.

---

(1). محمد الخروبي : **مخطوط أذكار وأوراد محمد بن علي الخروبي الطرابلسي**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب تحت رقم (MS 329-M18.htm)، ص 3-9.

(2). أحمد مختار عمر: **المرجع السابق**، ص 155.

(3). الطاهر احمد الزاوي: **أعلام ليبيا**، ص 344.

(4). ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**،ج1، ص 322.

(5). الطاهر احمد الزاوي: **أعلام ليبيا**، ص 344-345.

* كلمة في منهج الإمام المفسر الخروبي رحمه الله : أوضح الخروبي المنهج الذي اختاره لنفسه في التفسير، حيث تحدث في مقدمته عن مقصده من تأليفه؛ وهو أن يجمع فيه بين الشريعة والحقيقة، أي بين الأحكام الشرعية الظاهرة والأسرار الربّانية والإشارات الصوفية، حيث قال: «ونحن قصدنا في كتابنا هذا أن نجمع بين الطرفين ؛ ليكون جامعا بين الشريعة والحقيقة، فنأتي من علوم ظاهرة بعلم التفسير، إذ هو العلم المراد لذاته، وباقي العلوم دالة معينة عليه، ولنأت معه بما أمكن من أسباب النزول للفوائد المتعلقة به »[1]، فهو يثبت التفسير الظاهر ليكون الأساس الذي يبنى عليه الباطن ؛ وما يبديه من حقائق وأسرار ، لأنّ ذلك أضمن لإصابة الحق والبعد عن الزيغ في تفسير الكتاب الكريم، قال: «ولنأت من علوم باطنة بالحقائق البادية من آياته، وبالأسرار التي تضمنتها تراكيب جمله وألفاظه، مما سبق الغير إليها، أو مما لم يعثر أحد غيري عليها، و لنقدم التفسير ليكون قاعدة لما نأتي به من الحقائق والأسرار، إذ ذلك أبلغ في نيل الغرض وأنقى للعرض، وإن دلّت الآية على تعلق أو تحلق أو تخل أو تحل ؛ أنبه على ذلك بلفظ موجز»[2]، وهو إيغال في الجانب الصوفي في تفسير كتاب الله، وهو الجانب الذي يمثل ثقافته ويغلب على تفكيره وسلوكه ، وهذا من عالم يعتمد على التفسير الظاهر لدلالة الألفاظ والآيات القرآنية، وهو تفسير علماء المسلمين الذين تعاقبت عليه مناهجهم المختلفة، فهو يحتاط ولا يرضى بأيّ شيء لأنّه من العلماء الأثبات، وهو الواجب لمن أراد استجلاء الأسرار والأفهام الدقيقة والإشارات الخفية من معاني القرآن الكريم[3].

فتفسيره عمل منهجي أصيل قصد به الجمع والتوسط بين موقفين متباعدين؛ أي التفسير المرتكز على علوم القرآن المعروفة من أسباب النزول واللغة والنحو ... والتفسير المرتكز على النور الإيماني القلبي الذي ينفذ إلى الحقائق والأسرار بطريقة الإلهام والتوفيق والموهبة الربّانية، لذلك نجد أنّ مصطلحي الظاهر والباطن الواردين في مقدمة تفسيره لم يكن يقصد بهما المدلول الصوفي بالمعنى الخاص؛ وإنما يريد بالظاهر المعاني القريبة التي تفهم من ظاهر الآيات والألفاظ، ويق صد بالباطن المعاني العميقة والدلالة الخفية ؛ التي تستقى من خواص النظم ومن المناسبات اللطيفة ومن السياق والأحوال المحيطة بالمعاني[4]، التي يدركها أرباب القلوب الصافية والأرواح المحلقة.

والخروبي اعتمد في تأليفه على تفسيري أبي محمد عبد الحق بن عطية (ت.546هـ) "المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز"، وتفسير الثعالبي أبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الجزائري المالكي (ت.875هـ) – وهو من العلماء الكبار الصالحين المعروفين في الزهد والورع وسعة العلم، وغلبة الفقه والتصوف عليه– ، المعروف باسم تفسير " الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، فهذان التفسيران هما المرجعين الأساسيين لرياض الأزهار، قال: «واعتمد في التفسير على كتاب الإمام

---

(1). ناصر الدين محمد الشريف: **المرجع السابق**، ص 159.

(2). إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص 147.

(3). ناصر الدين محمد الشريف: **المرجع السابق**، ص 159.

(4). أحمد أبو زيد: "**منهج الخروبي في تفسيره (معالم كاشفة)**"، من كتاب **أعمال ندوة التواصل الثقافي**، ص 282-283.

ابن عطية – رحمه الله – وعلى "الجواهر الحسان" للشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي– رحمه الله–»[1]، وقد تجنب الخروبي في تفسيره الإكثار من المسائل النحوية والكلامية؛ ومسائل الأخلاق بين الفقهاء والأصوليين؛ والإكثار من من كلام الصوفية وتأويلاتهم وإشاراتهم، كل هذا جعل من تفسيره " رياض الأزهار" مفيدا ممتعا، جمع بين الإفادة العلمية والتغذية الروحية، بين إمتاع العقل وإشباع القلب [2].

16- شرح جزء من صحيح البخاري : هو مخطوط اكتشفه الشيخ ابن أبي شنب في مكتبة الجامع الكبير بالجزائر، وهذا المخطوط جزء من صحيح البخاري ؛ يقدم وصفا دقيقا مع الشرح وبحاشية لعدد من علماء القرن 10هـ/16م، مثبتا أصالة هذا الكتاب ؛ ووجود هذا المؤلف بخط الخروبي في مسجد الجزائر ، يقدم للمتخصصين في الحديث ثروة نفيسة جدا[3]، ومما تقدم يتّضح لنا أن كثرة نتاجه الفكري يدل على سعة وغزارة علمه ، وقدرته على العطاء وفهمه الواسع والعميق؛ واتساع ملكاته وبعد نظره في طرح آرائه وأفكاره، حيث كان له تأثير كبير على أبناء عصره؛ لِما تمتاز به من عمق وشمول وبساطة في الطرح ، فالمتتبع يلحظ أنه لا يترك وقتا إلاّ واستغله في البحث والكتابة والتأليف، حتى كان من الشخصيات البارزة في المغرب العربي خلال القرن 10هـ/16م.

ثانيا: مكتبة الخروبي:

إنّ الحراك الفكري والنشاط العلمي الذي قام به الخروبي ، وشهرته التي تعدت حدود بلده وتآليفه الكثيرة ؛ لم تمنعه من اقتناء الكتب وطلبها، فقد كان شغوفا بجمعها، لذلك تبقى الكثير من الأشياء المبهمة في حياة الشيخ ؛ على غرار مكتبته التي لا يزال الغموض يلف الكثير من جوانبها ، إذ يقول صاحب الجذوة : « كان جمّاعا للكتب ... وذهب إلى مراكش وخلّف خزانة من كتب العلم »[4]، واكتفى ابن القاضي بهاتين العبارتين دون أن يضفي عليهما إفادات ، ويقول المهدي البوعبدلي: « وكان جمّاعا للكتب...وذهب إلى مراكش وخلف خزانة من كتب العلم »[5]، وهو ما يشير إليه الشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقوله : «وكان رحمه الله صاحب عناية تامة ورغبة شديدة في جمع الكتب النفيسة ، حتى

---

[1]. إبراهيم رفيدة: **المرجع السابق**، ص 149.

[2]. أحمد أبو زيد: **المرجع السابق**، ص 283.

[3] .El Mahdi Bouabdelli : **Op.cit**, P: 338,341.

[4]. ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ج1، ص 322.

[5]. ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"** ، ص 138.

أصبحت مكتبته العامرة مضرب الأمثال بين العلماء» [1]، وهو ما يقره عادل نويهض في معجمه:« مات بالجزائر وخلف خزانة من كتب العلم»[2].

ويقول السملالي في الإعلام: « وكان جماعا للكتب خطيبا بالجزائر، وكان له وجاهة عند أمراء بني عثمان...وذهب إلى مراكش وخلف خزانة من كتب العلم »[3]، وبذلك يؤكد المترجمون له ؛ أنّ الخروبي كان له ولع خاص بجمع الكتب القيمة النفيسة، وعمل منها مكتبة خاصة ؛ إلاّ أنّ المهدي البوعبدلي قام في دراسته بإضافة معلومات جديدة وقيمة يستخلص منها:

01- خزانته ظلت محفوظة إلى أن تمّ التصرف فيها بالبيع بعد وفاة حفيده.

02- هذه الكتب اشتراها سعيد قدورة مفتي المالكية بالجزائر، وقد حررت وثيقة شراءها في عام 1052هـ.

03- كان من ضمن قائمة الكتب المبيعة ، نسخة لصحيح الإمام البخاري عرفت بـاسم النسخة الخروبية، مكتوبة على ورق بخط أندلسي وهي مزخرفة ومذهبة اشتريت بقيمة 700 دينار.

04- قام بتصحيحها ونسخها بأجزائها العشرين مع تسجيل تعليقاته وسماعاته بخط يده [4].

وهذه الإضافات القيمة التي جاء بها الشيخ البوعبدلي، من الدلائل أن مكتبته كانت بالجزائر ؛ عكس ما يذهب إليه البعض بأنه ترك مكتبة بمراكش ، كالأستاذ أبو القاسم سعد الله الذي يقول : « ثم توجه إلى مراكش وترك هناك خزانة كتب ضخمة »[5]، وقد شكك البعض في صحة هذه المعلومة انطلاقا من عدة إعتبارات:

01- أن هذه المعلومة لم يشر إليها أحد مما سبقه في الكتابة عن أبي عبد الله محمد الخروبي.

02- وفادة الخروبي للمغرب كانت لمرتين ولمدة قصيرة.

03- أن الخروبي لم تكن له نية الإقامة و الاستقرار بالمغرب.

04- خلال إقامته بالمغرب كان يشغله عاملان:

* المناقشة مع السلطان في قضية الحدود بين البلدين.

---

(1). عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ص107.

(2). عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف، بيروت، لبنان، 1980، ص 132.

(3). العباس بن إبراهيم السملالي: **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام** ، ج5، ص 130.

(4). مختار الهادي بن يونس: **المرجع السابق**، ص 345

(5). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ص 435.

* تصديه للبدع التي انتشرت بالمغرب، واحتدام النقاش بينه و بين علماءها [1].

وهذه وجهة نظر نراها أقرب إلى الحقيقة؛ خاصة مع اكتشاف البوعبدلي لوثيقة تثبت بيع مكتبة الخروبي بالجزائر، وإذا سلمنا و أخذنا بقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله ، هل نقرّ في المقابل بوجود مكتبتين للشيخ إحداها بالجزائر والأخرى بمراكش؟ وهذا يحتاج إلى دراسة وبحث ومهما يكن من أمر ؛ فإن هذه التركة العلمية تجسد هي الأخرى جانبا آخر من جوانب الحراك الفكري؛ للشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي ، كما أنّ تباين وجهات النظر حول مكانها يجعلنا نتأكد من متانة وقوة استمرارية العلاقات الثقافية والعلمية بين القطرين، وأنّ الحدود الجغرافية لا اعتبار لها في دار الإسلام.

ثالثا: مكانته العلمية: (أقوال العلماء).

لقد احتلّ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي مولدًا ومنشأً؛ نزيل الجزائر ودفينها، مكانة بارزة وشهرة فائقة بين أقطار المغرب العربي عامة ، وبين علمائه خاصة ، نظرا لباعه الطويل في مختلف المعارف وشتى العلوم ، خصوصا في التصوف والفقه والحديث والتفسير، حيث شارك في عدّ ة مهام علمية وديبلوماسية ؛ وساهم في تنشيط الحركة الفكرية بمؤلفاته في مختلف المجالات ومناقشاته للعلماء ، فقد كان له من الا عتبار العلمي ما يجعله مشهورا بين علماء المغرب آنذاك، وتأكيدا لجلال قدره وسمو شأنه وعظمة مكانته العلمية نورد أقوال بعض العلماء:

- قال ابن عسكر: « كان من العارفين وله قدم بارع في فنون التصوف والمعارف الروحانية، مع تفننه في علوم الفقه والحديث، وله تصانيف عجيبة مثل كفاية المريد وش رح تصلية القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش ، ورسالة ذي الإفلاس إلى خواص أهل مدينة فاس وغير ذلك، وكان الشيخ أبو عبد الله محمد الهبطي إذا ذكره يثني عليه بالخير» [2].

- وقال أحمد بن القاضي في الجذوة : « كان من أهل الحديث والفقه والتصوف، واقفا على أغر اضهم، جمع في فن التصوف والأذكار كتبا منها: شرح الحكم لابن عطاء الله، ورسالة ردّ فيها على عمر القسطلي المراكشي » [3].

- وقال السملالي قاضي مراكش:« واسع العلم والمعرفة ، شهير الذكر، وله التآليف العديدة» [4].

- وقال الحضيكي: « كان رضي الله عنه من العلماء العارفين، برع في الفنون وتفنن في علم التصوف والمعارف الروحانية والفقه والحديث، وصنف تصانيف عجيبة ككفاية المريد وشرح تصلية القطب أبي عبد السلام بن مشيش...» [5].

---

[1]. مختار الهادي بن يونس: **المرجع السابق**، ص 345.
[2]. ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 126-128.
[3]. ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ج1، ص 332.
[4]. السملالي: **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام** ، ج5، ص 130.
[5]. الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، ج1، ص 277.

- وقال النائب الأنصاري : « كان رحمه الله تعالى إماما بارعا ؛ محققا وضاح الفهم ساطع الحجة، عباب علمي الظاهر والباطن، متين الحفظ متسع المعرفة، شديد الرواية معتدل الإفادة» [1].

- ووصفه المهدي الفاسي بقوله:« سيدي محمد الخروبي الشهير؛ البركة أبوعبد الله محمد بن الشيخ الإمام القدوة المربي أبي الحسن علي الطرابلسي الجزائري الشهير بالخروبي» [2].

- وقال محمد بن مخلوف: « أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري؛ عالمها الكبير وإمامها الشهير ، كان من أهل الحديث والفقه والتصوف ، جمع من التصوف والأذكار والأوراد كتبا؛ منها شرح الحكم ورسالة ردّ فيها على أبي عمر القسطلي المراكشي...» [3].

- وقال الشيخ الزاوي:« العالم الفقيه الصوفي المحدث، كان محققا واسع المعرفة، وله تآليف كثيرة منها : مزيل اللبس» [4].

- ووصفه درنيقة:« برع في علوم الشريعة والتصوف ومعرفة أحوال الدول والممالك ، كما اشتهر بالبلاغة والخطابة والشجاعة الأدبية، حيث كان جريئا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، شديد النكير على أهل البدع والضلالات» [5].

[5].

- وقال عنه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي : « الإمام المتضلع صدر علماء الجزائر في الدور الثاني من العهد التركي، ...كان رحمه الله متمكنا في علوم الشريعة والتصوف، متبحرا في معرفة أحوال الدول والممالك، ذا دراية واسعة بسياسة الملوك، وخبرة تامة بشؤون الحكومات، عالما أديبا بليغ القلم واللسان، خطيبا مصقعا، شجاعا هماما شديد النكير على أهل البدع والضلالات، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا جاه ووجاهة عظيمة عند الملوك والسلاطين» [6].

- وقال الأستاذ سعد الله: « كان فصيح اللسان وجريئا ، وقد تولى الخطابة في أحد مساجد الجزائر، كما عرف عنه أنه كان جمّاعا للكتب ، وقد قيل إنه ترك خزانة كتب ضخمة بمراكش »[7]، ولعل الأستاذ سعد الله استند حينما ذكر أن الخروبي خلف خزانة من الكتب إلى ابن القاضي في" الجذوة " حينما قال: « وذهب إلى مراكش وخلف خزانة من كتب العلم » [8].

---

[1]. أحمد النائب الأنصاري: **نفحات النسرين والريحان**، ص 104.
[2]. محمد المهدي الفاسي: **مخطوط تحفة أهل الصديقية** ، ص 54.
[3]. ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**،ج1، ص284.
[4]. الطاهر أحمد الزاوي: **أعلام ليبيا**، ص 343.
[5]. محمد أحمد درنيقة: **الطريقة الشادلية وأعلامها**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان 2009، ص 193.
[6]. عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، د.ط، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1980، ص 107.
[7]. أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**،ج1، ص498.
[8]. ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ج1، ص 332.

– ويقول عادل نويهض في كتابه "معجم الأعلام": « محمد بن علي الخروبي الطرابلسي أو السفاقسي الجزائري، أبو عبد الله فقيه الجزائر في عصره، مفسر محدث من كبار العلماء» [1].

– وقال الدكتور إبراهيم رفيدة: « هو عالم كبير من علماء الشريعة والتفسير والتصوف ، وله مؤلفات جليلة منها : تفسير رياض الأزهار وكنز الأسرار».

– وقال الدكتور عمر مولود : « ذالكم العالم العامل، ذو الباع الطويل، في مختلف أنواع العلوم والمعارف، وخاصة العلوم الشرعية واللغوية، على اختلاف فروعها»، وقال أيضا: « ترك الخروبي للمكتبة الإسلامية آثارا كثيرة وقيّمة، نالت إعجاب فطاحل العلماء وجهابذة العلم والمعرفة، لما احتوته من معارف ودقائق، وما جمعته من كنوز و درر» [2].

وعليه فآثار الخروبي المتنوعة، وعطاءه الجّم الكبير سواء الوظائف التي تقلدها أو النتاج العزيز في التأليف، أو النشاط الديبلوماسي الذي قام به كسفير إلى الملك السعدي، والمناقشات العلمية التي أعقبت سفارته، تبرز لنا المكانة العلمية المرموقة والدرجة الرفيعة التي وصل إليها الشيخ، ولعلنا بهذا القدر استطعنا أن نعطي صورة وجانبا من جوانبها.

رابعا: وفـــاته.

إنّ أغلب المصادر والمراجع التي ترجمت للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، تكاد تجمع على أنّ وفاته كانت سنة 963هـ/1556م بالجزائر العاصمة، حيث دفن خارج سور المدينة وقبره الآن مجهول ، إذ يقول الإفراني في النزهة : « توفي الخروبي سنة 963هـ بالجزائر ودفن خارجها والله سبحانه أعلم »[3]، ويقول الناصري في كتابه الاستقصا: « وتوفي الخروبي هذا سنة 963هـ ودفن خارج الجزائر والله أعلم » [4].

وبنفس العبارات يقول ابن مخلوف : « توفي بالجزائر سنة 963هـ » [5]، وهو ما يؤكده كل من ابن عسكر في دوحته: « توفي سنة ثلاث وستين رحمه الله » [6]، والحضيكي في طبقاته : « توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وستين وتسعمائة » [7].

---

(1). عادل نويهض: **المرجع السابق** ، ص 132.
(2). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 232.
(3). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 42.
(4). االناصري: **الاستقصا**، ج5، ص 27.
(5). ابن مخلوف: **شجرة النور الزكية**، ج1، ص 284.
(6). ابن عسكر، **المصدر السابق**، ص 127.
(7). الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، ج1، ص 278.

غير أنّ الكتاني في كتابه " سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس" ينفرد برواية غريبة ومغايرة تماما؛ لما أجمعت عليه المصادر والذي يذكر أن محمد الخروبي قد توفي بفاس بالمغرب سنة 1062هـ، إذ يقول: « أبو عبد الله سيدي محمد الخروبي توفي رحمه الله سنة 1062هـ ودفن بالحفارين قريبا من باب الجيسة...ولم أعثر على محل دفنه منها»[1].

ولعل جهله بمكان الدفن، وتاريخ الوفاة الذي ذكر فيه أن الشيخ من توفي بعد قرن كامل من تاريخ الوفاة ، الذي أجمعت عليه غالبية المصادر يجعلنا نقر بضعف روايته التي يكتنفها الغموض واللبس ، خاصة بعد أن تمكن عبد الرحمن الجيلالي من الوصول إلى دليل قاطع وحجة دامغة في هذا الش أن، إذ يقول : « أنه توفي بعاصمة الجزائر سنة 963هـ/1556م ودفن خارج سورة المدينة وقبره مجهول».

ويضيف الجيلالي قائلا: « وبين يدي تقييد بخط الشيخ علي بن الحاج موسى ، يقول فيه عن مدفن الشيخ الخروبي هو بالبرج الكائن خارج باب الواد الغربي من بلد الجزائر قرب شاطئ البحر ، بجوار الشيخ سيدي محمد الكتاني؛ كما يوجد هناك من القبور قبر سيدي محمد بن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ، وقبر سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري تلميذ الثعالبي، وكل هذه القبور والمقبرة اندثرت اليوم ولا يعرف منها الآن إلاّ الناحية فقط، وهي على سبيل التقريب المكان الذي تقوم فيه القلعة أو الحصن، الذي بناه الفرنسيون بالقرب من بناية سينما ماجستيك؛ المعروفة اليوم بسم " تيمقاد " بناحية باب الواد، حيث المصطاف أو المسبح البحري المسمى حاضرا بالكتاني» [2].

أمّا الشيخ الطاهر أحمد الزاوي، فقد أشار إلى أنّ الخروبي قد فرغ من إتمام تفسيره رياض الأ زهار وكنز الأسرار سنة 964هـ، إذ يقول: « وكان الفراغ منه يوم الأ ربعاء ثمرة شهر ربيع الثاني عام 964هـ؛ على يد مؤلفه عبيد الله سبحانه محمد بن علي الخروبي الطرابلسي سامحه الله تعالى وغفر له » [3]، لهذا فإنّ وفاته ستكون بعد هذا التاريخ أي بعد سنة 964هـ، وهذا الرأي أيّده حبيب وداعة الحسناوي ؛ مستشهدا بما فهمه الشيخ الزاوي، كما استند على ابن القاضي صاحب الجذوة، حيث ذكر أنه توفي بعد 965هـ، إذ يقول: « فربما كانت وفاة الخروبي بعد سنة 965هـ، وهذا ما نرجحه واضعين نصب أعيننا تاريخ الا نتهاء من كتاب التفسير عام 964هـ»[4]، ويبدو أنه وقع في خطأ ؛ فالصحيح ما قال به جلّ العلماء، لأنّ ما كتب على التفسير هو سنة 944هـ، وهذا بمراجعة أجزاء التفسير الأخرى [5].

---

(1). الكتاني: **سلوة الأنفاس**، ج1، ص209.

(2). عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ص 108.

(3). الطاهر أحمد الزاوي: **أعلام ليبيا**، ص345.

(4). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 286.

(5). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 258.

وكانت وفاته حسب ما يذكره عمر مولود عبد الحميد تقديرا لا على وجه اليقين عن عمر ناهز الثمانين ، إذ يقول: « ودّع الدنيا...عن سن تناهز الثمانين» [1].

أما صاحب الجذوة فقد حدد سبب الوفاة ؛ وهو الوباء إذ يقول ابن القاضي: « توفي بالجزائر بالوباء الذي كان بعد الستين وتسعمائة، لأنّ الوباء كان بمدينة فاس عام 965هـ، وانظر هل سبق من الجزائر أو من مدينة فاس»[2]، ولذلك لم يحدد تاريخ الوفاة الذي تركه غامضا، وهل انتشر الوباء في فاس أو لا أم في مدينة الجزائر؟، وأغلب الظن هو ما أكدته المصادر على غرار ما ذكره صاحب الدوحة، من أنّ الخروبي توفي سنة 963هـ/1556م، فهو من معاصريه وهو ما يذكره أيضا محمد المهدي الفاسي في التحفة؛ إذ يقول: « وتوفي الخروبي سنة 963هـ» [3] والله أعلم.

إنّ حركية الشيخ الخروبي وكثرة تنقلاته؛ التي صاحبها أخذ وعطاء؛ وتأثر وتأثير، وتركته العلمية ونتاجه الفكري الذي تجلى بصورة واضحة في مؤلفاته المتعددة والمتنوعة ؛ ومكتبته القيمة التي تمثل تركة علمية ، وكذا حراكه الديبلوماسي على رأس الوفادة إلى المغرب؛ ممثلا للوجود التركي بالجزائر، يرمّ عن مدى اسهاماته الكثيرة وأدواره الكبيرة، التي أثبتت سمو قدره وعلو شأنه، وكشفت مدى قدرته وجدارته وكفاءته ، التي انعكست على مختلف الأصعدة ، والتي مسّت على وجه الخصوص الميادين السياسية والفكرية، لذلك احتل مكانة رفيعة ومقاما متميزا ؛ ونال حظوة كبيرة وشهرة عظيمة ، فذاع صيته الذي تعدّى المجال الجغرافي المحلي؛ ليغطي الفضاء المغاربي بأسره، فلوتبط اسمه بأكثر من قطر، فكان كالشجرة التي ضربت بجذورها في الأعماق، وغطّت بظلالها الوارفة وثمارها اليانعة منطقة بلاد المغرب برمّته.

---

[1]. مختار الهادي بن يونس: **المرجع السابق**، ص 356.

[2]. ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ج1، ص 332.

[3]. محمد المهدي الفاسي: **مخطوط تحفة أهل الصديقية**، ص 55.

الفصل الرابع : جوانب من الحراك الفكري للشيخ محمد الخروبي

المبحث الأول: الآثار العلمية والروحية للشيخ الخروبي.

أولا: السفارة ودورها الفكري.

ثانيا: التصوف.

ثالثا: الإجـازات.

المبحث الثاني: الشيخ محمد الخروبي والمواجهات الفكرية.

أولا: المناظرة حول مفهوم كلمة الإخلاص.

ثانيا: الفتاوى (فتوى التجار).

ثالثا: المحاورات العلمية.

المبحث الثالث: رسائل ووصايا الشيخ الخروبي.

أولا: رسالة الخروبي في انتقاد الشيخ أبي عمرو القسطلي.

ثانيا: وصايا ونصائح الشيخ الخروبي.

المبحث الرابع: الأسئلة والردود المتبادلة بين الشيخ وعلماء المغرب.

أولا: ردّ ابن أبي محلى.

ثانيا: أسئلة الشيخ عمر بن عبد الوهاب وأجوبة الخروبي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل:

لقد كان للشيخ محمد بن علي الخروبي حضور متميز ؛ في مغرب القرن 10هـ/16م سواء بما أسهم به من إنتاج فكري وعلمي، أو بما أثاره من مواقف صعدت النقاش والجدال؛ وفجرت الألسن بالقول وحركت الأقلام بالكتابة، فقد كان لهذا الشيخ اتصال في وقت مبكر بأقطار المغرب و علمائها؛ وبمجالها الفكري والثقافي وبم لاخها العلمي، فصار من رجال الزمان، حيث عرفته المجالات الصوفية والأدب الصوفي، والأنشطة السياسية، فقد عرف الأسفار والترحال.

وكان حلقة وصل وآلية تواصل بين بلدان الشمال الإفريقي ، حيث تعرف إلى الأوساط السياسية والإدارية، و ملكّنه حراكه الدبلوماسي وشهرته ؛ ومكانته العلمية وصيته الذائع، من أن يتبوأ موقعا رفيعا ومقاما عاليا ؛ ساعده على توطيد وتقوية وشائج العلاقات الفكرية المغاربية ؛ وأن يكون جسر اتصال بينها، وبذلك استطاع أن يكوّن سمعة سامية في الأوساط العلمية والدوائر السياسية، و أن يحظى بالتقدير و الاحترام، فقد عرفته مجالس المناظرات العلمية ؛ والمطارحات الفكرية ومنابر المناقشات الكلامية، وصار له باع في الف قه والتصوف، حيث كان له تأثير بالغ على معاصريه خاصة أعماله الصوفية، ويمكن الوقوف على جوانب من مؤشرات وملامح حراكه الفكري في النقاط التي سنت طرق لها في هذا الفصل.

المبحث الأول: الآثار العلمية والروحية للشيخ الخروبي.

أولا: السفارة و دورها الفكري:

كان الخروبي حيوي النشاط، عرف بالأسفار والترحال ؛ وعرفته السفارة في مجاليها العلمي والسياسي، فقد تقلد السفارة والوساطة بين بلدين وحكومتين؛ في شأن نزاع كان مستفحلا أمره بين الجزائر والمغرب من أجل الحدود، وإذا كان الكثير من العلماء يرى أنّ الحراك الدبلوماسي للخروبي قد أخفق في جوانبه السياسية؛ فإنه من الناحية الفكرية قد حقق نجاحا كبيرا، حيث التقى عددا من علماء المغرب الأقصى ، وتتلمذ على يديه عدد آخر منهم ؛ واستجازه بعضهم فأجازه[1].

وفي وفادته الأولى 1552م والثانية 1554م إلى المغرب، استقبلته حكومة مراكش بما يليق بمكانته العلمية، حيث وجد العلماء هناك فرصة للالتقاء و الاحتكاك والمناظرة، فدارت مناقشات فكرية ومطارحات علمية، وقد نتج عن تلك المحاورات العلمية رسائل ذات طابع فيه الدلائل والشواهد على تعمقه في قضايا فقهية ، وأيضا اهتمامه بأم ور الفلك وساق في خضم هذا النقاش كل من المتناظر ين؛ أدلّته التي تؤيد رأيه وترجح نظريته ، فالخروبي من الصنف الذي تتنوع

[1]. محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 256.

اهتماماته وتكثر مطالعاته [1]، حيث عقدت له هناك مجالس و محافل ناظر فيها علماء المغرب ، وساجلهم في مباحث شتّى من العلم؛ وجرى له الكلام في التصوف والطرق الصوفية وكان منفردا فيه [2].

ولم يقتصر حراكه الفكري على مناقشاته العلمية التي أثارت جدلا كبيرا، بل كان له نشاط في ميدان التدريس حيث أخذ عنه الكثير من أهل المغرب الأقصى وكان له تلاميذ، و قد أشارت المصادر إلى ذلك؛ إذ يقول السملالي : «وقدم المغرب مرتين في سبيل السفارة بين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، فأخذ عنه كثير من أهل المغرب الأقصى »[3]. وما هو يذكره أيضا أبي حامد العربي بن يوسف الفهري في كتابه المرآة؛ إذ يقول: « قدم المغرب مرتين في سبيل السفارة بين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، فأخذ عنه كثير من أهل المغرب الأقصى » [4] ، وهو ما يقرّه أيضا محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني ؛ إذ يقول: «...أمراء بني عثمان استعملوه في السفارة بينهم وبين محمد المهدي الشريف مرتين، فورد المغرب فأخذ عنه كثير من أهله»[5].

وهذا يبين لنا أن نشاط محمد الخروبي كان إيجابيا، إذ أثارت وفادته حراكا علميا وإسهاما في تنشيط الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى؛ في ظل الأخذ والعطاء المتبادل للمعارف والفنون المختلفة ، والمناقشات التي أعقبت سفارته والتي مسّت قضايا في شتى المجالات، لذلك اهتمت المصادر المغربية بسفارة الخروبي؛ بيد أنّ هذا الاهتمام كان علميا، بمعنى أنها ركّزت على الجانب العلمي من رحلته إلى المغرب، فتعرضت للجدل الصوفي بينه وبين أبي عمرو القسطلي، والخلاف حول بعض القضايا الفقهية مع علماء فاس ، ويعتقد البعض أنّ هذا الجدل على جانب كبير من الأهمية ، لأنّه يعكس صراعا خفيا بين التصوف المغربي والتصوف الجزائري [6].

وهذا الذي ذكرناه يبرز لنا صورة أخرى من صور التواصل بين أقطار بلاد المغرب، كما يجسد ملمحا من ملامح الحراك الفكري للشيخ محمد الخروبي ، الذي كان إحدى حلقات الربط التي أسهمت في ديناميكية العلاقات السياسية والفكرية بين الجزائر والمغرب الأقصى ، والتي فتحت الباب لا ستمرارية الصلات العلمية والفكرية القائمة ، وهذا لشهرته العلمية الكبيرة وصيته الواسع، ما مهّ د له الطريق لا حتلال موقع متميز في البيئة العلمية المغربية، تجلّت آثاره في التفاف طلبةفاس وبقية المدن المغربية حوله ؛ للأخذ عنه والجلوس إليه للاستفادة منه، وقد سبقت الإشارة إلى بعض تلاميذه في الفصل السابق.

---

(1). علي مصطفى المصراتي: **المرجع السابق**، ص 38.
(2). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 255.
(3). العباس بن إبراهيم السملالي: **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام** ، ج5، ص 129.
(4). أبي حامد العربي الفهري: **المصدر السابق**، ص 276.
(5). محمد بن الطيب القادري: **المصدر السابق**، ص 1117.
(6). عبد الرحيم بنحادة: **المرجع السابق**، ص 72.

ثانيا: التصوف:

من المؤكد أنّ التراث الشادلي كان أحد الروافد الكبرى ؛ للثقافة المغربية الإ سلامية في منطقة المغرب العربي كلها ، والتراث الشادلي من أكبر القواسم المشتركة بين شعوب بلدان المغرب العربي، وتاريخ الشادلية ممتزج بتاريخ هذه الأقطار والشادلية على أية حال؛ عطاء خالص لأرض شعوب المغرب العربي؛ لم يشاركها فيه أحد من غير أبناء شعوبها [1].

ومن أعلامها خلال هذه الفترة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي ، الذي نشأ في رحاب التصوف ، وكان ملازما لمجالس العلم والعرفان [2]؛ وحلقات الذكر، حيث تربى على منهج ا لمتصوفة في التأديب ومجاهدة النفس ، وسلك أشواطا في مدارج السلوك عن طريق تربوي عملي ، فتشبع بأفكار أهل ال طريق الصوفية المنتشرة في بلده و في أقطار الشمال الإفريقي، وتأثر في أفكاره ونظرته للحياة بمذاهب التصوف و الزهاد والورع، فقد تتلمذ على يد أساتذة هذه المناهج وتتبع أخبارهم وأحوالهم [3]، لذلك كان الخروبي المتحمس للطريقة الشادلية ؛ قد سلك طريق التصوف ، على يد أكبر شيوخ التصوف في عصره ؛ على غرار أحمد زروق ، الذي تعد طريقته امتدادا للطريقة الشادلية ، والشيخ الخروبي أحد تلاميذ الشيخ زروق؛ الذي كانت له تأثيرات عميقة في تربيته وسلوكه ، وعلمه وتبني طريقته، وهذا ما انعكس على جهود الخروبي في التعريف بالطريقة الزروقية و مضامينها، فقد جعل الشيخ من نفسه أحد شراح الطريقة الزروقية ؛ و من المدافعين عنها فخصص جزءا من إنتاجه الفكري لشرح أعمال زروق الصوفية وتفسيرها [4]، ويبدو أنّ الخروبي قد خصص وقته وجهده للتأليف والدعاية؛ لصالح الطريقة الشادلية والدفاع عنها، وقد ركز في تآليفه على الأوراد [*] والأذكار وعلوم التصوف [5].

تمثل الأوراد مصدرا من مصادر نصوص الشادلية ، إذ يقول محمد الخروبي : « هذه الأوراد العظيمة التي جرت عادة الصالحين والعباد، يقرؤونها ويضيفونها إلى وظائفهم وأورادهم قديما وحديثا غدوة وعشية، ولم يزل الشيوخ يأمرون إخوانهم وأصحابهم بقراءتها ويحضّونهم عليها ، وما زال أشياخنا – رضي الله عنهم– يحضّوننا على قراءتها مذ كنا صغار »[6]، وكان يحضّ على قراءة أقوال جميع الشيوخ ؛ منها ووظائف الشيخ زروق ، إذ يقول: « ومن جميع الشيوخ منها وظائف، فمن

---

(1). عبد السلام شقور : "**التواصل العلمي بين بلدان المغرب العربي من خلال التراث الصوفي للشيخين أبي العباس زروق و أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي**"، من كتاب **أعمال ندوة التواصل الثقافي**، ص 155، 156

(2). أحمد النائب الأنصاري: **المنهل العذب**، ص 200.

(3). علي مصطفى المصراتي: **المرجع السابق**، ص 35.

(4). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 294..

(*). **الأوراد:** الورد عند الشادلية هو بيان مجموع القواعد الخاصة بهذه الطريقة، وفي مقدمتها تنظيم الذكر، وهو دعاء بحمد الله، إنه ترديد حسب مختل ف الطرق الصوفية، مئات بل آلاف المرات لكلمات منعزلة مثل : الله، أوعبارات لآيات قرآنية أو الشهادتين، انظر **السيرة البوبكرية** لخليفة بن عمارة،ترجمة: محمد قندوسي،(د.ط)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1999، ص 101

(5). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**، ج1، ص 498.

(6). أبي حامد محمد العربي الفهري: **المصدر السابق**، ص 134.

ذلك وظيفة شيخنا سيدي أحمد زروق رحمه الله تعالى التي جمعها له ولأصحابه ، فليدم العبد عليها أو على غيرها من وظائف المشايخ رضي الله عنهم أجمعين [1]، وبذلك يكون الخروبي قد أخذ الطريقة الشادلية الزروقية ؛ عن شيخه أحمد زروق[2]، الذي أجازه إجازة سلوكية عن طريق المصافحة، إذ يقول الروداني: «سيدي محمد الخروبي الطرابلسي، وهو أيضا صافح سيدي أحمد زروق..» [3]، كما أجازه أيضا شيخ شيخه زروق أبا عبد الله الشهير بزيتون، ففي خضم حديثه عن شيخه عبد النبي الجبالي؛ يذكر حادثة وقعت له، إذ يقول: « ولقد وقعت لي معه وقعة، وذلك أنّا لما صافحنا شيخنا أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بزيتون؛ أعاد الله علينا من بركاته، لقّنت ذكرا» [4].

وهذه حلقة تقاطع في شبكة شيوخ الشادلية، ما يجعلنا نقرّ بتعدد فروعها؛ وارتباطها بأكثر من قطر مغاربي ، إذ يقول صاحب الإلماع : « وأما الشيخ الخروبي فعن الشيخ زروق ، وشيخه الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني»[5]، وفي ظل إقامة الخروبي بالجزائر ؛ ساعد على نشر الطريقة الزروقية بين طلبة الجزائر [6]، وسخّر فكره وقلمه لخدمة الطريقة الشادلية، والطريقة القريبة منها كالطريقة القادرية، ذلك أنّ الخروبي في مركزه كخطيب ومؤلف؛ ساعده على نشر مبادئ الطريقة ؛ بشكل لم يحصل من قبل ، حيث كان الفضل في أن بسّ ط قواعد التصوف ؛ في شرحه للحكم العطائية، كما بسط مبادئ الطريقة الشادلية ، ولاسيما في شرحه على كفاية المريد وعلى الصلاة المشيشية ، حتى أصبح هذان الشرحان لازمة كل مريد؛ وصفة كل مرابط خلال هذا العهد، ولم يستطع أحد بعده أن يحتل مكانته أو يفند أقواله [7]، حتى تلميذه عبد الرحمان الأخضري الذي تلقى بعض العلم ومبادئ الطريقة الزروقية على يديه [8]، لم يصل إلى درجته في التصوف لذلك اصطبغت مؤلفاته بالصبغة الصوفية.

وإذا ما أردنا أن نجري مقارنة في ظل الشبكة الصوفية القا ئمة، سنجد أن التواصل ظل قائما ؛ حيث يلتقي أحمد زروق وأبو عبد الله محمد بن علي الخروبي في أكثر من مجال ؛ فهما عمدة الشادلية في عصريهما ، وقد ربط في رحلاتهما من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق أسانيد الشيوخ في كل بلدان المغرب العربي ، فقد أخذ عن زروق عدد من أعلام المغرب فيهم أبو عبد الله محمد الخروبي ، وأخذ عن الخروبي جملة من أعلام المغرب كذلك ، وقد شرح الشيخان متون الشادلية ومنها الصلاة المشيشية التي تعد بمثابة دستور الشادلية ، وأحزاب أبي الحسن الشادلي وكتاب الحكم العطائية لابن

---

(1). محمد الخروبي: **مخطوط و أذكار و أوراد الخروبي**، ص 04.
(2). عبد المنعم القاسمي الحسني: **المرجع السابق**، ص 336.
(3). محمد بن سليمان الروداني: **المصدر السابق**، ص 472.
(4). أحمد النائب الأنصاري: **نفحات النسرين** ، ص 106.
(5). محمد المهدي الفاسي: **الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع**، ص 100.
(6). أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، ج3، ص 197.
(7). أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ص 499-500.
(8). أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، ص 31.

عطاء الله، وهكذا فقد شرح الشيخ زروق كتاب الحكم العطائية وسلم "الأنفاس الزكية"، وشرح الخروبي "الصلاة المشيشية" و"أصول الطريقة" لشيخه زروق؛ وله شرح على كلام الشادلي في معنى القطب ؛ وشرح على وظيفة شيخه زروق، ولكل من الشيخين مواقف معروفة من بعض الأدعياء في عصرهما[1] .

وبذلك تتأكد لنا روابط التواصل الروحي وآليات الترابط ؛ في ظل الحراك الصوفي للخروبي، فإلى جانب اهتمامه العلمي كان له نشاط صوفي، فهو شيخ حيوي النشاط متسع الإدراك تعدت سمعته حدود بلده، فقد عرف زوايا المتصوفة وصوامع الزهاد؛ وعايش مجالس الإنشاد وحلقات الذكر ، فهو أستاذ دخل في عداد المتصوفة وطبقات الفقهاء ، ومدارج أهل الرأي والمشورة ، لذلك جاءت إسهاماته الفكرية متأثرة تأثرا كبيرا بمذهبه الصوفي ، حيث وجدت حركة التصوف في خضم هذه الظروف السياسية الصعبة ؛ رجالا ينتمون إلى هذه المؤسسة، على غرار الخروبي الذي شكّل حراكه الفكري شبكة تواصل صوفية بين أعلام أقطار المغرب العربي، حيث أصبح التصوف يكتسي صبغة الجدلية والعلمية.

ثالثا: الإجازات.

الإجازة هي شهادة يمنحها العلماء للطلبة الذين تلقوا منهم أي نوع من أنواع المعرفة، وهي البراءة العلمية وتفويض الإنابة في أي فن أو كتاب، والإجازة مصطلح متعارف عليه وبالأخص عند المحدثين والفقهاء، وتأتي في المرتبة الثالثة من أنواع الرواية بعد السماع والعرض، و قد قال الحافظ الإشبيلي :« إنّما الناس بشيوخهم فإذا ذهبت الشيوخ فمع من العيش؟»، لذلك فهي ملمح من ملامح الحياة الثقافية؛ ورابط اتصال وتواصل للحراك الفكري القائم ، في ظل الأخذ والعطاء المتبادل، فقد كان الخروبي مدرسة ألهمت؛ واستلهم من معينها الكثير من الطلبة والعلماء خلال هذه الفترة، ومن الإجازات التي تمكنا من الوقوف عليها في المصادر ، إجازة محمد بن علي الخروبي لكل من محمد بن يوسف الترغي و محمد بن أحمد الحضري الوزروالي، إذ يقول السملالي في "الإعلام" أنّه دخل مدينة فاس، وأجاز فيها لمحمد الحضري الوزروالي في تاريخ تسع وخمسين وتسعمائة [2]، وقد ذكر صاحب الجذوة هاتين الإجازتين، إذ يقول :« أجاز لي عنه شيخنا محمد بن يوسف الترغي، ومحمد بن أحمد الحضري وعاينت إجازته للشيخين معا »[3].

ولم تقتصر إجازاته على الجانب العلمي؛ بل كانت له إجازات سلوكية [*]، فقد أجاز الشيخ الفقيه سيدي علي بن حامد بتونس الذي لقيه وتتلمذ عليه، إذ يقول المؤرخ التونسي محمود مقديش في النزهة : «لقيه و تتلمذ له فناوله السبحة

---

[1]. عبد السلام شقور: **المرجع السابق**، ص: 161-162.

[2]. العباس بن إبراهيم السملالي: **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، ج5، ص 130.

[3]. ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ج1، ص 322.

[*]. **الإجازة السلوكية:** هي إجازة في سلوك الطريق تتوقف على مدى تقدير الشيخ الملقن للمريد ونفاذ بصيرته ومكاشفاته نحو حالة المريد، وتتم بوسائل مثل: تشبيك الأيدي، المصافحة، أخذ السبحة، الضيافة ولبس الخرقة، ووضع اليد على الكتف ونحوه.

وألبسه الخرقة؛ وأضافه التمر والماء، وأعطاه الورد وألزمه قراءته» [1]، وهذا يؤكّد ما قلناه سابقا، من أنّ الخروبي قد أقام فترة طويلة بتونس؛ بحكم ما تتطلبه الإجازة من جلوس الطالب بين يدي الشيخ ، ومتابعة للدروس وتلقي للذكر؛ إلى أن تتأكد قناعة رؤية الشيخ؛ في وصول المريد إلى المرتبة المنشودة، وهذا يتطلب فترة زمنية قد تطول، كما يذكر محمد الروداني إجازة سلوكية أخرى للخروبي لأبي عثمان المقري ، عند حديثه عن السند بالمصافحة ؛ إذ يقول: « أبو عثمان المقري صافح أيضا محمد الخروبي الطرابلسي وهو صافح سيدي زروق صافح السخاوي...» [2].

وهذه الإجازات بنوعيها العلمية أو السلوكية ؛ تمثل إحدى روابط التواصل الفكري ؛ والالتقاء العلمي والروحي بين علماء بلاد المغرب، كما أنها تجسد من ناحية أخرى مظهرا من مظاهر الحركية الثقافية القائمة؛ التي كانت سائدة في هذا العصر، كما أثبتت من جانب آخر السعي الحثيث والحرص الظاهر للطلبة والعلماء المغاربة؛ من أجل الأخذ والعطاء وتلقي المعارف ومختلف الفنون.

المبحث الثاني: الشيخ الخروبي والمواجهات الفكرية.

أولا: المناظرة حول مفهوم كلمة الإخلاص.

كانت المناقشات والمناظرات الفكرية ، مظهرا آخر من مظاهر الحراك الفكري ؛ والتواصل الثقافي بين أقطار بلاد المغرب، ذلك أن تطابق وجهات نظر أهل العلم فيها إلى حد كبير بحكم التكوين المتشابه ، من حيث مواد الدراسة والكتب المتداولة؛ والطرق المتبعة في التدريس التي كانت سائدة في هذه البلدان ، لم يمنع ذلك من حدوث اختلاف في وجهات نظر بعض العلماء، في قضايا فكرية ودينية ؛ و قيام مناقشات و مناظرات في شأنها بينهم [3]، ومن الممارسات الصوفية والمسائل الفكرية التي شارك فيها محمد بن علي الخروبي ؛ وأثارت الكثير من الجدل مفهوم كلمة الإخلاص، وابتدأ الخلاف حول هذا المفهوم إثر رسالة وجهها الخروبي إلى علماء فاس وخواصها ، والتي سماها بـ" رسالة ذي الإفلاس إلى خواص مدينة فاس"[4]، ويرى البعض أنّ هذه الرسالة كتبها عندما دخل المغرب الأقصى؛ في أواسط القرن العاشر الهجري وتشتمل على مسائل تتعلق بقواعد الإ سلام الخمس[5]، فجاء فيها قوله أثناء الكلام على القاعدة الأولى وهي لا إله إلا الله: « ومن الآداب ألاّ يتناول نفيك عند النطق لحرف النفي إلاّ ما ادّعاه المشركون من الألوهية سوى الله تعالى، وليكن الحق جلّ جلاله ثابتا عندك في حالة النفي والإثبات، وإلى هذا المعنى أشار بعض العلماء حيث قال : النفي لمن يستحيل

---

[1]. محمود مقديش: **نزهة في الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، ج2، ص 437.
[2]. محمد بن سليمان الروداني: **المصدر السابق**، ص 472.
[3]. عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بين الجزائر و المغرب**، ص 113.
[4]. ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 09.
[5]. حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 293.

كونه والإثبات لمن يستحيل عدمه »[1]، وقد اعترض المتكلمون من فاس على هذا الرأي ؛ ودحضوا مفهوم النفي عند الخروبي بأساليب مختلفة، وكان الشيخ عبد الله الهبطي[*] آنذاك في فاس بدعوة من السلطان محمد المهدي الشيخ.

فكتب ردّا معتدلا التمس فيه العذر للخروبي معتبرا ما وقع فيه من خطأ كان هفوة طغى عليها القلم، إذ يقول صاحب الدوحة: « فكتب إليه وهو يلاطفه ويذكر له أن تلك الهفوة إنما طغى بها القلم، واعتذر له ليصلح فسادها في رسالته »[2]، ويتلخص اعتراض الهبطي بأنّ المنفي في كلمة الإخلاص، ليس هو الآلهة الباطلة التي يعبدها المشركون وإنما الإله الحق المماثل لله تعالى، تصورا ذهنيا لا وجود في الخارج، وعلى ذلك يتنزل الإ ثبات بـ(إلاّ) وإقرار الألوهية الحق لله تعالى، ونفي المثل لله تعالى نفيا قطعيا ؛ أمّا لو افترضنا أنّ المنفي في كلمة الإخلاص هو الآلهة الباطلة ؛ كالأصنام والكواكب والنّار والظلمة والنور وغيرها، فيلزم على ذلك الكذب أو الكفر، لأننا إذا اعتبرنا نفي ذواتها وهي موجودة في الخارج؛ كان ذلك كذبا ومخالفة للواقع، وإذا اعتبرنا نفي صفة استحقاق العبادة عنها ثم أثبتنا ذلك (بإلاّ) كان ذلك كفرا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وأحال الهبطي على ما أورده السنوسي في شرح عقيدته الصغرى، من قوله: « فإن كان المراد بالكلي هو الإله المطلق المعبود لم يصح تسلط النفي عليه، لما يلزم عليه من الكذب لكثرة المعبودات الباطلة ، وإن كان المراد المعبود بحق صح »[3]، لذلك فوجه الاعتراض المؤاخذة على الخروبي ؛ أنّه سلط النفي على ما ادّعاه المشركون، وما ادّعاه المشركون ثابت موجود لا يتناوله النفي بالكلية، وكان ردّ محمد اليسيتني(897هـ-959هـ/1492م-1552م) مفتي فاس، أن دحض كلام الخروبي وأصرّ على تخطئته ، إذ يقول: « إنّما يتسلط النفي على الآلهة المعبودة بالباطل بوجه واعتبار، وهي ثابتة بوجه واعتبار»[4]، لذلك كان موضع الاعتراض عليه من أربعة أوجه:

الوجه الأول: أنّه مخالف لما اتفق عليه النحاة والمتكلمون من أنّ الإله المراد به الجنس والحقيقة، ولا يبنى مع (لا) إلاّ إذا كان كذلك، فهو كلي ولا شيء مما ادّعاه المشركون كلي، إذ ما يدعونه ويعبدونه جزئيات خارجة متشخصة.

الوجه الثاني: أنه لو كان كذلك؛ لكان الاستثناء منقطعا ولا قائل به، والأصل في الاستثناء الاتصال.

الوجه الثالث: أنه ليس فيما ادّعاه كبير أدب، بل الأدب أن يشمل النفي كل إله يقدر؛ سوى الله تعالى على قول النحاة أو أن يشمل الماهية المطلقة على ما رأى المتكلمون.

---

(1). محمد الخروبي: **مزيل اللبس**، ص 72.

(*). الشيخ الهبطي عبد الله بن محمد (ت 963هـ/1556م) : عالم فقيه زاهد محقق سماه صاحب الدوحة بجندي زمانه، أخذ عن شيوخ كثيرين منهم أحمد الزقاق و الشيخ الغزواني من أكثر مؤلفاته فائدة كتاب الإشادة بمعرفة مدلول الشهادة، انظر **نشر المثاني**، **وشجرة النور**.

(2). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 09.

(3). محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، (د.ط)، مطبعة فضالة، المغرب، 1977، ص 288.

(4). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 09.

الوجه الرابع: أنّ في كلامه تناقضا ؛ حيث نقل عن بعض العلماء « النفي لمن يستحيل كونه ، والإثبات لمن يستحيل عدمه»، لأنّ مفهوم يستحيل كونه كليّ لا يحصر فيما ادّعاه المشركون وهذا هو الحق ؛ الذي لا شك فيه فإن أخذ به لزمه التناقض [1]، وكتب عبد الله الهبطي بعد عودته إلى الريف رسالة مطولة ؛ إلى اليسرتيني ينتقد ما ذهب إليه من شمول النفي كل إله يقدّر، أو ماهية الإله لما يلزم ذلك من كذب أو كفر، وأطال القول في شرح نظريته القاضية بأن النفي إنّما يتسلط على المثل المقدّر غير الموجود ، لا على ما يعبده المشركون مما هو موجود ، بل صرّح أن هذه المعبودات الباطلة مسكوت عنها وغير منفية في كلمة الإخلاص [2].

وقال في وجه المؤاخذة على اليس تيني مخاطبا إياه « إنكم تعقبتم على الخروبي قصر ال نفي على ما ادّعاه المشركون فقط، حتى إنه لو أدخله في جنس الإ له ليعمّ لكان مسلما عندكم . والحق أن جنس الإله المعبود بحق، غير جنس الإله المعبود بالباطل، إذ كل واحد مميز بحده محتو على أفراده » [3]، ولم ينتبه الهبطي إلى أن يبرهن على أن ما يعبده المشركون باطل بأدلة عقلية ونقلية، لأنه حصر كلامه في موضوع الخلاف الذي هو مشمول النفي في كلمة الإخلاص لا غير .

غضب اليسرتيني لا نتقاد الهبطي و تخطئته إيّاه، واتهمه بالزيغ عن الصواب وألزمه القول بمفهوم كلامه ؛ من أنّ معبودات المشركين ثابته صحيحة، وذلك كفر صريح واحتّ الخلاف بين أنصارهما [4].

ولما بلغ الخبر إلى السلطان محمد المهدي الشيخ سعى لمعرفة الحقيقة ، وأمر أن يعقد مجلس للمناظرة ؛ دعا إليه الطرفين المختلفين بحضرته، وحسب ما يذكره صاحب ال دوحة فقد تحزّب ضد الهبطي ثلاثة : المفتي محمد اليس تيني، وكاتب السلطان محمد بن عيسى التملي السوسي ، وقائد شرفشاون ابن راشد، ووشوا به للسلطان قبل البدء في المناظرة ؛ وقالوا له: أن هذا الرجل يشكل خطرا على الملك، وذكروا له: « أن أصحاب هذا الرجل يقولون للنّاس إنّ السلطان هو الشيخ ليغيظوه بذلك »، واتصل هؤلاء الثلاثة بالفقهاء الذين سيحضرون ال مناظرة، وأوهموهم أنّ السلطان عازم على إهلاك الهبطي؛ حتى لا يقتصروا له ويستصوبوا رأيه، فتخلف مشايخ الفقهاء عن الحضور ، على غرار أبي محمد الوهاب الزقّاق والشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن إبراهيم وغيرهم [5].

اجتمع الفقهاء بمشور القصر الملكي بفاس بحضور السلطان ، وتولى محمد اليسرتيني الذي حملته نفاسة الرئيسة وحب العلو والجاه على عدم الإ نصاف في الكلام، فأخذ بشرح المسألة من وجهة نظره ؛ والفقهاء الحاضرون يؤيدونه ، حتى إذا

---

(1). عبد الله كنون: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، ص 367-368.
(2). محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 283.
(3). عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ج1، ص 368.
(4). محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 283.
(5). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 10-11.

انتهى من ذلك تولى هو عرض رأي الهبطي دون أن يترك له فرصة الكلام والدفاع عن طرحه ، وصار يذكر العبادات الموهمة من كلامه ويؤوّلها كما شاء، إلى أن استنتج منها أنّ الهبطي قائل بثبوت المعبودات البطلة فهو كافر، وأفتى بوجوب قتله [1] واتهمه بأنه مبتدع؛ إذ يذكر صاحب الدوحة أنه قال للسلطان : «يا مولاي إنّ هذا المبتدع دمه حلال، اقتله على رقبتي»، إلاّ أنّ الهبطي لم يشأ الدخول في هذه المناظرة وآثر الصمت والسكون ؛ مندهشا لتواطؤ الفقهاء ضده وهو غائب عن حسه، فلما استيقظ رفع يديه وقال : «اقرأوا الفاتحة عسى الله أن يظهر الحق »، فقام إلى مسجد المشور منسحبا من المجلس دون دفاع ولا استئذان [2].

وحمل إليه ابن راشد وهو في المسجد عقد أرسله إليه السلطان ليضع خطه عليه بأنه رجع إلى قولهم، فوقّعه بعد أن كتب بخطه ما نصه : « قلدت في ذلك السلطان واليس يبتي»، فلما رآه السلطان قال لهم : «إن الشيخ لم يرجع إلى قولكم، لأن التقليد ليس بشيء، قصّ روا عن هذا الأمر »[3]، فانفض المجلس على غير طائل، وعلى الرغم من إصرار اليسرتيني على حثّ السلطان لقتله إلاّ أنّ هذا الأخير أبى، وتبين له أنه كان يتحامل على الهبطي محاولا إثارة شكوكه حوله والإيحاء له أنه يشكّل خطرا على ملكه [4]، ولم تزل القضية مثار نقاش وجدال شديد حول هذا الموضوع طوال العصر السعدي، واكتسى في بعض جهات الجنوب صبغة الحدة والمضايقة[5].

وكان لابد من انتظار حوالي قرن من الزمن أي إلى عصر العلويين، أين تصدى لهذه القضية الملتهبة في المغرب أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة 1102هـ/1690م، الذي بسّطها بما لا يزيد عليه البيان في كتابه القيم "مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص"؛ جامعا فيه خلاصة ما قيل في الموضوع ، فأعطى فيه كما قال لكل ذي حق حقه [6]، إذ يقول: « وإذ قد تعرضنا لهؤلاء الأئمة فلابد أن نتصفحه ..إن شاء الله كل ذي حق حقه ومعطيا أيضا الحق حقه، فإنّ لحوم العلماء م سمومة، والصدع بالحق سنّ ة معلومة»، إذ يقول أنّ موضع الاعتراض من كلام الخروبي قوله أنّ النفي لا يتناول إلاّ ما ادّعاه المشركون من آلهة سوى الله تعالى، فيكون بذلك أراد الآلهة الخارجية عند المشركين من حجر وشجر وفلك ونحوه، فاعترض عليه اليسيتني بأن هذه الخارجية جزئيات ومدخول لا يجب أن يكون كليا ، فاعترض عليه الهبطي بأنّ تلك الآلهة الخارجة موجودة؛ فلم يصح نفيها فإنّ نفي الموجود كذب [7].

---

(1). محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 284.
(2). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 11.
(3). محمد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، ج2، ص 558-559.
(4). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية**، ص 134.
(5). محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 284.
(6). عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية**، ص 134.
(7). عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ج1، ص 369.

ثم يعمد إلى تفنيد وتفسير أقوال الثلاث، فيقول إذا تقرّر قول الخروبي ما ادّعاه المشركون يحتمل أن يريد به مصدوقه الخارجي؛ كالشجر والحجر وهذا موضع الاعتراض، ويحتمل أن يريد به مفهومه وهو مفهوم الشريك الكلّي أو الشركاء . فإن المشركين على اختلاف مللهم من وثني وفلكي ومثلث وغير هؤلاء؛ متّفقون على أمر واحد وهو القدر المشترك، وهو تجويز أن يكون مع الله جلّ اسمه من يشاركه في استحقاق العبادة، ولم يقتصروا على التجويز ؛ بل حكموا بوجود ذلك وهنا مفهوم كلّي من غير التفات إلى مصدوقاته الخارجية، ولاشك أنّ هذا المفهوم الكلي قد ادّعوه كلهم ولا إشكال أنه هو المنفي في الكلمة المشرّفة، فيجب أن يكون هو المعنى في قول ما ادّعاه المشركون، فلا يبقى على الخروبي لا من اليسيتني ولا من الهبطي، لأن هذا منفى ليس بموجود ولا يصح وجوده.

وأمّا كلام اليسيتني فموضع الاعتراض منه « قوله ليس فيما ادّعاه – يعني الخروبي– كبير أدب، بل الأدب أن يكون النفي شاملا لكل إله يقدر سوى الحق سبحانه ... الخ »، فالظاهر من قوله أنه يقول للخروبي أن لا يقتصر بالنفي؛ على ما ادّعاه المشركون من الآلهة الباطلة بل يجعل النفي متوجها إليه ا وإلى غيرها؛ من كل ما يقدر سوى الله تعالى، ومبنى اعتراضه أنه أراد ضم ما وقع عند الخروبي من الجزئيات الخارجية، إلى كل ما يقدر ليعم النفي فيقع الاعتراض من جهتين إحداها أنّ تلك الجزئيات الخارجية موجودة فلا يصح نفيها [1]، الثانية أنّ في هذا تهافتا لأنه قال أو لا في اعتراضه على الخروبي؛ أنّ تلك الجزئيات لا يصح أن تكون مدخولة بـ (إلّا) لأن مدخول (لا) إنّما يكون جنسا كليا، فكيف استباح هنا أن تدخل هي وغيرها؟ ولا يصيّرها انضمام غيرها إليها كلية بعد أن كانت جزئية، والجواب عن اليسيتني أنه لم يرد إدخال المعبودات الجزئية في النفي؛ و إنّما أراد بذلك الالتفات إلى المعبودات الخارجية، و ذلك بجعل النفي متسلّطا على كل إله يقدّر في الذهن؛ مستحقا للعبادة غير مولانا عزّ وجلّ.

وأمّا كلام الهبطي فموقع الاعتراض منه قوله : «إنّ معبودات الكفار لا دخل لها في ..»، فإنّ القول بذلك يقتضي أنها مسلمة متروكة لم يتعرض لإبطالها، وأنّ الكفار لم يقع الرد عليهم فهم مقرّون على عبادتها واعتقاد ألوهيتها، مع أن مدلول كل إله سوى الله تعالى وإثبات الألوهية لله تعالى مما علم من الدين ضرورة، ومحمل كلامه فيه وجهان :

الأول: من حيث ذواتها أي الحجر والشجر وال فلك ونحوه لا تنفى، وهذا لا إشكال فيه لأنه لا دخل لها في مستحق العبادة المنفي في كلمة الإخلاص.

الثاني: أنّها من حيث وصفها أي كونها آلهة باطلة لا تستحق العبادة، ولا أن يتقرب إليها ولا بها لا تنفى أيضا، وهذا صحيح لا شك فيه، وهذا الوصف أي كونها آلهة باطلة لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر، موجود لها قائم كما هو موجود في أذهان الموحدين العارفين؛ فلم يصح تسلط النفي عليه من جهتين:

---

[1]. عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ج1، ص 370-371.

الجهة الأولى أنه موجود وكما لا يصح نفي الذوات الموجودة كذات الصنم، لا يصح نفي وصفه الموجود له ككونه معبودا بغير حق و فتنة و مضّلة.

الجهة الثانية: أن المنفي في كلمة الإخلاص هو المثبت (بإلاّ) لما بعدها، فلو كان المنفي هو الألوهية الباطل ة لكان ذلك هو المثبت لله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، ولما علم يقينا أنّ المثبت لله، إنّما هو الألوهية الحقة، علم أنّها هي المنفية عن غيره لا الآلهة الباطلة [1]

وهذه المناظرات وما أعقبها من مناقشات بين أهل العلم من بلاد أقطار المغرب؛ بوسائط مباشرة أو بواسطة رسائل تجسّد مظهرا من مظاهر الحراك الفكري القائم بين النخب المغاربية ، والدور الذي قام به الشيخ الخروبي في فتح باب الجدال والنقاش حول الكثير من القضايا العقدية ؛ ما أسهم في بعث و انتعاش الحياة الفكرية، كما تشكل من جانب آخر ملمحا من ملامح الصلات الثقافية القائمة بين الأقطار المغاربية عامة ونخبها على وجه الخصوص.

ثانيا: الفتاوى (فتوى التّجار).

كان الخروبي مشهورا بين علماء المغرب العربي آنذاك وعند رجال دولته، ما جعله يرشح نفسه للفتوى الشرعية ويوضع في رأس قائمة العلماء الذين يتم العمل بفتواهم، فيعتمد اجتهاده ويؤخذ برأيه واختياره ، ولذلك كان أول من استفتي في قضية الإسلاميين الشهيرة ؛ فكانت مساهمته الكتابية في ذلك أمرا حاسما ، رجحت معه المواقف لجهة هؤلاء الإسلاميين الذين أسلموا حديثا وكانوا من أصل يهودي ، فقد تحزّب تجار فاس ضد الإسلاميين ؛ ومنعوهم من دخول الأسواق الكبرى؛ لئلا يزاحموهم على التجارة، وقد شهدت فاس في الفترة الممتدة بين (934هـ-1010هـ/1527م-1601م) ثلاث حوادث كبرى ، سلّت فيها السيوف وتدخل العلماء بآرائهم وفتاويهم ؛ لتبرير أو دحض وإبطال ادّعاءات هذا الفريق أو ذاك.

وقد وقع الحادث الأول في عهد الشيخ الخروبي الذي أسهمت آراؤه في معالجة الموضوع ، وحسم المشكلة والحدّ من انتشارها ولو مؤقتا [2]، وقد بدأت المشكلة وحمي وطيس الخلاف بين الفريقين عام(934هـ/1527م)، عندما حاول إسلامي يدعى أحمد بن إبراهيم بن يحيى المكناسي أن يعتمر حانوتا يبيع فيه الثياب في القبة الكبرى بقيسارية فاس . فلعترض التجار سبيله ورفعوا الأمر إلى الأمير أحمد الوطاسي (1526-1549م)؛ مشفوعا بشهادة لفيفية ، يقولون فيها: « يشهد من يتسمى عقب تاريخه من أهل فاس بمعرفة قبة قيسارية المدينة المذكورة كلاها الله وحفظها ويشهدون أنّهم منذ عرفوا بعقولهم، وميّزوا بأذهانهم أنّ القبة المذكورة لم تزل تلحظ بعين الوقار ، وتنزه من دخول الملاهي والمزمار، لا

---

[1]. عبد الله كنون: **النبوغ المغربي**، ج1، ص 371-373.

[2]. حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 291.

يعمّرها إلاّ أهل الفضل والديانة ممن تحفظ عندهم الوديعة وتؤتمن عندهم الأمانة ، وكذلك سمع شهوده عن آبائهم وآباؤهم عن أسلافهم، أنّ المهاجرين من المسلمين ممنوعون من اعتمارها بطول الأيام ، وتقادم الشهور والأعوام، وأنّ من تقدم أو تأخر من ملوك الإسلام- قدّس الله أرواحهم- لم يبحوا لهم أن يعمروها ؛ ولم يسمحوا لهم في ذلك بوجه ولا بحال مستمرين على ذلك خلف عن سلف حتى الآن، لم يخرق أحد من الملوك ولا من العلماء المتقدمين والمتأخرين على سكانها بدخول المهاجرين فيها عادة، ولا إحداث نقض في ذلك ولا زيادة، صونا للقبة المذكورة عن الغش والخيانة، بأن يعمرها من لا مروءة له ولا ديانة ... أواخر شهر الله المحرم عام أربعة و ثلاثين وتسعمائة »[1]، لذلك يعزى احتجاجهم انطلاقا من اللفيفية إلى ما جرى به العرف وجرت عليه العادة ؛ من امتهان التجار بفاس، وأنّ قيسارية محل شبه مقدس به من الأسرار الشريفة ما يبقى احتكاره بيد أهل البلد الأصليين؛ من أبناء فاس لا ينازعهم التجارة فيه أحد[2]، وقد حوّل الأمير الوطاسي العريضة إلى وزيره محمد المسعود ؛ وكلفه بمعالجة القضية بالاستئناس بآراء علماء فاس و مكناس وغيرهم فكتب الأخير مجموعة من الرسائل إلى عدد كبير من العلماء في داخل المغرب وخارجه ، يستفتيهم في النازلة: « منع حديثي الإسلام من اليهود من فتح متاجر لهم بسوق فاس العام»[3].

وقد تلقى الوطاسيون 17 جوابا، 12 منها لفقهاء فاس ، ثلاثة لفقهاء مكناس ، وجواب من قبيلة تسول شمالي فاس، وآخر من الجزائر[4] هو جواب محمد بن علي الخروبي وهو الوحيد من خارج المغرب الذي يستفتي في هذه المسألة، ولولا شهرته في المغرب قبل وفادته إليها؛ لما بعث إليه الوزير الوطاسي طالبا منه المشاركة بإبداء رأيه فيها ، وقد تحدث عنها الأستاذ محمد المنوني بقوله: « بدعة طبقية ثارت سنة 934هـ/1527م، وصارت ترمي إلى تحقير الإسلاميين حديثي الدخول في الإسلام من أصل يهودي ، حيث منعهم تجار القيسارية الكبرى بفاس من الا عتمار بها؛ وشايع هؤلاء بعض المفتين، غير أنه تصدى لنظرة الإسلاميين جمهور العلماء ؛ من فاس ومكناس في فتاوى صدرت عن ثلاثة عشر فقيها والرابع عشر هو محمد بن علي الخروبي الطرابلسي زائر فاس آنذاك».

وبذلك يكون الأ ستاذ المنوني قد انفرد برواية مغايرة ، إذ يذكر أربعة عشر عالما بدل سبعة عشر ؛ كما يذكر أن مشاركة الخروبي في فتاوى هذه القضية ؛ إنّما جاء إيذانا منه بوجود عالم كبير يعتمد عليه في الفتوى، كما أشار في نفس الوقت إلى أنّ الخروبي كان موجودا بفاس في زيارة لها، و معنى هذا أنّ حضور الإمام الخروبي إلى المغرب؛ قد جاء في وقت مبكر لوفادته الرسمية بحوالي 25 سنة، وأنه في هذا الحضور المبكر كان له من الشهرة العلمية ما يتعرف به في كل محل نزل

---

[1]. محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 274-275.

[2]. عبد الله المرابط الترغي: "**الإمام الخروبي و المواجهات الفكرية في مغرب القرن العاشر للهجرة (رسالته في انتقاد الشيخ أبي عمرو القسطلي)**"، من كتاب **أعمال ندوة التواصل الثقافي**، ص 260.

[3]. مختار الهادي بن يونس: **المرجع السابق**، ص 336.

[4]. محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 275.

به، وغير بعيد أن تكون رحلته هذه قد جاءت في مهمة رسمية أغفل التاريخ ذكرها [1]، ومهما يكن من أمر سواء كانت مراسلة أو زيارة إلى فاس، فقد ردّ عليها الشيخ محمد الخروبي الذي أشار في مقدمته ؛ إلى ما يشعر منه بوجود فتاوى كانت تقول بمنع الاسلاميين من الا ختلاط بالتجار القدامى في الأسواق، وفي ردّ ه الذي استند فيه إلى تبريرات دينية ومنطقية وتاريخية، سفّه فيها رأي تجار فاس وأفتى ببطلان حجتهم وفساد منطقهم ؛ الذي يتنافى مع قواعد الدين وسنن الحياة [2]؛ م بينا عدم صحة دعواهم ، وقد اتخذ موقفا في هذه القضية بأن ردّ بحزم مفندا أقوالهم؛ ومن دون مجاملات أو مراعاة ظروف وأسباب قد تضر بالحقيقة، فقدم ردّه مبنيا على ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: أنهم أحدثوا في الدين ما ليس لهم فيه، وخالفوا النبي و أصحابه في حسن معاملتهم لمن أسلم من اليهود وأشار بعد ذلك بروح صوفية إلى ذم الحسد والأثرة الظاهرين في موقف التجار الفاسيين ، حيث يقول: « والدنيا وأمتعتها أحقر من أن تغضب مؤمنا من أجلها، أو نرغب فيها عنه».

النقطة الثانية: أنّ المسؤولية تقع على العلماء الذين أخفقوا في تبصير العامة بحقيقة الدين ، التي تؤكد على المساواة بين الناس دون النظر إلى لونهم أو حسبهم أو نسبهم، فتركوهم في ضلالتهم وما لاموهم عليها: «...ولا لوم على العوام فيما صنعوا من المنع، وخالفوا من أمور الشرع والعذر لهم بجهلهم الأمور الشرعية، وإنّما اللوم على من وافقهم من الفقهاء على تحسين آرائهم وإنقاذ شهواتهم، وقد كان العلماء في غير زماننا هذا يردّون الشارد ويعلّمون الجاهل ويهدون الضّال، فإذا بهم في زماننا هذا يوافقونهم في مراداتهم، ويفتونهم على وفق عاداتهم...»

النقطة الثالثة: إنّ المنطق والتاريخ يدحضان ادّعاء التجار الفاسيين باحتكار السوق ، فبستنتاجات ومقارنات يدرك المرء بالبداهة بطلان ما ذهب إليه التجار من احتكار الأسواق ، يقول: «لوصرعنا هذا بكل من دخل في ديننا لأخرجنا من أسواقنا نفرا كثيرا وأخرج أباؤنا من قبلنا ثم نحن من بعدهم ويتسلسل الأمر . وأينا لم يكن له آباء حديثو عهد بإسلام ؟! ومع هذا كله إذا كان الداخل في ديننا لم يمنع من الدخول في أسواق الآخرة التي هي المساجد والأماكن المشرفة حتى روضته صلى الله عليه وسلم التي هي أشرف البقاع، فكيف يمنع من أسواق الدنيا وتجارات البوار ؟!» [3]، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على تفهم الشيخ الخروبي لما يجري من فساد وتح زب للباطل ، الذي صادف وجود عالم متمكن جريء؛ وأيضا سلطان يريد أن يحسم هذه المسألة بالا ستعانة برأي العلماء ، فأبدى رأيه بالإفتاء ببطلان شكواهم وفساد فتوى من والاهم من وجوه عدة، وبمنطق لا يقبل التساهل بأي حال من الأحوال شرعا [4].

---

[1]. عبد الله المرابط الترغي: **الإمام الخروبي و المواجهات الفكرية** ، ص 260.

[2]. حبيب وداعة الحسناوي، **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 291.

[3]. محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 277-278.

[4]. مختار الهادي بن يونس: **المرجع السابق**، ص 336.

ونتيجة لجواب محمد الخروبي وغيره من إجابات الفقهاء التي وفدت على الحكومة الوطاسية من علماء آخرين، اقتنع حكام فاس بضرورة السماح للإسلاميين بالدخول إلى جميع الأسواق كسائر المسلمين، وصدر قرار بهذا المعنى سنة 934هـ/1527م[1]، ومما جاء في مرسوم الوزير الوطاسي محمد المسعود: « من وقف على مكتوبنا هذا فليعلم أنّا أمضينا الأمر على ما أفتى به ساداتنا وعلماء ملتنا ومصابيح ديننا ... إمضاء تاما، يستمر حكمه على الدوام، وتعاقب الأزمنة والأعوام ، ولاسبيل لأحد من الخاصة والعوام، أن يتعرض لما أفتى به علماء الإسلام . كتب هذا سلك شهور سنة أربع و ثلاثين و تسعمائة» [2].

وبذلك يتبين لنا أن الفتاوى التي كانت ترسل إلى العلماء في أقطار المغرب العربي دون النظر إلى مقر إقامة العالم؛ هي دليل على التواصل الثقافي بين هذه الأقطار، كما يتأكد لنا من جهة أخرى جانب آخر من جوانب إسهامات الشيخ محمد بن علي الخروبي في معالجة مشاكل وقضايا عصره، التي شغلت بال المجتمع المغاربي، حيث أدّى نشاطه إلى إحداث نوع من التقارب في وجهات النظر بين النخب العلمية المغاربية ، للدفاع عن مسائل دينية إقرارا للحق وتحقيقا للمساواة وحفاظا على لحمة ووحدة أفراد المجتمع الإسلامي، فكان لمشاركته أن أسهمت بحق في توطيد أواصر العلاقات و تفعيل الصلات الفكرية النخبوية العلمية في أقطار بلاد المغرب.

ثالثا: المحاورات العلمية.

كان للشيخ أبو عبد الله محمد الخروبي محاورات علمية، ومساجلات فكرية مع علماء فاس ومراكش، في ظل سفارته الديبلوماسية بين حكومة مراكش وحكومة الجزائر بشأن المهادنة وترسيم الحدود ، وعلى الرغم من التلميحات والإشارات الواردة في المصادر بشأن هذه المحاورات والدّالة على كثرتها إلاّ أنّ أصحابها لم يذكروا سوى اثنتين، على غرار المحاورة التي أجراها مع الشيخ أحمد الراشدي المليانى بالجزائر ، وغيرها من الآراء التي قالها في بعض كتبه ووصلت إلى الحاضرتين العلمية فاس؛ والسياسية مراكش، وقبل الحديث عن هاتين المحاورتين يجدر بنا أن نتوقف أولا عند إشارات وتلميحات العلماء والكتّاب.

01- محاورته لعلماء فاس ومراكش:

ارتبط اسم الشيخ الخروبي بهاتين الحاضرتين في ظل حراكه الديبلوماسي، وما أعقبه من جدال فكري ونقاش حاد في قضايا متعددة، إذ يقول عبد الرحمن الجيلاني : « وجرت له هناك مساجلات ومناظرات ، واستجازه بعضهم فأجازه

---

[1]. حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 292.

[2]. محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 278.

بسنده» [1]، حيث عقدت للشيخ هناك مجالس ومحافل ناظر فيها علماء المغرب ؛ وحاورهم في مباحث شتى من العلم وجرى له الكلام في التصوف والطرق الصوفية الذي كان متفردا فيه، حيث قال الأستاذ محمد حجي في كتابه : « وإذا كانت وساطة الخروبي السياسية لم تفه إلى نتيجة إيجابية، فإنّ اتصالاته العلمية والصوفية كانت نشيطة مفيدة، أثارت كثيرا من الجدل والتفكير في كلا المغربين الأقصى والأوسط »[2]، وقد قال الأستاذ رفيدة في بحثه عن الخروبي: « وكان له بالمغرب تلاميذ ومناقشات علمية »[3]، كما يقول أيضا الأستاذ سعد الله في كتابه : « وقد زار فاس ومراكش وغيرهما وأخذ عليه علماء المغرب »[4]، وقد سبقت الإ شارة إلى أنّ الكثير من المصادر كصاحب المرآة والناصري في الاستقصا وغيرهم؛ ذكرت أن للخروبي تلاميذ بالمغرب الأقصى، وأنّ الكثير من أهلها قد نهل من معين الشيخ وجلس بين يديه.

02- محاورته للملياني:

كان للشيخ محمد بن علي الخروبي اتصالات وثيقة مع علماء الجزائر ، على غرار الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني[*]؛ الذي قام بمحاورته عند اجتماعه به، ولا يستبعد أن يكون هذا الحوار قد جرى بمدينة مليانة، حيث كان للخروبي سكن بالجزائر وآخر بمدينة مليانة، وهذا ما تكشفه وثيقة تشير إلى تحبيس الشيخ أبو عبد الله محمد الخروبي ؛ لدار وحديقة له بمدينة مليانة للذكور دون الإ ناث عام 955هـ/1548م [5]، وقد أشارت العديد من المصادر إلى هذه المحاورة[**]؛ التي أنكر فيها الخروبي على الملياني تلقين الأوراد والأذكار للعامة حتى النساء، إذ يقول صاحب المرآة : « والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة من كبار مشايخ أهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية وكان كثير التلقين، فقال له الشيخ أبو عبد الله الخروبي : أهنت الحكمة في تلقينك الأ سماء للعامة حتى النساء. فقال له: قد دعونا الخلق إلى الله فأبوا، فقنعنا منهم بأن تشغل جارحة من جوارحهم- وهو اللسان- بالذكر. قال أبو عبد الله الخروبي: فوجدته أوسع مني دائرة» [6].

---

[1]. عبد الرحمن الجيلاني: **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ص 107.

[2]. محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 170.

[3]. محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 233.

[4]. أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، ص 498.

[*]. **أحمد بن يوسف الراشدي الملياني** : الشيخ الولي الزاهد العارف، نزيل مليانة، من أعيان مشايخ المغرب العربي وأحد أوتاد التصوف ، كان عالما عاملا صالحا ورعا، ذا همة عالية وكرامات ظاهرة جليل القدر، كبير الشأن، أخذ عن علماء تلمسان ووهران ثم انتقل إلى بجاية أين تتلمذ على يد الشيخ زروق، إتصل بالأتراك وساعدهم على مقاومة الإسبان، أسس زاويته برأس الماء بوادي الشلف، توفي رحمه الله في سنة (931هـ/1524م)، للمزيد انظر: **دوحة الناشر**، ص 112-113، عبد المنعم القاسمي الحسين: **أعلام التصوف في الجزائر**، ص 123.

[5]. ودان بوغفالة: **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني**، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2000، ص 320-329.

[**]. **من المصادر التي أشارت إلى هذه المحاورة** أبو القاسم الحفناوي في **تعريف الخلف**، ج1، ص 358، الناصري في **الاستقصا**، ج5، ص 51، و**المرآة**

[6]. أبي حامد محمد بن يوسف الفهري: **المصدر السابق**، ص 191.

فهذه المحاورة توضح وتبرز الاختلاف في وجهات النظر، وتباين منهجي الشيخين، مع اعتراف الخروبي بأن الراشدي أوسع دائرة؛ أي أكثر تجربة وإدراكا وعلما بسياسة النفوس وقيادتها [1]، كما أنه اعتراف منه بحسن ما فعل المليانى، وهذا يبين صفاء القلوب وصدق النوايا، فالإخلاص والتعاون على الخير هدف الجميع، كما يمثل جانبا من جوانب الحوار الفكري الهادئ للشيخ الخروبي مع علماء الجزائر.

03- محاورته للطائفة الجزولية:

نقصد بالطائفة الجزولية بعض كبار مرابطي المغرب الأقصى المرتبطين بالطريقة الجزولية؛ من أمثال الشيخ أبي عمرو القسطلي وأصحابه؛ من أتباع الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي؛ صاحب كتاب " دلائل الخيرات "، فقد قام أبو عبد الله محمد الخروبي بمحاورة أتباع الجزولي، حول مسألة قص شعر التائب، حيث أنكر عليهم فعلهم الذي عدّه من ضروب البدعة؛ وأنه عمل لا يمتّ بصلة إلى السنة السمحة والدين الحنيف؛ وهذا في سفارته الأولى إلى المغرب، إلاّ أنّ أتباع الشيخ المذكور حاولوا تبرير عملهم باتباع سيرة شيخهم، فردّ عليهم الخروبي بأنه ربما كان يفعل ذلك بإذن، والإذن للولي لا يعم أتباعه على عكس الإذن للنبي صلى الله عليه وسلم الذي يعم أتباعه ، وهذا نص الحوار كما أورده صاحب المرآة: « وكان الشيخ أبو عبد الله الجزولي يقص شعر التائب، وأخذ بذلك أصحابه، فلما جاء الشيخ أبو عبد الله الخروبي إلى المغرب لقي مشايخ الطائفة الجزولية ، فأنكر عليهم ذلك؛ وقال أنه "بدعة"؛ فقالوا له: إنّ الشيخ الجزولي كان يفعله. فقال لهم: لعله بإذن، والإذن لا يعمكم، فإن الإذن للنبي يعم أتباعه والإذن للولي لا يعم أتباعه !» [2].

في حين انفرد الإفراني صاحب النزهة برواية مغايرة، فقد ذكر أنّ الشيخ محمد الخروبي في سفارته الأولى إلى سلطان المغرب، دخل مراكش وأنكر على الشيخ أبي عمرو القسطلي قصّه لشعر الشارب؛ وقال إنه بدعة ، فقالوا له أن الشيخ الجزولي كان يفعل ذلك، فقال لهم لعله بإذن والإذن لا يعمكم، فإنّ الإذن للنبي صلى الله عليه وسلم يعم أتباعه، والإذن للولي لا يعم أتباعه [3].

وإذا توقفنا عند الروايتين سنجد تطابقا في حيثياتها وأحداثها، إلاّ وجه المفارقة والاختلاف بينهما يكمن في مسألة قص شعر التائب أو الشارب، ومهما يكن من أمر فقد قالت غالبية المصادر بالرواية الأولى كالناصري في الاستقصا والحفناوي في تعريف الخلف ، والمهدي الفاسي في ممتع الأسماع هذا من جانب، ومن جهة أخرى ، فإن صاحب الرواية الإمام أبي حامد العربي بن يوسف الفاسي الفهري (988هـ/1052هـ) صاحب المرآة كان أقرب من الناحية الزمنية إلى رجال القرن العاشر هجري(16م)، إذا ما قارناه بغيره من أصحاب المصادر المشار إليها مما يجعلنا نرجح هذه الرواية لهذه

---

(1). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 234.

(2). أبي حامد محمد بن يوسف الفهري: **المصدر السابق**، ص 274.

(3). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 42.

الاعتبارات، وقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام [*]: « لا بأس بقص شعر التائب »، وذكر البرزلي في نوازله : « وليست كل بدعة مذمومة وإذا كانت مذمومة، فلا إذن بعد النبوّة، ينسخ ذمها فلينظر في ذلك»[1].

وعلى العموم فإن العلماء اختلفوا في ذلك، حيث أورد المهدي الفاسي صاحب الممتع، الكثير من آراء العلماء بين قائل بجوازه، وبين قائل بالمنع و اعتباره من البدع المنهي عنها ؛ وقال في توجيه كلام الخ روبي: « ويمكن أن يوجه كلام الخروبي بأن قصّ شعر التائب في الأصل مباح، فإذا قصّ شعر التائب عن إذن و عري عن جعله من أركان التوبة أو سنّة الطريق؛ فلا بأس به، لأن قصّ الشعر مباح كما ذكرنا، والمباح هو محلّ الإذن للأولياء ، وإذا فعل بقصد التوبة، وجعل من أركانها وشرائطها ومن شعار الطريقة وسنّتها كان بدعة، وهي بدعة في الدّ ين لأنها من الزيادة لما ليس منه، فهي مذمومة على هذا والله أعلم، لكن يبقى أنّ قصّ الشعر للتوبة أمر مختلف فيه كما يأتي ولا إن كار في مختلف فيه ... أو يكون الإنكار على سبيل الإ رشاد والتعليم للأخذ بالا حتياط والخروج من الخلاف وارتكاب الكمال ، ولا سيما وطريق القوم مبنية على ذلك ويحتمل أنه لم يطّلع على القول بالجواز ؛ ولم يطّلع على النصوص في المسألة، وإنّما كرّه لهم التعلق بالرسوم الظاهرة والتقيد بها، مما لم يجيء بها سنة والله أعلم»[2].

تتضح لنا من محاورة الشيخ الخروبي لأتباع الطائفة الجزولية ؛ قيمة ومكانة الأولياء والمشايخ في ثقافة بلاد المغرب وحرص العلماء المغاربة الشديد لحفاظ على دينهم ومحاربة الا بتداع، كما أنّ هذه المسألة التي أثارها الشيخ مع علماء الجزائر على غرار المليانى؛ وعلماء المغرب الأقصى قد فتحت باب الحوار والنقاش والجدال على مصراعيه، ما مهّد السبيل وعبّد الطريق للتلاقح والتلقي والأخذ والعطاء، فنضال النخب في بعض مظاهره ينابيع معرفية فكرية ؛ تتسرب إلى مختلف الثقافات بلا انقطاع، وهذا جانب آخر من جوانب الحراك الفكري لشيخ أبي عبد الله محمد ا لخروبي الذي أحدث بإسهاماته وآرائه الجريئة وحواراته الهادفة نشاطا علميا، انعكس ايجابا على الواقع الثقافي المتردي.

---

[*]. **هو عبد العزيز بن عبد السلام السامي الدمشقي**، عز الدين ويعرف بسلطان العلماء وشافعي، توفي سنة 660هـ.

[1]. أبي حامد محمد بن يوسف الفهري : **المصدر السابق**، ص 274.

[2]. المهدي الفاسي: **مخطوط ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع**، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم (ms178-p1.html) ، ص 28.

المبحث الثالث: رسائل ووصايا الشيخ الخروبي.

أولا: رسالة الخروبي في انتقاد الشيخ أبي عمرو المراكشي.

لقد كان الشيخ أبو عبد الله محمد الخروبي محاربا للبدع، داعيا إلى اتباع السنة المحمدية في الأقوال والأفعال والأحوال(*)، لذلك وقف مجابها لأهل الا بتداع عموما والمتصوفة منهم على وجه الخ صوص، إذ يقول عبد المنعم القاسمي في كتابه: «شجاعا هلما شديد النكير على أهل البدع والضلالات، لا تأخذه في الله لومة لائم»[1]، وما يؤكد دعوته إلى اتباع السنن وترك البدع؛ ما جاء في مقدمة كتابه كفاية المريد وحلية العبيد ؛ حين قال: « أمّا بعد فهذا كتاب سميته كفاية المريد وحلية العبيد، جمعت فيه من الوظائف القولية وا لأوراد الفعلية وا لأحوال النبوية الواردة عن خير البرية ما تكون إن شاء الله تعالى غنيّة لأرباب البداية، وكفاية لأهل النهاية، تحريت فيه مهيع الاتباع، وتجنبت فيه شعب الابتداع، راعيا في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، وقد علمت أنّ عملا قليلا في سنّة خير من عمل كثير في بدعة، وفي الحقيقة ما قلّ عمل في اتباع، وما كثر عمل في ابتداع» [2].

ولما وفد الشيخ أبو عبد الله محمد الخروبي على المغرب الأقصى، هاله ما رأى عليه من انتسب إلى طريق القوم من سلوك لا يقرّه الشرع فـانتقد ذلك، وكان لا نتقاده صدى واسع في أوساط العلماء وتردد صداه خلال قرون [3]، حيث هاجم الخروبي الأشياخ الذين يبالغون في دعواهم وسلوكهم ويدّعون المشيخة والوصول إلى درجة الرجال الكمّل، ونسبة أشياء خارقة لأنفسهم، إذ يقول: « وقد ظهر في زماننا دجّالون كذابون ويتعرضون لتربية المريدين وإرشاد السالكين من غير علم أصلي لهم، يعرفون به الحق ولا علم شرعي...ضلوا وأضلوا قاتلهم الله»[4].

ومن ذلك تلك الرسالة التي وصفها في انتقاد شيخ الطريقة الصوفية آنذاك بمراكش، وصاحب زاويتها الكبيرة ا لشيخ أبي عمرو القسطلي المراكشي (المتوفى سنة 974هـ/1567م)، أحد تلاميذ الشيخ محمد بن سليمان الجزولي المشهور [5]. وكان صاحب طريقة صوفية ترتبط بالجزولية، وممن صحبه الشيخ عبد الكريم الفلا ح الذي أخذ عنه [6]، وتخرج على يديه ليرث عنه الولاية وسرّ الطريق، حيث كان هذا الأخير أحد الرجال الس بعة بمراكش، وعلى الرغم من ذلك فإن القسطلي

(*) **الأحوال**: هي المواهب الفائضة على العبد من ربه، إمّا واردة عليه ميراثا للعمل الصالح المزكي للنفس، وإمّا نازلة من الحق إمتنانا محضا، وإنّم ا سميت أحوالا لتحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد إلى الصفات الخفية ودرجات القرب وذلك هو معنى ال ترقي، قال الجنيد: « الحال نازلة بالقلب ولا تدوم »، انظر **موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي** لرفيق العجم، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1999، ص 20-21.

(1). عبد المنعم القاسمي: **المرجع السابق**، ص 336.

(2). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 236.

(3). عبد السلام شقور: **المرجع السابق**، ص 160

(4). محمد الخروبي : **مخطوط أجوبة الخروبي**، ص 27.

(5). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 293.

(6). ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 108.

كان يفتقر لثقافة علمية حيث لم يسبق له دراسة أو أخذ [1]، وكان يدعي الشريفية، وأن نسبه ينتهي إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه [2]، وقد كان الشيخ أبي عمرو القسطلي يومئذ في أوج مشيخته بمراكش، وكانت زاويته فيها تعجّ بوفود المريدين من كل جهات المغرب [3]، حيث أضحى للشيخ بمراكش وسائر بلاد المغرب شهرة عظيمة، واعترف له الكثير بالولاية والصلاح، فسلّموا له وتحدثوا عن فضله وكراماته، وكان في مشيخته وبين أتباعه كثير الكلام المحمول على الإشارة على مكاشفة الغيب، مبالغا في شطحاته الصوفية، حتى أصبح للبعض مواقف تحفظ تجاهه.

إذ يقول صاحب الدوحة : « وكان له بمراكش وسائر بلاد المغرب شهرة عظيمة وللناس في شأنه اضطراب، لأنه كانت له دعوة عريضة في مقام الأولياء، ومكاشفة الغيب، ودعوى القطبانية ، وأنه صاحب الوقت، فمن قائل أنه على بصيرة من ربّه، ومن قائل خلاف ذلك...لقيته مرارا وسمعت كلامه، وكنت [كذا] نكل أمره إلى الله تعالى ولا نتعرض لرد ولا إلى قبول» [4].

لهذا عرف محمد الخروبي من حال الشيخ أبي عمرو القسطلي ؛ أنّه يشبه في بعض دعاويه الحلاّج [*][5]، فبعث له برسالة أقذع له فيها وشدد عليه النكير في دعاويه وكثيرا من أحواله، مستنكرا ما يصدر عنه من ادعاء وسلوك، فقد رأى في ادّعاء الشيخ أبي عمرو المراكشي مشيخة الطريق وقيادة الأتباع أمرا منكرا، ترتب عليه العديد من المنكرات في سلوك الرجل ومواقفه من قول وعمل، كالقول بالوصول إلى مرتبة القطبانية، والإكثار من الكلام الإ شاري الدّال على مكاشفة الغيب وغيرها من الأمور والأفعال التي استنكرها الخروبي، وكانت أساس محاور الرسالة الانتقادية.

حيث انطلق من قضية أساسية تتجمع حولها بقية القضايا الا نتقادية، وهي ادّعاء مشيخة الطريق و اتخاذ الأتباع لتربيتهم والسلوك بهم، وهذه جوانب منها:

– إنّ الخروبي كان يرى أن ما يمارسه الشيخ أبي عمرو القسطلي من مظاهر المشيخة خطل وبهتان، لا أساس له من الصحة، إذ لم يتحقق للشيخ بلوغ مستوى ومرتبة التصدي لتربية المريدين والسلوك بهم، ليصبح قدوة لهم، كما أنه لم

---

[1]. عبد الله المرابط الترغي: **الإمام الخروبي والمواجهات الفكرية** ، ص 265.

[2]. El Mahdi Bouabdelli : **op.Cit**, p 335.

[3]. محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 171.

[4]. ابن عسكر: **المصدر السابق**، ص 108.

[*]. **الحلاج (ت:224هـ)**: الحسن بن محمد البيضاوي : متصوف كبير، ولد بطور ، من أعمال فاس ، عاش في خلوة 24 عاما مع متصوفة آخرين، تلامذته، واتهمه المعتزلة بالشعوذة، ألقي القبض عليه، وعذب وأمضى 08 سنوات في سجن بغداد، ثم بعد محاكمة دامت 07 أشهر بمقتضى فتوى أقرها المالكي أبو عمر، قال بالاتحاد التام مع الارادة الالهية عن طريق الشوق والاستسلام للألم، كفره الفقهاء لكن العامة قدّسته، فكان الحلاج يقول بالحلول :«أنا الحق وما في الحبة إلاّ الله»،انظر: **معجم مصطلحات الصوفية** لعبد المنعم الحفني، ط2، دار المسيرة ،بيروت، لبنان، 1987، ص 81.

[5]. حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد علي الخروبي**، ص 293.

يعش تجربة التربية السلوكية الكاملة التي تقتضي على مالكيها، قطع منازل الترقي مع تعدد المقامات ؛ للوصول إلى مرحلة التصوف التي يدّعيها [1].

لذلك ابتدأ الخروبي رسالته بما يدحض ويفند به هذه الدعوى، فكان خطابه صريحا للشيخ القسطلي متهما إياه بالادّعاء والكذب، إذ يقول : « من العبد الفقير إلى رحمة مولاه إلى من تكلم في حالة الطفولية، وادّعى البلوغ قبل انفطامه، وقال بالأشد قبل الكهولة، و أتى بالإشارة قبل كلامه، المغلوب عليه الملعوب به، من تعدّى طوره ولم يعرف قدره، الفاني عمره في الا ستدراج، وقال رجعت من السفر ولم يعرف المنهاج، إن كنت فيما ادّعيت صادقا، فأنت عبد لا محالة، وإن كنت كاذبا فقد بؤت بالخسران... » [2].

فالمشيخة [*] أمر عظيم لا يصلح لها إلاّ من شهد له الشرع ؛ وكان على منهج قويم وصراط مستقيم ؛ وخلق كريم ومعرفة بالأشخاص؛ وخبرة بالبواطن وفراسة ودراية بالأسفار ؛ وربانّية جامعا بين الشريعة والحقيقة [3]، فمن المتعارف عليه في التربية الصوفية أنّ الشيخ لا يتصدى للمشيخة، إلاّ إذا قطع به شيخه المراحل ليصل إلى أعلى المقامات فتكتمل تربيته وسلوكه، ويحظى عقب ذلك بالإذن من شيخه أو بوراثة أسراره ، وكما تختلف أساليب التربية من شيخ إلى آخر تتفاوت كذلك مدة التربية، فالوصول إلى مرحلة الفتح والتأييد الرباني لا تتأ تى إلاّ بعد السفر الطويل؛ والرحلة الشاقة التي تعترضها العقبات الكآداء، وتتخللها المجاهدة والمكابدة [4]، وهو ما يؤاخذ به الخروبي الشيخ أبي عمرو القسطلي حينما ادّعى العودة والإ ياب من هذه الرحلة ؛ وهو لم يدرك بعد منهاجها وسبيلها، ويواصل خطابه مستنكرا ما يدّعيه بقوله : «هيهات هيهات، متى مت حتى حييت، ومتى غبت حتى حضرت؟ لكن هذا حال أهل الجرأة المدّعين ما ليس لهم خلفاء مسيلمة (ويحسبون أنّهم على شيء ألا إنّهم الكاذبون)، ويحك هل أتاك آت بحسن الخاتمة أو ببواءة الأمان؟» [5].

– كما يقترن بقضية ادّعاء المشيخة؛ ما يصدر عن هذا الشيخ من الإ خبار بالغيبيات والكلام الإشاري، فينتقده الخروبي ويعتبره دليلا على كذبه و زعمه، إذ لو كان على الحقيقة شيخًا لما جاز له الكلام في هذا الشأن، وأن يكثر الحديث فيه، وأن يقوم بإفشاء الأسرار، إذ يقول : « فإن لدغك حال أو هجم عليك وارد فلا تفشه ، إفشاء الأسرار

---

(1). عبد الله المرابط الترغي: **الإمام الخروبي و المواجهات الفكرية** ،ص 266.

(2). محمد بن سعيد المرغتي : **العوائد المزرية بالموائد**، تقديم وتحقيق: محمد العربي الشريفي، ج2، ط2، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2007، ص 492.

(*). **المشيخة:** هي الولاية في الطريق ، ويشترط لها أن يكون الصوفي موصوفا بصفات الكمال، معرضا عن حب الدنيا والجاه وما أشبه ذلك، ويكون قد أخذ هذا الطريق النقي عن شيخ محقق، تسلسلت متابعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتاض بأمره رياضة بالغة، انظر : **معجم مصطلحات الصوفية** لعبد المنعم الحفني، ص 245.

(3). محمد الخروبي: **مخطوط أجوبة الخروبي**، ص 29.

(4). عبد الله المرابط الترغي: **الإمام الخروبي و المواجهات الفكرية** ، ص 266.

(5). محمد بن سعيد المرغتي: **العوائد المزرية بالموائد**، ج2،ص 492.

يورث البوار، هذا أقوى دليل على ضعفك . قد قالوا: من اطّلع على سرّ من أسرار الله فكشفه ، يخشى عليه أن يموت كافرا، هذا إن كنت من أهل الشأن، وإن لم تكن منهم فقد جئت بعظيم البهتان»[1].

ومردّ ذلك في نظر الخروبي إلى ما يفتقده الشيخ من تربية سلوكية حقيقية ؛ يحجب فيها كبرياء النفس وتغيب عنها هوى العوارض، فلا تستكين النفس المطمئنة إلى الهواجس؛ ولا يؤرقها وهي في مقام العبودية حبّ الدنيا وظلمة الإنسانية، فكيف يصدر هذا منه وهو لا يزال مشدودا إلى نفسه [2]، فيقول: « وقد بان لنا منك أنّ ما ادّعيته لم تكن له أهلا، فمن حيث فرحك بحالك وسكونك إلى إشاراتك وتفويهك بما تتلمع وتتلمح من البوارق واللوامع والتخيّلات» [3]، لذلك نجد الشيخ محمد الخروبي يستنكر ما ينسبه المريدون من الأتباع إلى أشياخهم من كرامات صوفية، ففي رسالته حول الفقراء، يرى أنّ: « ما ينسبه الفقراء إلى أشياخهم من الكرامات الممنوعة شرعًا، فممنوع قطعا » [4].

– ومما يؤاخذ به الخروبي الشيخ القسطلي، الخروج عن مقام العبودية والعدول عن الا ستقامة التي تمثل منهل ومنهج أكابر الرسل عليهم السلام ، وإيهام الناس وخداعهم بالقدرة، إلى أن ترسخت في أذهانهم فكرة القدرة على جلب الخير ودفع الضرر ودرء الخطر، إذ يقول: « فكيف وقد خرجت عن مقام العبودية المطلوبة وعدلت عن الا ستقامة المخاطب بها أكابر الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وادّعيت ماليس لك مع عجزك وضعفك وذلّك وفقرك وفاقتك، وأنت لا تملك لنفسك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ما أجرمك على الله ابن آدم»[5].

– ويرتبط بدّعائه المشيخة أيضا إفشاء سر الوصول والتغني بالقطبانية [*]، حيث يصبح الشيخ خليفة أعظم ، يمدّه الله بما يصرف به في الكون وما يندرج به ، ويخاطب الخروبي الشيخ أبي عمرو القسطلي مختبرا درايته ومعرفته عن القطبانية وعالمها؛ وكيفية عروج القطب إلى رحبة الأقطاب أو الأمان، ونزوله في الحضرة الإلهية ورجوعه منها وغير ذلك، لأن عجزه عن إدراك هذه المعرفة ؛ وغياب تصور له لهذا العالم دليل على ادّعائه وخطله، إذ يسترسل مخاطبا إياه:« ادّعيت أنك دخلت في رحبة الأقطاب، وهي رحبة الأمان، فإنّ لها شروطا ومقدمات ؛ فصف لنا كيف هو معراج روح القطب والملائكة الذين يصعدون به كم هم، وما اسمهم، وهل من الآدميين صاحب قدوته في ذلك الحظر العظيم، وكيف خطاب الملائكة حين تزور إلى الرحبة المنزهة، وكيف يحيّي أهل الرحبة حين الدخول، وكيف يجتمعون بها، وما شرابهم وكيف يسقون فيها بكأس واحد أو كؤوس، وأي حلّة يكسى بها حين رجوعه من الحضرة الأصلية، وما ذكرهم فيها، وهل

---

(1). محمد بن سعيد المرغتي: **العوائد المزرية بالموائد**، ج2،ص 493.

(2). عبد الله المرابط الترغي: **الإمام الخروبي و المواجهات الفكرية** ، ص 267.

(3). محمد بن سعيد المرغتي: **العوائد المزرية بالموائد**، ج2، ص 492.

(4). لحسن اليوبي: **الفتاوى الفقهية في أهم القضايا في عهد السعديين إلى ما قبل الحماية** (د.ط)، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1998، ص 404.

(5). محمد بن سعيد المرغتي: **العوائد المزرية بالموائد**، ج2، ص 494.

(*). **القطبانية**:أعلى مقامات الولاية الكبرى، وهي مقام الخلافة الجامعة والتامة وهي مرتبة لا ينالها إلا الأقطاب الذين ارتضاهم الله خلفاء لنبيه وأمناء على عباده.

ناطقون أو صامتون، وهل مطوقون أو شاخصون، وهل نديمهم آدمي أو ملك؟ فمن عجز عن هذا فلا يحلّ له الكلام برأيه»[1]، ويواصل الخروبي كلامه نافيا عنه ادّعاء صفة القطبانية نفيا قطعيا بقوله : « وأمّا تغنيتك بالقطبانية فليس ذلك بشيء »[2].

– ومما يؤاخذ به الخروبي أيضا الشيخ القسطلي ؛ ما وصل إلى علمه من اتخاذ الفتوح وأخذ العوض من الزائرين مصورا أنّ ذلك هو ثمن الجنة، وترتفع حدّة الخطاب محمّلا إياه المسؤولية ؛ متهما له بأخذ الحرام والتعدي على مال الغير[3]، الذي يرى أنه تعدّيا وابتزاز للناس؛ إذ يقول في رسالته حول الفقراء : « أن يأكلوا أموالهم ويستعبدونهم »[4]. لذلك نجده يقف موبّخا له على ذلك، إذ لو كان يعطي الجنة حقا، لكان عليه أن يعطيها شفقة للناس ؛ وليس بثمن رفقا بهم كما يفعل الله بعباده : « ويحك، بلغنا عنك أنك أخذت الثمن على الجنة، إن كان في يدك ف أعطها شفقة لا عن عوض؛ كما يفعل الله بعباده. لولا قصدت الاختصار لملأت كراسة على تصفية الثمن حتى تأكله، تالله ما ذلك إلاّ حرام محض لا وجه له (ومن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) فكيف وهم قالوا: من كان مع الله على حقيقة العبودية جالسا؛ لم يكن للعباد مفلسا»[5].

– وأخيرا يركز الخروبي في رسالته على نصيحة ودعوة للشيخ أبي عمرو القسطلي المراكشي لا تخاذ شيخ يرتمي في أحضانه، ويلقي إليه إرادته ليأخذ بيده، ويتجرد من جهله فيتربى في مدرسة السلوك، ويقلّده أمره ليتحكم فيه ويتصرف في إرادته، فيتخذ منه القدوة والعبرة للوصول إلى مرحلة الخلاص والفوز ، إذ يقول : « وإن كنت تقبل نصيحتي، فاخلع ثوب الدعاية من عقلك، وفتّش على شيخ يتصرف في أمرك، وآته خاضعا ذليلا، وضع نفسك الجموحة في حجره وتأدب بآدابه، وألق الانقياد لحكمه، إذ لا يخلو الوجود منه، فالآن قد احتجت إليه»[6].

ويكرر الخروبي الدعوة في رسالته في موضع آخر مذكرا الشيخ القسطلي بما عليه فعله، إذ ا ما أراد الظفر بحاجته والوصول إلى مبتغاه، يجب أن تتوافر فيه ثلاثة أشياء مجتمعة : التخلي عن الهوى العارض ؛ واستبداله بالهوى الدائم ومصاحبة الشيخ صاحب الشأن المتحكم في الوجود، كل ذلك مع شرط التجريد والتفريد : « فإذا أردت الظفر بحاجتك رم أهل الإرشاد سادات الأفراد، ونقّ قلبك من هوى عارض بحب لازم مفيد ؛ بشرط التجريد والتفريد من غير تقليد

---

(1). محمد بن سعيد المرغتي: **العوائد المزرية بالموائد**، ج2،ص 495.
(2). محمد بن سعيد المرغتي: **المصدر نفسه**، ص 495.
(3). عبد الله المرابط الترغي: **الإمام الخروبي و المواجهات الفكرية**، ص 267.
(4). لحسن اليوبي: **المرجع السابق**، ص 404.
(5). محمد بن سعيد المرغتي: **العوائد المزرية بالموائد**، ج2،ص 494.
(6). محمد بن سعيد المرغتي: **المصدر نفسه**، ص 493.

وصاحب الحقيقة الأعظم الذي اندرج الوجود كله تحت حكمه وقهره، لئلا تكون مذهولا متحيرا فتخ طفك رياح الشياطين الروحانية .. فبالأدب الصحيح والإرشاد الناصح والخليفة الفاتح تتصل بسر فاتح وبرهان واضح..» [1].

وإذا كانت رسالة الخروبي التي جاءت كرد فعل على المظاهر ، التي لايقرها الشرع رافضا للبدع ومحاربا لها، فإنها قد أثارت من جانب آخر بين أهل مراكش من أتباع الشيخ أبي عمرو القسطلي الاستياء، واعتبروها تجرّيا من الإمام أبو عبد الله محمد الخروبي على الشيخ بوصفه بالكذب والادّعاء، لذلك تنوسيت هذه الرسالة و استمرت زاوية أبي عمرو في مراكش عامرة بالأتباع، والأغلب على الظن أنّها لم تكن في طائفة الشيخ من هو في مستوى الإمام الخروبي أو من يمتلك صفة المواجهة مع هذا الشيخ، لذلك لم تعرض هذه الرسالة على محك النقد إلاّ بعد حوالي 50 سنة من كتابتها، عندما تصدّى للرد عليها الإمام أحمد بن أبي محلّى وهو بمستوى الشيخ الخروبي[2].

وهذه الرسالة تبرز لنا مكانة وقيمة الشيخ أبو عبد الله الخروبي ، الذي وقف طودا شامخا في وجه الابتداع ، مستنكرا للضلالات؛ داعيا إلى التمسك بالسنة المحمدية ؛ والشريعة الربّانية في الأقوال والأفعال ، وهذا في ظل تنوع وتعدد قنوات التواصل القائمة بين علماء الجزائر والمغرب، لذا فهذه الرسالة تجسد هي الأخرى وجها من وجوه الحراك الفكري للشيخ.

ثانيا: وصايا ونصائح الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي.

إنّ الإسهامات التي رافقت نشاط الشيخ الخروبي ؛ لم تقتصر على المناقشات والآراء، بل كانت له جملة من الوصايا والنصائح، من ذلك الوصية التي قدمها لعالم مغربي كان أحد تلامذته، وهو الشيخ أبو النعيم سيدي رضوان الجنوي [*]. الذي طلب منه نصيحة جامعة ؛ إن عمل بها سلك طريق الرشاد وكانت له منجاة في الدنيا ؛ وسبيلا للفوز والفلاح في الدار الآخرة.

إذ يقول الخروبي : « سألني ابننا الفقيه البركة الصالح حبيبنا في الله ووليّنا من أجله أبو الرضى رضوان رزقنا وإياه الرضا... أن أكتب له وصية تكون إن شاء الله إن عمل بمقتضاها سببا للفلاح وسلوك سبيل أهل الصلاح فأجبت سؤاله »، حيث قدم له نصيحة غالية مذكرا إيّاه أن الاستعداد للسفر الطويل إلى حضرة المولى عزّ وجلّ، يستوجب إعداد الزاد وأفضل الاستعداد، إذ يقول : « اجعل القلب مركبك وال ذكر زادك، والفكر ريحك والحرام دالتك والمجاهدة بحرك

---

[1]. محمد بن سعيد المرغتي: **العوائد المزرية بالموائد**، ج2،ص 495-496..

[2]. عبد الله المرابط الترغي: **الإمام الخروبي و المواجهات الفكرية** ، ص 268.

[*]. **الشيخ أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي (912هـ/991هـ)**: الشيخ الورع الصالح المحدث الصوفي أبو النعيم أبو الرضى سيدي رضوان الجنوي ثم الفاسي دارا وولادة ومنشأ ووفاة، محيي رسوم الطريقة الشادلية بعد إندراس آثارها، أخذ عن أبا محمد الغزواني طريق القوم وطلب العلم على شيخه أبي محمد عبد الرحمن سقين وعن الشيخ أبي عبد الله الخروبي، إنتهت إليه الرياسة في تربية السالكين وتهذيب المريدين،توفي بمدينة فاس سنة 991هـ، انظر : **سلوة الأنفاس** للكتّاني، ج2، ص 290-295، و **جذوة الاقتباس** لابن القاضي ، ج1، ص 197.

والإخلاص بضاعتك والتقوى رأس مالك، والصبر حرفتك ورضى الله بغيتك، والصدق مقصدك والمراقبة دأبك، والمشاهدة حالك والمعرفة بالله مقامك ، والحضرة القدسية منزلك و إلى الله منتهاك »[1]، وحذره من ابتّلاع الهوى والسير وراء شهوات وملذات الدنيا، والجري وراء العوائد البشرية ؛ لأنّها تعطل سفينة المسير إلى الله، ثم بيّن له أنّ الخلاص من هذه العقبات الكآداء هو :

* التوجه إلى الله تعالى بقلب خالص.

* الاستناد إلى الله والتوكل عليه؛ والإنابة إليه في كل الأحوال.

* الجمع بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن؛ لأن لكل منهما تأثير على الآخر.

* التحذير من الميل إلى غير الله تعالى.

إذ يقول له ناصحا وشارحا طريق النجاة: « ومهما عاجلتك الطباع إلى شيء من الأحوال البشرية؛ والطباع الإنسانية المانعة من النفوذ ، القاطعة عن الوصول ، فأنفها بوارد الحق وأمطها عن قلبك بزاجر الخشية ؛... وسارع إلى إجابة دار الحق؛ بموافقة العلم والسنة...».

وقد تأثرت نظرته في ذلك بالمذهب الصوفي ، لذلك اتّسمت نصائحه بالصبغة الصوفية، وأكد له أنّ العمل بها يمكّنه من الترقي إلى مقامات شريفة، حيث تتوالى عليه الأحوال التي ذكر منها :

* العطش: هو ولوع بمأمول والمأمول المعني هنا هو التجلي[*] الذي ما دونه سحاب.

* الشوق: هبوب الريح إلى منتظر عظيم ، قصرّت في حقه الأرواح وقطعت دونه الآمال.

* القلق: من ضروب اليأس وضيق الصدر ؛ خشية الخيبة، لأن المنتظر عظيم؛ والذي يستوجب الصبر، لاسيما في حال التجلي عند المكاشفة.

* الهيمان: وهو ذهاب بالروح عن التماسك بالألفة ومقتضيات الجسوم، وهي درجة من درجات الشغف والتعلق.

* الذوق: وهو استطعام مبادئ الاتصال في بستان الجمع على موائد القرب(القرب من الحضرة القدسية).

---

[1]. المهدي بن عبد الله الفاسي: **مخطوط وصايا ونصائح محمد بن علي الخروبي الطرابلسي وأبو الحسن علي الحرالي وأبو الحسن الشادلي**، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم (ms296_M1.htm)، ص 3.

[*]. **التجلي**: إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه، وقيل ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

* الحظ: هو تلمح مسترق عن خجل بملاحظة نور الكشف [*].

* الفناء [**]: هو المحو عن الحس بسبب إشارات المكاشفة.

* التمكن [***]: في حال الانقطاع إلى الله بصفاء مشرب التوحيد، والمبالغة في تصفية الروح.

* التجريد: عن مقتضى آثار الأوهام، تركا لما يشغل الروح عن أملها بما نالها من عين الكشف [1].

لقد ختم الخروبي وصيته جازما له؛ أنّ هذه الأحوال والمراتب المشار إليها لا تحصّل إلاّ بالعمل : «فهذه مراتب عليّة وأحوال زكيّة سنيّة، لمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون ، فشمّر يا بني عن ساق الجدّ فمن جدّ وجد ، وفيما ذكرته لكم كفاية وكفى بها وصية وأي وصية ... فالله أسأل أن يقسم لنا ولك ولذرياتنا من ذلك أوفر نصيب ، إنه سميع قريب مجيب، والسلام وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم»[2].

وهذه نصيحة غالية من الشيخ الخروبي ؛ في ظل حراكه الفكري للسالكين طريق القوم من المتصوفة، تدل دلالة واضحة على التلاقي الروحي بين المشايخ والأولياء ، وعلى الامتداد الشبكي الروحي للطرق الصوفية ، ومدى ارتباطها ببعضها البعض في أقطار بلاد المغرب، كما يتأكد لنا حرص العلماء المغاربة على الأخذ بالنصح للفوز في الدارين، ومدى التقارب الفكري القائم والتواصل الديني الحاصل بين النخب العلمية المغاربية.

---

[*]. **الكشف**: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا.

[**]. **الفناء**: تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات ، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها، فيكون الحق سمعه وبصره، كما نطق به الحديث وقيل الفناء سقوط الأوصاف المذمومة.

[***]. **التمكين**: مقام الرسوخ والإستقرار على الاستقامة ، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، ومن وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين، قال ابن عربي:أن التمكين هو حال أهل الوصول، انظر **معجم مصطلحات الصوفية** لعبد المنعم الحفني، ص 41-48،207،255،42.

[1]. المهدي بن عبد الله الفاسي: **مخطوط وصايا ونصائح محمد بن علي الخروبي الطرابلسي وأبو الحسن علي الحرالي وأبو الحسن الشادلي**، ص 3-4.

[2]. المهدي بن عبد الله الفاسي: **المصدر نفسه** ، ص 4.

المبحث الرابع: الأسئلة والردود المتبادلة بين الشيخ وعلماء المغرب.

تعد الأسئلة والردود إحدى مؤشرات وقنوات ودلائل الترابط الفكري؛ بين مشايخ وعلماء المغرب العربي، على غرار الشيخ الخروبي الذي كان له إسهام بالغ؛ وأثر ظاهر في هذا الجانب.

أولا– رد ابن أبي محلى على رسالة الخروبي:

إنّ المهتمين بالجوانب النقدية والتاريخية؛ لم يذكروا إلاّ ردّا واحدا على الرسالة الانتقادية، التي بعث بها الشيخ الخروبي إلى الشيخ أبي عمرو القسطلي، قام به أبو العباس أحمد بن أبي محلى(*) بعد فترة زمنية طويلة، وذلك عقب اطّلاعه على هذه الرسالة أواسط 1000هـ/1592م، وهو بلكتاوة أسفل جبل درعة [1]، حيث تصدّى للرّد عليها برسالة مطولة عنيفة، حمل فيها على الخروبي واتهمه بالجهل بالمباحث الصوفية [2].

وقد كان الرد في مجمله قاسيا وعنيفا في ألفاظه، بل خرج في بعض الأحيان عن اللياقة والأدب ؛ نظرا للجرأة التي اتّصف بها كاتبه في كل كتبه ورسائله [3]، وهذا على الرغم من أنّ ابن أبي محلى لم يأخذ عن القسطلي مباشرة، بل لم يعرفه أصلا، ولكنه أخذ عنه بوساطة شيخه محمد بن المبارك الزعري (**)[4]، وهو ما يؤكده صاحب النزهة على لسان ابن أبي محلى: « فما دار عليّ حول إلاّ و أنا بزاوية سيدي محمد بن مبارك الزعري ، لا عن قصد لكوني إذ ذاك مولعا بالعلم وطريق الفقر.. فبقيت في صحبة شيخي المذكور نحوًا من ثمانية عشرا عاما»[5].

فاعتبر نفسه من مريديه وتحمس في الدفاع عنه ، منطلقا من مقولة القسطلي الشهيرة : « قيل لي اجعل الألوهية نصب عينيك، والنبوءة تاجا فوق رأسك، و الولاية تحت قدمك، وقل لا عليك »، وقد استهل رسالته بمقدمة فيما يجب على السائل والمسؤول والمنتقد ، وتعريف الدعوة والدعاة وأحكامهما، و أخذ في تحليل رسالة الخروبي جملة جملة مشهرا بأخطائه الصارخة في المباحث الصوفية كما أشرنا، وبتحامله السافر على الشيخ القسطلي، و أنهى رسالته بخاتمة اشتملت

(*). **الشيخ أحمد بن عبد الله السجلماسي** : المعروف بابن أبي محلى، كانت ولادته سنة 967هـ/1560م ينتمي إلى عائلة أولاد قاضي التي اشتهرت بسجلماسة، ادّعى النسب الشريف حيث أورد أن عائلته تنحدر من العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم . لجأ إلى تدعيم حركته العسكرية ضد السلطان السعدي المولى زيدان عن طريق الأخذ والمناداة بالمهد وية، مات في معركة جليز بالقرب من مراكش عام 1022هـ/1613م. للمزيد انظر كتاب **ابن أبي محلى الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخربت** لعبد المجيد القدوري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1991، ص 39-68.

(1). محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 171.

(2). حبيب وداعة الحسناوي: **أبو عبد الله محمد الخروبي**، ص 293.

(3). محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 239.

(**). **الشيخ محمد بن لمبارك الزعري**: من رجال القرن 10هـ، من قبيلة عرب بالمغرب، يقال لها زعير، كانت له زاوية تحمل اسمه، دفين تساورت على الطريق الذاهبة من الرباط، توفي سنة 1006هـ/1598م، انظر **نزهة الحادي** للإفراني، ص 202.

(4). محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 171.

(5). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 202.

على ثلاثة أبواب، الأول في التماس العذر للخروبي لكونه لم يعرف الشيخ أبي عمرو القسطلي عن كثب، والثاني في جملة قضايا أخطا فيها كثير من الفقهاء والفقراء، والثالث في معنى التجريد والتفريد [*] عند الصوفي، وهذه مقتطفات من رسالة ابن أبي محلى كما أوردها محمد حجي في كتابه ، حيث انتقد الخروبي في حديث الخشية فقال : « وأمّا قولك: أتقاكم لله أشدّكم له خشية الحديث، فهو صحيح حق نفسه، وإنّم ا أنت الذي أوردته في غير محلّه، فإنّ الطرق إلى الله تنحصر في سبيلين وإن كانت شتّى، إمّا مع السلوك وثمرته التقوى، أو مع الجذب وثمرته المحبة، ولكل منهما آداب وشروط مذكورة في الوضاح [**] وغيره من كتب الصوفية رضي الله عنهم. فهلاّ طالعت تصانيفهم قبل أخذك في الردّ على لسان الحق وقلب الحقيقة بالقرب أيها المسكين! حتى سلط الله عليك من يعلم حقيقتك وهو المعروف بك لتكون لمن خلفك آية !؟ » [1].

وهنا تبرز لنا الحملة الشرسة التي شنّها ابن أبي محلى على الخروبي ، متهما إياه بجهل سبل الطريق إلى الله، والآداب والشروط التي يجب أن تتوافر في السالكين لهذا المنهج ، وعن عبارة الخروبي التي يقول فيها : « إن كنت من أرباب الجذب[***] الذين غايتهم البهتة فقد أخرسهم وأبكمهم عن تعبير الحال وكشف المقال ، وغيرة عليهم وهم عارفون بكشفه وبيانه ! أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده» [2].

ثم عتب ابن أبي محلى بهذه العبارات الحادة الساخرة : « قلت: هذا بهتان عظيم وغلط صراح في الحقيقة وتخبط في الطريقة، وذلك بأن أقول: قولك أنّ أرباب الجذب غايتهم البهتة من أين لك هذا؟ وأيّ دليل يقوم على ذلك؟ ثم لم تقنع بذلك حتى أخرستهم وأبكمتهم وذلك خلاف المشهود ؛ من أرباب الجذب من أول الزمان إلى آخره. بل أقول: هم أكثرية الصوفية كلاما وأشدهم كشفا للحقائق، وأسرعهم إلى الدعوة حتى نسب جلّهم وأجلهم إلى الخوارق، وحتى كفروا وفسقوا واختلفت فيهم الآراء، ما هذه السنة أيقظك الله ؟! وأمّا قولك: أنّ أرباب الجذب غايتهم البهتة فهو تحكم منك عليهم، وحصر لما لابدّ عليه الحصر، أوما علمت أنّ الجذب سبيل الوصول فقط؛ وليس بمنزل ينتهي إليه ؟! بل هو عبارة

---

[*]. **التجريد والتفريد:** التجريد هو خلو قلب العبد وسره عمّا سوى الله، بمعنى أن يتجرد بظاهره عن الأعراض وبباطنه عن الأعواض، وهو أن لا يأخذ من عرض الدنيا شيئا، ولا يطلب عما ترك منه عوضا من عاجل ولا آجل،بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعلّة غيره، ولا لسبب سواه ويتجرد سر ه عن ملاحظة المقامات التي تخلها الأحوال التي ينازلها، بمعنى السكون إليها والاعتناق بها. والتفريد أن يتفرد عن الأشكال، وينفرد في الأحوال، ويتوحد في الأفعال وهو أن تكون أفعاله لله وحده، فلا يكون فيها رؤية نفس ولا مراعاة خلق ولا مطالعة عوض، ويتفرد في الأحوال، فلا يرى ل نفسه حالاً بل يغيب برؤية محولها عنها وينفرد عن الإشكال فلا يأنس ولا يستوحش منها، انظر: **معجم مصطلحات الصوفية** لعبد المنعم الحفني، ص 41-46.

[**]. **الوضاح:** من جملة تآليف ابن أبي محلى الصوفية.

[1]. محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1،ص 171.

[***] **الجذب:** و تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة لكل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة منه ولا سعي . وهي حالة إنتشائية لا يتسنى بلوغها لكل المريدين، إنها درجة في البحث الطويل من المعرفة النهائية، انظر :عبد الرزاق الكاشاني : **معجم اصطلاحات الصوفية**، تحقيق: عبد العال شاهين، ط1، دار المنار ، القاهرة، مصر 1992، ص 65.

[2]. محمد بن سعيد المرغني: **العوائد المزرية بالموائد**، ج2،ص 493.

عن طي المنازل حتى يقطعها السالك ؛ بأدنى تكلفة كلمح البصر أو هو أقرب .. ثم المجذوب[*] بلتفاق الصوفية. لابد له من التدلي [**]، وإلاّ كان ناقصا لا يهتدى بحقائقه، ولا يقتدى بطرائقه لعدم سلوكه ورسوخه، و أنت حصرته في البهتة وهم يقولون بلسان واحد : هذا بهتان عظيم»، وكل هذا لم يشف غليل ابن أبي محلى فخصص فصلا خاصا في أسباب الجذب وأقسامه وأحكامه عند الصوفية، تنكيتا على الخروبي ودحضا لأقواله [1].

ولكن على الرغم من تحمسه الشديد ودفاعه الكبير عن القسطلي، فإنه يظل محل شك من حيث النزاهة العلمية والحياد [2] لعدّة إعتبارات منها:

01- القول بالمهدوية : التي كانت أبرز جانب في شخصيته الغامضة، فقد قال الفقيه أبو العباس أحمد التواتي أحد أتباعه: « ذهبت إليه وجلست عنده مدة ؛ إلى أن وجدته يشير إلى نفسه بأنه المهدي المعلوم المبّشر به في صحيح الأحاديث، فتركته وراء ونبذته في العراء »[3]، ويؤكد صاحب النزهة ا دّعاء ابن أبي محلى بأنه المهدي المنتظر في موضع آخر، إذ يقول: « وادّعى أنه المهدي المنتظر وأنه بصدد الجهاد، فلستخف قلوب العوام فتبعوه... » [4].

02- عدم معرفته لكل من الشيخ الخروبي والقسطلي: وعدم معاصرته لهما، ولهذا كان الأولى أن يلتمس العذر لنفسه، لا إلى الخروبي الذي عرف الشيخ أبي عمرو بالمعاصرة والمقابلة والمجاورة، لذلك يفترض أن لا يسوّ غ لنفسه الرّد على الخروبي وهو لم يعرفه بل لم يعاصره أصلاً، وأن ينصّب نفسه مدافعا عن القسطلي، وهو لم يعرفه ولم يلتق به [5].

03- تقاعسه عن آداء واجباته الدينية وتسرعه في التعجيل لقضاء أموره الدنيوية: إذ يشير صاحب النزهة أن ابن أبي محلى، دخل في حوار مع أحد أصحابه وهو ابن أبي بكر حول القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنصحه صاحبه بأن الوقت ليس مناسبا، وأن شروط تغيير المنكر لم تتوفر بعد، لكنه أبى وأصرّ على رأيه ، ثم ذهب كل واحد منهما إلى حال سبيله، أمّا صاحبه فقد وفّق فيما عزم عليه فأدى فرائضه، وفشل هو فيما عزم عليه وضيّع فرائضه إذ يقول: « فأمّا ابن أبي بكر فانطلق ذاهبا إلى ناحية النهر يغسل ثيابه ؛ وأزال شعثه بالحلق، وعمّر أوقاته بأوراده وأدّى صلواته في أوقاتها وأمّا ابن أبي محلى فتقدم لما همّ به من الحسبة ؛ فوقع في شر وخصام ؛ وأفضى به الحال وأدّ اه إلى إخراج الصلاة عن

---

[*]. **المجذوب:** هو من إرتضاه الحق تعالى لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهره بما قدسه، فحاز المنح والمواهب، ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب، ويعرفه البعض قائلا : « غنه الرجل الذي وصل إلى الزمن النفسي حيث يفقد التوازن بين الروح والمادة وحيث تنجذب ال روح لله»، انظر **السيرة البوبكرية** لخليفة بن عمارة، ص 106، **ومعجم مصطلحات الصوفية** لعبد المنعم الحفني، ص 236

[**]. **التدلي:** هو نزول المقربين، ويطلق بإزاء نزول الحق إليهم عند التداني، انظر **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي** للدكتور: رفيق العجم، ص 171.

[1]. محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج1، ص 172.

[2]. محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 239.

[3]. الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 204.

[4]. الإفراني: **المصدر نفسه**، ص 205.

[5]. محمد حسين القذافي: **المرجع السابق**، ص 239.

الوقت، ولم يحصل على طائل.. »[1]، إذ يقرّ ابن أبي محلى لأحد أتباعه عقب دخوله مراكش، معترفا له قائلا: « رمنا أن نجبر الدين فأتلفناه »[2]، وما يزيد عن ذلك قول أحد شيوخ مراكش ؛ أبو العباس أحمد المريدي المراكشي عن ابن أبي محلى بعد مقتله : « قام طيشا ومات كبشا »[3].

ثانيا– أسئلة الشيخ عمر بن عبد الوهاب وأجوبة الخروبي:

تتجلى ملامح الحراك الفكري للشيخ أبو عبد الله محمد الخروبي ؛ في أجلى معانيها و أسمى صورها، في كتابه الذي يحمل عنوان " أجوبة الخروبي"، الذي يتضمن ردودا له على جملة من الأسئلة والتساؤلات ، التي أرسلها إليه أحد علماء المغرب الأقصى، وهو الشيخ أبو حفص سيدي عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسني الساكن بجبل العلم[*]. وهو أحد رجال القرن 10هـ/ 16م؛ الذي قال فيه المهدي الفاسي في الممتع : « السيد الشريف العامل أحد أحفاد القطب الكبير عبد السلام بن مشيش[**] منبع الطريقة الشادلية، وكان متينا في الدّين صليبا في الحق، قوّالا لا يخاف في الله لومة لائم»[4].

ووصفه أيضا في التحفة بالشيخ الولي الكبير ، وقال عنه الشيخ محمد الخروبي في شرح الصلاة المشيشية : « السيد العابد الصالح الزاهد سنّي الطريقة، الباحث على تحقيق رسوم الحقيقة، الجبل الثابت ، البحر الصامت »[5].

وقد جاءت ردود الشيخ محمد الخروبي في مجملها كأجوبة على عشرة أسئلة رئيسة، تتعلق بقضايا ومسائل في التصوف تتخللها استفسارات وتساؤلات فرعية رافقت كل سؤال رئيس؛ سنحاول الوقوف عندها:

---

(1). الإفراني: **نزهة الحادي**، ص 204-205.

(2). الإفراني: **المصدر نفسه**، ص 208.

(3). الإفراني: **المصدر نفسه**، ص208.

(*). **جبل العلم**: يقع وسط قبيلة بني عروس، بين شفشاون وتطوان، قريب من مدينة فاس، وهو مركز صوفي كبير، انظر **الحركة الفكرية** لمحمد حجي، ج1، ص 463.

(**). **عبد السلام بن مشيش**: من كبار المتصوفة ، قطب المغرب ، يتصل نسبه بإدريس الثاني، ينتمي إلى قبيلة بني عروس، أخذ الطريقة الصوفية عن عبد الرحمن الزيات، قتل من قبل أصحاب ابن أبي الطواحن الكتاميدّعي النبوة بالمغرب أنذاك، ودفن بموضعه بجبل الأعلام بثغر تطوان سنة 622هـ/1226م، انظر **الطريقة الشادلية وأعلامها** لمحمد أحمد درنيقة، ص 16.

(4). المهدي الفاسي: **مخطوط ممتع الأسماع** ، ص 147.

(5). المهدي الفاسي: **مخطوط تحفة أهل الصديقية**، ص 131.

– **الرد الأول:** تناول فيه كرامات القطب التي أشار إليها الشيخ أبو الحسن الشادلي [*]، حيث بدأ الخروبي حديثه أولا بتحديد ماهية القطبانية؛ باعتبارها أعلى مقامات الولاية الكبرى ، ومقام الخلافة الجامعة التامة ، ومنبر النيابة وكرسي المبايعة، كما قدّم تعريفا للقطب [**]، إذ يقول: « القطب هو الوارث المحمدي الفرد الجامع ؛ الذي عليه مدار الولاية الكبرى، قلبه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو محلّ نظر الله تعالى ، وخليفته في بلاده وأمينه على عباده .. ». وبعدها حدد بعض الخصائص التي يجب أن تتوافر في القطب من : عقل وخلق وعلم، وحلم وعفو وصدق وأمانة، وعفة وعدل وزهد، وتواضع وصبر وشكر، وجود وشجاعة وحياء، ومروءة وتودد ووفاء [1].

ثم توقف عند كرامات القطب التي حصرها في نقاط من بينها:

* العصمة: التي يريد بها الحفظ الإلهي والعصمة الربّانية، فلا يتجاوز صدًا ولا ينقض عهدا، ملتزما بالهيبة والوقار متمسكا بلجام الشرع.

* الخلافة: التي يتوارثها الأقطاب الربّانيون؛ قطب من قطب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالقطب خليفة بالخلافة النبوية، إذ يقول: « قد بايعته الأرواح وانقادت له الأشباح؛ فجلس على كرسي الخلافة... ».

* مدد حملة العرش أي أنّ القطب العارف يمدّه الله تعالى بما مدّ به حملة العرش ، من القرب والقوة؛ فهو « حامل عرش الأكوان كما أن الملائكة حملة عرش الرحمن».

* مكاشفة حقائق الذات: وهذا الكشف هو المعبّر عنه بالشهود التام، فيتجلى الله سبحانه وتعالى لمرآة الروح ؛ فيشاهد من غير تكييف ولا تشبيه، ولا إحاطة ولا مقابلة.

* إتيان الحكم والفصل: بين الوجودين، السابق وهو الوجود الروحاني في موطن الأرواح، واللاحق وهو الوجود الصوري. فالقطب ألزم بالحكم والفصل بينهما؛ كون عِلمه محيط، فهو العَ لم المحيط بكل علم، والمراد هنا بالإحاطة : إحاطته علم المقربين[2] وغيرها من الكرامات.

---

[*]. **أبو الحسن الشادلي**: (1196م/1258م): المولود ببلدة غمارة القريبة من سبتة ، تلميذ وخليفة عبد السلام بن مشيش، ارتحل إلى بلدة شاذلة القريبة من تونس فعرف منذ ذلك الحين بالشادلي وعرفت طريقته الصوفية بالشادلية، ظل الشادلي في جهاده ودعوته إلى أن توفي سنة 656هـ، وهو في طريقه لآداء فريضة الحج، فدفن في برية عيذاب في واد على طريق الصعيد، انظر **الطريقة الشادلية و أعلامها**، ص 15-21.

[**]. **القطب**: عبارة عن رجل واحد، هو موضع الله تعالى من العالم في كل زمان ، ويسمى بالغوث أيضا، بإعتبار إلتجاء الملهوف إليه ، وهو خلق على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ويسمى أيضا بقطب العالم، وقطب الأقطاب، والقطب الأكبر، وقطب الإرشاد، وقطب المدار، انظر **معجم مصطلحات الصوفية** لعبد المنعم الحفني ، ص 217-218.

[1]. محمد الخروبي: **مخطوط أجوبة الخروبي**، ص 03-04.

[2]. محمد الخروبي: **المصدر نفسه**، ص 04-08

– **الردّ الثاني:** توقف فيه عند قول القطب سيدي أبي الحسن : « ليلة أخذت الميراث من جدّي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذني جدّي الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وجعل أصبعه في سرتي وأدارني على رأسه »، حيث أشار الخروبي أنّ أخذه الميراث عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه دلالة على أنّ الأمر عظيم والشأن خطير، متوارث عن رسول الله ، وارث عن وارث إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمقامات القطبانية متوارثة عنه صلى الله عليه وسلم، فالمقام المحمدي جامع للمقامات لقوته و اتساع باطنه، ثم تفرقت في غيره، فالشيخ ورث عن جدّه أوفر نصيب فولايته لا يتمارى فيها أحد، أمّا قوله : « أخذني جدّي الحسن بن علي رضي الله عنهما وجعل أصبعه في سرتي و أدارني على رأسه »، فالذي يتبادر إلى الذهن ويتصور في العقل، أنّه لما كان الحسن رضي الله عنه أول أقطاب هذه الأمة؛ فلا يكون قطب بعده من الأقطاب إلاّ ويكون له فيه تصر ف، وعليه يد وتربية في الباطن والظاهر ، فتصرف الشيخ وإدارته على رأسه إشارة إلى إحاطة المفعول به بالأكوان، لهذا كان قلب العارف العالم الأكبر لا نطوائه على حقائق جميع العوالم فهي منضوية في خزانة من خزا ئنه، لأن الأقطاب ينظرون بالنور الإلهي، ولمن سواهم بحسب النيابة، إلاّ أن كشف الأقطاب أتم وأعم [1].

– **الرد الثالث:** شرح فيه الخروبي قول أبي الحسن رضي الله عنه : « من أراد عزّ الدّارين، فليخل معي نفسين ومن خلا معي نفسين أمّنته في الدّارين »، فأشار أن صحبة الأولياء ، تفيد الخير الكثير في الزمان اليسير، وفي إخباره دعوة لصحبتهم ، والنفس هنا عبارة عن جزء يسير جدا من المدة الزمانية ، والمراد بالدّارين: الدنيا والآخرة، فعزّ الدنيا بالإيمان والمعرفة وعزّ الآخرة بالصفاء والمشاهدة، ثم بيّن سر قوله : « فليخل معي نفسين»؛ فرتب حصول العزّ على الخلوة [*] معه نفسين، والمراد بالخلوة : الانقطاع إليه ظاهرا وباطنا، وتفريغ القلب والإقبال عليه ؛ فبهذا تحصّل الفوائد وتجنى الثمرات ويحقق المبتغى [2].

– **الرد الرابع:** استفسر منه الشيخ أبو حفص عن قول أويس القرني [**] رضي الله عنه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما رأيتم من رسول الله إلاّ ظلّه، وقالوا: ولا ابن أبي قحافة »، فقال سيدي أبي الحسن رضي الله تعالى عنه : « صدق أويس رضي الله تعالى عنه »، فأجاب الخروبي بقوله أن حقيقة رسول الله صلوات الله عليه، سر لطيف من أسراره تعالى، لا يطّلع عليها إلاّ الربّ جلّ جلاله، فحقيقته أحمدية من السر المكنون، والأمر المصون؛ الذي انفرد الله

---

[1]. محمد الخروبي: **مخطوط الأجوبة** ، ص 08-11.

[*]. **الخلوة:** عند الشادلية هي نوع من الإعتكاف الذي مارسه الأنبياء و الرسل وأصل مدّتها ثلاثون يوما، انظر **الطريقة الشادلية وأعلامها**، ص 49-50.

[2]. محمد الخروبي: **مخطوط الأجوبة**، ص 16-17.

[**]. **أويس القرني:** (ت 37هـ/657م) أبو عمرو بن عامر بن جزء بن مالك المرادي، القدوة الزاهد، الناسك سيد التابعين في زمانه، أصله من اليمن، سكن القفار والرمال، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره قط، وفد على عمر بن الخطاب، ثم سكن الكوفة ، وشهد وقعة صفين مع علي رضي الله عنه، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها سنة 37هـ، انظر **الأعلام** للزركلي،ج2، ط15، دار العلم، بيروت ، لبنان، 2002، ص 32.

تعالى به، وما أدرك المؤمنون منه أي ظاهر صورته المحمدية ، وهو الذي عبّر عنه أويس القرني بالظل، ثم بيّن أن المؤمنين متفاوتون في إدراكهم بحسب القرب منه، وأعظمهم إدراكا له الخلفاء الأربعة لشدّة قربهم منه صلى الله عليه وسلم ، ولما اختلفت مقاماتهم اختلف إدراكهم، فكلٌ أدرك من الرسول حقيقة توافق مقامه؛ وهو ما أشار إليه أبو الحسن الشادلي فعليٌ كان مقامه إدراك نفس الرسول صلى الله عليه وسلم [1] وعثمان إدراك قلبه، وعمر إدراك عقله ، وأبا بكر إدراك روحه. إن السر في تباين إدراك كل واحد فيهم، يعود إلى أنّ كلاً منهم أدرك الحقائق وفق ما يقتضيه مقامه وحاله، فعليٌ رضي الله عنه لما كان الغالب عليه علم الشرائع، وكان حاله الانبساط [*]، فهذا يقتضي إدراك نفس من أورث العلوم منه وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنّ الانبساط من كمال النفس ، وعثمان رضي الله عنه لما كان حاله التفكر في العلوم كان حاله يقتضي إدراك قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن القلب شأنه التفكر، وعمر رضي الله عنه لما كان حاله التدبر في العلوم كان حاله يقتضي عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنّ العقل شأنه التدبير، وأبو بكر رضي الله عنه لما كان الغالب عليه علم الحقائق وكان حاله الا نقباض عليها؛ كان عليه إدراك روح رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنّ الروح من شأنها الانقباض على العلوم الحقيقية [2].

– **الرد الخامس:** عن قول القطب أبي العباس المرسي [**] رضي الله عنه :« والله ما صار الأولياء والأبدال من قاف إلى قاف، إلاّ حيث يلقوا واحدًا مثلنا فإذا لقوه كان يغنيهم »، ثم قال :« ما من ولي كان أو هو كائن إلاّ وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله»، فذكر الشيخ الخروبي أنّ قوله:« ما صار الأولياء والأبدال [***] من قاف [****]

---

[1]. محمد الخروبي:**مخطوط الأجوبة**، ص 17.

[*]. **الانبساط**: من البسط والبسط للعارف بمنزلة الرجاء، والإنقباض من القبض والقبض بمنزلة الخوف، والبسط والقبض حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف و الرجاء، انظر **الرسالة القشيرية** لأبي القاسم عبد الكريم القشيري، ج1،ط1،شركة القدس للتجارة، القاهرة، مصر،ص 306.

[2]. محمد الخروبي: **مخطوط الأجوبة**، ص 18.

[**]. **الشيخ أبي العباس المرسي**: هو أحمد بن عمر الأندلسي الأنصاري المالكي، قطب وقته وخليفة الشادلي على أصحابه من بعده، وهو أجل من أخذ عنه الطريق، لم يضع رضي الله عنه كتبا، وكان يتحدث في سائر العلوم، من أقواله : « شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه »، بلغ من زهده أنه مكث بالإسكندرية 36 سنة ما رأى وجه حاكمها، وكانت وفاته سنة 686هـ/1286م حيث دفن بمسجد الإسكندرية، انظر **طبقات الشادلية** لأبي علي محمد الفاسي المغربي، ط2، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ص 61-63.

[***]. **الأبدال**: سمّوا الأبدال لأنهم بدّلوا خلقا بعد خلق، وصفّوا تصفية بعد تصفية، كلما مات أبدل الله مكانه رجلا، ومن الأبدال 300 شخص على قلب آدم، لكل واحد منهم من الأخلاق الإلهية 300 خلق، و 40 شخصا على قلب نوح، و07 على قلب الخليل، و 05 على قلب جبريل، و03 على قلب ميكائيل، و01 على قلب إسرافيل، و10 على قلب داوود، انظر **معجم مصطلحات الصوفية** لعبد المنعم الحفني، ص 8-9.

[****]. **القاف**: مذكور في القرآن الكريم، ذهب المفسرون إلى أنه الجبل المحيط بالأرض، وهو زبرجدة خضراء، وإنّ خضرة السماء من خضرته، قالوا وأصله من الخضرة التي فوقه، وإن جبل قاف عرق منها، قالوا وأصول الجبال كلها من عرق جبل قاف، وذكر بعضهم أن بينه وبين السماء مقدار قامة رجل، وقيل بل السماء مطبقة عليه، وزعم بعضهم أن وراءه عوالم وخلائق لا يعلمها إلاّ الله، ومنهم من زعم أن ما وراءه معدود من الآخرة ومن حكمها، وأن الشمس تغرب فيه وتطلع منه وهو الستار لها عن الأرض، ويسميه القدماء البرز، انظر **معجم البلدان** لياقوت الحموي، مج4، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 298.

إلى قاف إلاّ حيث يلقوا مثلنا »، أنّ هذا يشير إلى مقام الولاية ورتبة التولية المتوارثة واحدا عن واحد، و أنّ القطب له تصرف في ذلك، فالأولياء والأبدال تحت حكمه ونظره، فهم تحت بيعة قطبانية؛ إذ لا يتولى وليّ أو يتبدل بدل إلاّ بعد لقائه، فإذا لقوه كان المبتغى وحصل المراد والمقصد، أمّا عن قوله: « ما من وليّ كان أو هو كائن إلاّ وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه »، فهو يعبّر عن اتّساع علمه وعموم إطّلاعه، وهذا من الكرامات التي أكرم بها الله تعالى أولياءه، وهذا أمر غير مستغرب في حق الوليّ؛ يستمده القطب الذي أطلعه الله على أسرار خلقه[1].

– **الرد السادس:** جاء توضيحا لقول القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي رضي الله عنه أن العوالم على ثلاثة أقسام، فقد ذكر الشيخ أبو عبد الله محمد الخروبي هذه العوالم قائلا أنّ في عالم الملك حضرة الأفعال، وفي عالم الملكوت حضرة الصفات، وفي عالم الجبروت حضرة عظيمة الذات، فتعريف هذه العوالم كمال، ثم بيّن ذلك فقال: « أن عالم الملك ما ظهر كشمس بأبصارنا إذ هو عالم الاعتبار والنظر، وعالم الملكوت هو ما غاب عن أبصارنا ونشهده ببصائرنا إذ هو عالم التفكر، وعالم الجبروت هو المتوسط مخيّر بين عالمين ، ومن شأنه أن يدرك بالحس والعقل »[2]، وهو ما يذكره صاحب المرآة: « وأمّا الجبروت... واسطة بين الملك والملكوت، كالسفينة بين السماء والماء »، ويضيف قول غيره: « أنّ عالم الجبروت هو أعلى من الملكوت ولهذا سمّي جبروتا مأخوذ من الجبر وهو القهراني ؛ أي العباد مقهورون على إدراك كنهه، فيكون على هذا كعلم الذات، والملكوت كعلم الأسماء والصفات الدّالة على الذات، والملك علم فعله الظاهر الدّال على ما سبق، ويقال الإنسان روح ثم نفس ثم جسم، فالروح عالم الجبروت والنفس عالم الملكوت والجسم عالم الملك »[3]، ثم زاد الشيخ الخروبي عالما رابعا، هو عالم العزّة، أي ما تعزز الله تعالى به؛ فلا يظهر لأحد من خلقه، وهذه العوالم المشار إليها منضوية في باطن الإنسان في حقائقها ولكل منها صفة، فالملك صبغة الزمان والملكوت له صبغة الدهر والجبروت له صبغة السرمد، والعزّة لها صبغة الأمد؛ والأمد لا ابتداء ولا انتهاء له، وهو الوجود المطلق[4].

– **الرد السابع:** بيّن فيه الشيخ أبو عبد الله الخروبي قول الشيخ القطب العارف بالله ، سيدي أبي مدين رضي الله عنه (*): «لا يجلس على رتبة البيعة إلاّ من تمسك بإثني عشر وصف »، فبدأ أولا بتحديد معنى البيعة ؛ حيث أشار أنّ

---

(1). محمد الخروبي: **مخطوط الأجوبة**، ص 18-19.

(2). محمد الخروبي: **المصدر نفسه**، ص 19.

(3). أبي حامد العربي الفهري: **المصدر السابق**، ص 175-176.

(4). محمد الخروبي: **مخطوط الأجوبة**، ص 20.

(*). **القطب أبي مدين شعيب الإشبيلي**(1118م/1197م): سيد العارفين وقدوة السالكين ، الغوث شعيب بن الحسن الأنصاري الأندلسي التلمساني،صوفي مشهور، شيخ أهل المغرب الزاهد، قرأ بفاس على الشيخ ابن حرزهم والفقيه أبي الحسن بن غالب، والشيخ أبي يعزى، قام بتأدية فريضة الحج أين تعرف على الشيخ عبد القادر الجيلاني، إستوطن تلمسان وبجاية ، كثر أتباعه حتى خافه السلطان الموحدي يعقوب المنصور(1184م/1199م)، توفي بأحواز تلمسان سنة 594هـ، فحمل إلى العبّاد مدفن الأولياء، للمزيد انظر: **البستان** لابن مريم، ص 201-210.

المقصود بها مقام الولاية الكبرى الذي تنـلله من بايعته الأرواح ؛ وانقادت له النفوس ومالت إليه القلوب، وصاحب هذا المقام هو وارث لمقام النبوة، ولهذا كان مطالبا بالاتصاف بأوصاف الأنبياء عليهم السلام.

وقد ذكر أبي مدين رضي الله عنه من هذه الأوصاف النبوية ما يتمسك به الوليّ الكامل الذي يستحق الجلوس على رتبة البيعة، فقال يتمسك من آدم بالحزن والسياحة، وأمّا الحزن فهو من أوصاف الولاية، فهو لازم وذكره دائم وشرعه قائم، وعلى ما سلف منه نادم، وأمّا السياحة فأمر مطلوب في حق الوليّ، لا ينفك منها الزاهد، وفائدتها لينتفع بها أهل الأقطار، فالسفر يصلح حاله ويتأتى له الجمع مع الله والقيام بالتكاليف الدينية على أتم وجه، ومن يوسف عليه السلام الأمانة والعفة وهما وصفان عظيمان وخصلتان كريمتان من أوصاف الأنبياء وخصالهم، فالو لي الذي أجلس على رتبة البيعة وجب عليه التمسك بهاتين الخصلتين ويتصف بهما متبعا في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أضاف الشيخ الشوق والصبابة؛ وهما خصلتان لابد لمن أجلس على كرسي البيعة أن يتمسك بهما ، فالشوق يرغب في التلاق وبالصبابة يسير مع السباق، فلو قيل ل لشوق: « أين مسكنك لقال : قلوب المحبين»، ولو قيل للصبابة : « أين قرارك لقالت : قلوب المريدين»، ومن موسى عليه السلام الإخلاص والمناجاة [1]، فهما خصلتان حق على من جلس على رتبة البيعة أن يتمسك بهما، فالإخلاص : عبارة عن تجريد الأعمال من جميع الشوائب ؛ وهو أول منزل من منازل الإيمان، والمناجاة : مخاطبة بين العبد وربّه بحسب مقام العبد ؛ فتقتضي القرب والتخصيص، ويأخذ من محمد صلى الله عليه وسلم العلم والخلق، فالجالس على رتبة البيعة عليه أن يكون ذا علم عظيم وخلق كريم، سالكا في ذلك مسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسلك إخوانه من الأنبياء.

ثم قال الشيخ في نهاية حديثه أن من غابت عنه هذه الأوصاف فمبايعته حرام لعدم الأهلية، فمقام البيعة مقام عظيم لا يجلس عليه إلاّ رجل عظيم، ذوعلم وخلق وإخلاص ومناجاة؛ وشوق وصبابة وأمانة؛ وعفة وحزن وسياحة[2].

– **الرد الثامن:** حدّد فيه الشروط الأربعة التي يجب أن تتوافر في الولي ؛ والتي ذكرها ابن دهاق[*]، وأولها أن يكون عالما بأصول الدين، ويفرق بين الخالق والخلق؛ ويكون على بصيرة من ربّه ، والشرط الثاني أن يكون أيضا عالما بالأحكام الشرعية أصلا وفرعا ونقلا وفهما، فيخرج من التقليد في الأصول والفروع؛ إذ هو متبوع لا تابع ومطاع لا طائع، فما اتخذ الله وليا جاهلا ، والشرط الثالث أن يتخلق بالأخلاق المحمودة التي يدلّ عليها الشرع والعقل، وقد اشترط هذا في هذا الولي لأنه خليفة الله في بلاده ؛ وأمينه على عباده ووارث لمقام الرسالة ، والشرط الرابع أن يلازم الخوف أبدًا سرمدا ؛ ولا

---

[1]. محمد الخروبي: **مخطوط الأجوبة**، ص 23-24.

[2]. محمد الخروبي: **المصدر نفسه**، ص25.

[*]. **ابن دهاق**: أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف، يعرف بابن المرأة ، الفقيه الحافظ ، الإمام المحدث، روى عن أبي الحسن بن حبيش وأبي الحسن علي بن حرزهم، حدّث عنهما بالموطأ وغيره، وعنه أخذ أبو محمد عبد الحق بن برطلة وغيره، له شرح على إرشاد أبي المعالي ، وشرح محاسن المجالس لابن العريب، وله تأليف في إجماع الفقهاء، توفي سنة 611هـ، انظر: **شجرة النور** لابن مخلوف ، ج1، ص 137.

يجد لطمأنينة النفس سبيلا، فإنه لا يحيط علما بأنّه من فريق السعادة في الأزل أو فريق الشقاوة، فالعبد في الجملة ينبغي أن لا يفارقه الخوف في السرّاء والضرّاء، وإن انعدمت أسبابه، وأولى الناس به الولي؛ فهو عبد الحضرة ورئيس المملكة فالجلال يزيده خوفا والجمال يزيده أدبا [1].

– **الرد التاسع:** ومما أجاب عنه الشيخ أبوعبد الله الخروبي « سيرة من ادّعى المشيخة في زمانه وأحواله مع تلامذته ومع غيرهم، وأحوال تلامذته معه وطريقتهم التي اجتمعوا عليها و اصطلاحاتهم ... »، وقد ابتدأ كلامه أولا بالوقوف عند فقراء الوقت؛ الذين أظهروا بينهم دعاوى وكلهم يزعمون الصواب ، حيث قال أنّ إظهار الدعاوى شأن المتلبسين بالفقر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، وغرّتهم الحياة الدنيا، والأعظم من ذلك زعمهم الصواب ؛ فهذا عيب مركب وذنب مضاعف [2].

* توقف عند مقام المشيخة الذي اعتبره أمرا عظيما لا يصلح إلاّ لمن شهد له الشرع ، وكان على منهج قويم وصراط مستقيم، وعلم عظيم وخلق كريم، ومعرفة بالأشخاص وسياسة وخبرة بالبواطن، وفراسة ودراية بالأسفار ، وربّانية جامعا بين الشريعة والحقيقة [*]، العلم مقامه والحقيقة مقامه، والشرع لجامه، نائبا عن الله إن نطق فيه وإن سمع فمنه، وإن جلس فمعه، دائم الاقتداء، لازم الاهتداء....فمن كانت هذه أوصافه بحق له الجلوس على رتبة البيعة.

* أمّا زعم كل فريق في شيخه المتخذ على مقتضى رأيه وقياس عقله، أنه القطب الجامع الوارث الكامل، ذكر الخروبي أن اعتقاد التلميذ في شيخه أمر محمود و اعتقاد كماله أمر مطلق ، شريطة ألاّ يتجاوز الحد إن كان شيخا على الحقيقة، وكان التلميذ صادقا في إرادته، ولذلك يقال : « إن الانتفاع على قدر الاعتقاد »، واعتقاد كمال الشيخ أمر واجب، ولكن لا يحكم له بمقام من المقامات ؛ لأن ذلك أمر ظنّي غير قطعي ، كمقام القطبانية الذي لا يعرفه إلاّ من كشف الله تعالى من خواص الكاملين، وأهل البداية لا يطّلعون على مقامات الأولياء، فمن خاض في الأمر بغير علم فقد تجاسر على مراتب الأولياء، وخاض فيما لا يعنيه.

ثم بيّن الشيخ محمد الخروبي أن المتبوع إذا كان يعلم أنه ليس بالمنزلة التي ظنّ تابعوه أنّه فيها؛ فلا ينبغي أن يتركهم على خطأهم واغترارهم، ويتوجب عليه أن ينبههم ويزيل عن قلوبهم ذلك الوهم ، كما توقف عند قول الشيخ أبي حفص أنهم: « انطلاقا من حسن ظن المريد بشيخه أظهروا للناس من العام والخاص بإيهام الأحوال وصريح الأقوال ؛ وجمعوا الخلق عليهم من النساء والرجال وسيقت لهم الرقاب والأموال »[3]، حيث أشار الخروبي أن هذه الأمور كلها منافية

---

[1]. محمد الخروبي: **مخطوط الأجوبة** ، ص 28-29.

[2]. محمد الخروبي: **المصدر نفسه**، ص 30-31.

[*]. **الشريعة**: هي الظاهر من الدين وهي الباب الذي يدخل منه الجميع، والحقيقة هي الباطن الذي لا يصل إليه إلاّ المصطفون الأخيار من الأولياء.

[3]. محمد الخروبي: **مخطوط الأجوبة**، ص 32-33.

لأحوال الفقراء الصالحين؛ وأهل الصدق من السالكين، فالفقير قلبه متعلق بالله وسره مع الله وروحه في حضرته، وجوارحه مشغولة بأوامره ولا يخطر بباله إلاّ الله .... فالكون عنده مرفوض والسوء عنده مبغوض، فأنّى يوصف بما وصف به فقراء هذا الزمان، الذين جمعوا الخلق وسيقت لهم الأموال والرقاب .... وقد حرّم الشرع ذلك، إذ أنّ جمع الأموال بسبب ظهور دعوة أو حالة محرم، كما قال الإ مام الغزالي ومالك وغيرهم، فمن أ شرّ الناس من أكل الدنيا بالدين، ومما استفسر عنه الشيخ أيضا: « هل يحل لأحد أن ينصب نفسه لرتبة المشيخة ورتبة القطبانية من غير استحقاقها وإذن من أربابها أم لا »، فأجابه الخروبي أن هذا مما لا يختلف في عدم حلّيته، وكيف لأحد أن يدّعي رتبة لا يستحقها أو مقاما ليس أهلا له سيّما مقامات الولاية ورتبة القطبانية.

فمن ادّعى ذلك من غير أن يكون أهلا لذلك ؛ فيخاف عليه العقوبة في الدنيا والآخرة ، ولابد له من النصيحة للنجاة من سوء الخاتمة، ومن ادّعى رتبة الكمال دون أن تكون ل ه الأهلية فهو فرعوني الأخلاق، ومن ادّعى رتبة من الرتب فهو مكلف بإقامة الدليل على صدق دعواه ويقام عليه ميزان الشرع ، ثم أشار أنّ الكثير من الناس وقع في الخطأ وسلم لكلّ مدّع دعواه، فالحق أن يسلم لمن كان مستقيما في ظاهره و ادّعى أمورا باطنة تصح معها دعواه، ومع هذا لا يسلم له على الإطلا ق فيما ادّعاه من الأمور الباطنة ، إلاّ ما كان موافقا لحاله الظاهر عليه على غرار التقوى والورع والزهد؛ والتوكل والمراقبة؛ والمشاهدة والمعرفة، فهذه كلها أحوال باطنة ..... لذلك لا يسلم لمدعي مقاما إلاّ إذا تحقق فيه وتحلى بحلية أهله ، وهذا الحكم جارٍ فيمن ادّعى المشيخة أو ميراث القطبانية، فلا يحلّ لمن لم يكن من أهل المقامات أن يدّعي مقاما منها، وإن ادّعى مقاما منها فلا يسلم له فيما ادّعاه من مقام؛ إلاّ إذا تحقق فيه وظهرت عليه دلالته ولاحت عليه أمارته [1].

– **الرد العاشر:** ومما سأل عنه الشيخ أبو حفص أيضا؛ قوله: « هل يجوز لأحد ينسب نفسه إلى حالة الإرادة من غير معرفة الإرادة ومن غير علم وتقوى، بل لمجرد الطبع والهوى أم لا يحل ذلك ولا يجوز؟»، فأجاب الشيخ الخروبي أن دعوتهم الإرادة؛ من غير معرفة لها ومن غير علم ولا تقوى بل لمجرد الطبع والهوى ، فلا يختلف اثنان بأنه لا يجوز ولا يحلّ، لأن مدّعي ذلك ادّعى ما ليس له به علم ولا هو أهل له، وإذا كان أهل الصدق في الإرادة لا يدّ عونها مع علمهم بها وبأحكامها واستحقاقهم لها، فكيف لهؤلاء أن يدّعوها وهم ليسوا أهلا لها ولا علم لهم بها.

لذلك فأيّ مدّع لهذا المقام أقيم عليه الميزان وطولب بإقامة الدليل على صدق دعواه، ثم أكّد أن المريد لا يكون مريدا حتى يكون عالما بأحكام الإرادة ومعناها، فإن كان كذلك يصدق في دعواه ا لإرادة، ولما رأى الخروبي جهل أهل الزمان بالإرادة وأحكامها، بيّن ذلك ليكونوا على بصيرة، فبد أ بتعريف الإرادة قائلا أنها: « تعلق القلب بمقصود معلوم وذلك

[1]. محمد الخروبي: **المصدر نفسه**، ص 33-34.

المقصود بحسب قصد المريد، فكل مريد بحسب قصده »، وهذا لتباين المقاصد على اختلاف القصد، فحدد ثلاثة أقسام: مريد يطلب حقائق قلبه، ومريد يطلب الاستشراف على حقائق نفسه، ومريد يطلب حقائق مقامه في قرب ربّه. ومهما اختلفت المقاصد؛ فإن المرامي واحدة وهي الوصول إلى حضرة الله القدسية، والقرب منه والفوز بمعرفة الله ، وهذا حتى يتم تحقيق المراد الأعلى والمقصد الأكمل ، وهو الظفر بالمكالمة والمخاطبة والمحادثة ، ثم بيّن أحكام الإرادة بشروطها وآدابها، فلمّا شروطها فقد حددها بقوله : « توحيد صحيح وعلم صريح وصحة عقد، ووجود جدّ ولزوم عهد والوقوف عند الحدّ، فيكون للأوامر فاعلا وللمناهي تاركا، صاحب تقوى وورع ، وكلما زاد في الإرادة زاد في المقامات، ولابدّ للمريد من شيخ كامل مستحق لرتبة البيعة، يعينه على مقصده وبلوغ مراده »[1]. ثم توقف عند آدابها ومنها:

- العزلة عن الناس وترك ما لا يعني.
- الإنشغال بهمة في التحفظ من الهفوات في أقواله وأفعاله.
- محاسبة النفس وإقامة الميزان عليها صباح مساء.
- ترك الإخوان الذين عرفهم في زمان بطالته، والأماكن التي ألفها قبل إرادته.
- أن يتخذ إخوانا صالحين، وليقصد بيوت الله والأماكن التي يأوي إليها عباد الله، وغيرها من الآداب [2]، كما أجاب الخروبي على استفسارات فرعية كثيرة رافقت كل سؤال رئيس من هذه الأسئلة.

ثم ختم الخروبي ردوده متواضعا مقرّ ا بالعجز والتقصير: « وما كان جوابنا لكم عمّا س ألتم إلاّ إسعافا لكم فيما طلبتم، وموافقة لكم فيما سألتم ، مع إقرارنا بالعجز والتقصير، وإنّي في هذه العلوم ذو باع قصير وليس لي فيه حظ قليل ولا كثير.....الأجوبة وصلى الله على مولانا وصحبه وسلّم تسليما.»[3].

إنّ الأسئلة التي تلقاها الشيخ أبو عبد الله محمد الخروبي، والأجوبة التي ردّ بها على سائليه تجسد ملمحا من ملامح حراكه الفكري، كما أنها تعكس جانبا من جوانب كفاءته واقتداره وسعة علمه؛ وتكشف لنا شهرته الكبيرة وصيته الذائع في سائر الأقطار المغاربية؛ كما لم نحرير وفقيه فذ، اشرأبت الأعناق إليه وانقادت النفوس إليه لتلقي العلم منه والجلوس بين يديه؛ والأخذ بنصحه وتوجيهه، فقد أسالت آرائه الجريئة الكثير من الحبر وفتحت الباب واسعا للنقاش ، والجدل والدراسة وتبادل الأفكار، ما أسهم بحق في خلق جو من التفاعل الثقافي بين علماء بلاد المغرب في تلك الفترة وما تلاها، رغم أن الكثير منها لم يحظ بالتدوين، لذلك شكلت إسهاماته بحق إحدى مؤشرات التفاعل الثقافي ؛ ودلائل التواصل الفكري

---

[1]. محمد الخروبي: **مخطوط الأجوبة**، ص 35-36.
[2]. محمد الخروبي: **المصدر نفسه**، ص 36-37.
[3]. محمد الخروبي: **المصدر نفسه** ، ص 53.

التي زادت في تعميق وتمتين أواصر العلاقات العلمية والفكرية بين الفئات المغاربية المثقفة ، والتأسيس لعلائق ثقافية قوامها الأخذ والعطاء في ظل وجود آليات وقنوات الاتصال، خاصة مع استمرارية تنقلات العلماء بين أقطار بلاد المغرب .

إنّ النشاط الفكري والسياسي الذي قام به الشيخ محمد الخروبي أسهم في مدّ جسور التو اصل وتوثيق عرى الترابط، وتوطيد الصلات بين بلدان المغرب العربي ، فسهولة اختراقه للمجال الجغرافي وكثرة تنقلاته بالدواخل ، مكّنته من احتلال مكانة علمية راقية وسمعة طيبة ، وموقعا متميزا وشأوا كبيرا، باعتباره من كبار الفقهاء والمتصوفة، فمطارحاته العلمية ومناقشاته الكلامية وحواراته الفكرية ، وفتاويه الدينية ونصائحه ووصاياه التهذيبية؛ ونشره للفكر الشادلي ، وشدّة تمسكه بالاحتساب وتغيير المنكرات ومحاربة الا بتداع؛ كان له الأثر الإيجابي على المناخ العلمي السائد، حيث أثارت الكثير من القضايا الصوفية والمسائل العقدية التي طرحها جدلا حاميا زادت حدّته وضراوته، ونقاشا واسعا فتح الباب على م صراعيه للردود والمناقشات، وحركت الأقلام للتأليف، فلنتعشت بذلك الحياة الفكرية والعلمية في ظل التأثير والتأثر ؛ والأخذ والعطاء؛ أي التفاعلات والتآثرات الثقافية ، ما أعطى للحراك الصاعد حيوية وديناميكية زادت في استمرارية العلاقات الثقافية، والا متداد المجالي لتلك الشبكة العلمية ، وإحداث نسق تضامني فكري واضح المعا لم بين النخب العالمة لبلاد المغرب، الذي يمثل وحدة حضارية متكاملة، فالتاريخ مشترك واللغة واحدة والمذهب واحد، والخصائص متماثلة والا نتماء واحد، ما أدّى إلى اندماج وتلاحم ثقافي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

تميزت الأوضاع العامة لأقطار بلاد المغرب طيلة القرن 16م؛ بالتأزم السياسي وحالة اللاستقرار، نتيجة الانقسامات والفتن الداخلية؛ وتسلط الأعراب واندلا ع ثورات هددت كيان الأنظمة القائمة [ثورة حجاج ويحي السويدي بليبيا]، كما عرفت المنظمة عدم استقرار للسلطة السياسية بسبب الصراع والتنافس على الرئاسة، يضاف إلى ذلك الغزو الايبيري لسواحل ومدن الشمال الافريقي، ما مهد السبيل لمجيء الأتراك العثمانيين، الذين لم يسطّروا أيّة سياسة لإحداث تغييرات في الأنظمة المحلية؛ للمناطق التي انضوت تحت لوائهم وخضعت لحكمهم ، هذه التحولات السياسية كان لها أسوأ الأثر على مختلف الأنشطة الا قتصادية، من زراعة وصناعة وتجارة ؛ فاضطربت بذلك جميع المظاهر الاقتصادية التي أصيبت في الصميم، وقد نجم عن هذا الوضع تردي و انحطاط الحياة الثقافية؛ التي عرفت تراجعا وجمودا فكريا و انهيارا حضاريا، حيث غلب الجهل وتفشت السذاجة وانتشر الفكر الخرافي؛ والإيمان بالغيبيات إذ نسجل:

- تراجعا نوعيا للإنتاج الفكري وانحصار العلم في مجال الدين ؛ حتى أصبح العا لم والمثقف يجترّ أعمال من سبقوه بتقييدها وشرحها.

- النزعة المحافظة التي أفضت إلى تراجع العلوم العقلية، والنزعة الأصولية التي ارتكزت على تقليد السلف الصالح.

- ذاتية الثقافة المغاربية ؛ نظرا لغياب سياسة تعليمية خاصة، ولطبيعة الحكّام العثمانيين الذين لم يولوها أدنى اهتمام فكانت مسؤولية تثقيف المجتمع يتكفل بها الخواص (لم يكن لهم رصيد حضاري يقدمونه للشعوب الخاضعة لهم).

- أنّ مواد التدريس ومناهجه كانت تنحصر في رواية الشروح والمختصرات ، التي وضعت على المصادر كمختصر خليل في الفقه المالكي، وألفية ابن مالك في النحو وصحيح البخاري في الحديث....

- أنّ التصوف أصبح في هذه الفترة سمة بارزة وظاهرة عامة ببلاد المغرب، حيث أصبحت الثقافة ممزوجة بالاتجاه الصوفي . وإذا كان بعض المتصوفة قد ساعدوا على تدهور الفكر المغاربي بما نشروه من أفكار هدّامة ؛ فإن البعض الآخر قد عمل على إرساء ونشر تعاليم الإسلام.

وعلى الرغم من ذلك فقد توصلنا من خلال هذا البحث المتواضع ؛ إلى استنتاجات قد لا تعكس لنا في الكثير من الأحيان حقيقة الواقع الثقافي السائد، من خلال تسليط الضوء على حراك النخب العلمية المغاربية، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

* أنّ الأقطار المغاربية كانت تزخر بحشد كبير من العلماء والفقهاء؛ الذين عرفوا بنبوغهم العلمي، إلاّ أنّ الاضطرابات أرغمت أعداد كبيرة منهم إلى الهجرة.

* أنّ الحراك الفكري ارتبط بهذه النخبةمن العلماء؛ التي تركت بصماتها في شتى العلوم والمعارف والفنون.

* الصلات الوطيدة لعلماء المغرب بالمراكز العلمية والمؤسسات التعليمية؛ فقد كانوا في تنقل وحركة دؤوبة، قبلتهم مراكز الإشعاع الفكري والعلمي (الزيتونة، القرويين، تلمسان...).

* أنّ مراكز النشاط العلمي في بلاد المغرب التي لم تتوقف عن العطاء حتى في أحلك الفترات ؛كانت تمثل مظهر من مظاهر التعاون والتكامل؛ في كثير من المجالات السياسية والإجتماعية والفكرية والروحية.

* أنّ أهم عامل من عوامل الحراك الفكري للنخب، هو العامل السياسي (عدم الاستقرار، التهديد الخارجي، مناهضة الأنظمة القائمة، النفي.....).

* المكانة المتميزة التي احتلها العلماء في المجتمع المغاربي ؛ رغم أنّهم لم يشكلوا فئة اجتماعية متلاحمة، فقد تقلدوا مناصب هامة في القرويين، فاس، مكناس، الزيتونة.....

* أنّ الهجرات البينية بين أقطار بلاد المغرب ظلّت متواصلة؛ إذ لم تحل هذه الصراعات دون استمرارية حركية هذه النخب العلمية ومزاولة نشاطها.

* أنّ هذا الحراك الفكري كان أكثر ديناميكية بين علماء الجزائر والمغرب ، حيث ظلت الحركية متواصلة مقارنة بتونس وليبيا، التي عرفت تراجعا معتبرا خلال هذه الفترة.

* أنّ الحراك الفكري بقدر ما هو نضال النخب العلمية ؛ فإنّه في المقابل يمثل ينابيع وقنوات تتسرب منها الأفكار وتنتشر عن طريقها المعارف.

* رواج مصنفات العلماء الجزائريين في الكثير من الأقطار المغاربية على غرار مؤلفات عبد الرحمان الأخضري ؛ ومؤلفات السنوسي في العقيدة، والتي شكلت عاملا من عوامل التقارب والتواصل في ظل استمرارية حراك النخب.

* أسهم الحراك الفكري في توطيد وتقوية وشائج العلاقات الثقافية المغاربية ؛ فقد شكّل العلماء جسر تواصل وتآصر بين أبناء المنطقة عامة وبين نخبها على وجه الخصوص.

* حراك النخب العلمية كان له دور بارز في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية، فقد كان العلماء بمثابة أساطين وركائز علمية ومكتبات متنقلة ودوائر معارف.

* أثبت الحراك الفكري للنخب أنّ العلم لا يعرف حدودا جغرافية ؛ ولا جواجز سياسية؛ من شأنها منع الاتصال بين النحب العلمية لأقطار بلاد المغرب، وأنّ التيّار السائد هو تيّار الثقافة.

* أنّ علماء بلاد المغرب كانوا يشكّلون مدرسة واحدة متكاملة، يتبادلون في ظلها العلوم والفنون ومختلف المعارف.

* قامت هذه النخب بحراك ديبلوماسي تجلّى بالتدخل في الشؤون السياسية؛ و التوسط لحلّ الكثير من الأزمات والقضايا العالقة، كما حدث مع الشيخ عبد الواحد الونشريسي؛ الذي كان له اليد البيضاء في توقيع معاهدة الهدنة بين السعديين والوطّاسيين، والتي وضعت نهاية مؤقتة لأوزار الحرب القائمة.

* كان لحراك هذه النخب من العلماء دور في إذكاء روح الجهاد لدرء الخطر الأجنبي الداهم، كما فعل شيوخ الطريقة الجزولية؛ الذين استنفروا الجماهير وجمعوا الحشود في موقعة وادي المخازن عام 1578م.

* عالجت هذه النخب العلمية في ظل مزاولة نشاطها الكثير من القضايا الاجتماعية ، التي شغلت بال المجتمع المغاربي (من خلال الفتاوى، الأسئلة، والردود...).

* إنّ الحراك الفكري للعلماء ساعد على إرساء ونشر تعاليم الإسلام والحفاظ على السنة السمحة، ومحاربة الابتداع.

من النخب التي جسدت وحدة الحقل الثقافي المغاربي ؛ الشيخ أبو عبد الله محمد الخروبي من خلال حراكه الفكري الذي ساعد على إرساء دعائم وأسس التواصل، والذي استوقفنا عند جملة من النقاط نوجزها فيما يلي:

01- ما أحدثته شخصية الشيخ الخروبي من تواصل ونشاط علمي، عبر مختلف أقطار بلاد المغرب العربي؛ فقد كان بحق حلقة وصل وجسر تآصر بينها.

02- كان للشيخ إشعاع ثقافي واسع في ظل حراكه الفكري ؛ تجلّى في حلقات العلم ومجالس المناظرات ، ونتاجه العلمي وردود الفعل المختلفة تجاه آرائه الجريئة ؛ من علماء ومفكرين مغاربة، كاتبهم في مساجلات مشهورة حفظتها بعض المؤلفات والمصادر التاريخية.

03- مساهمة الشيخ أبو عبد الله محمد الخروبي في إرساء دعائم الحكم العثماني بالجزائر من خلال حراكه الديبلوماسي (وفادته إلى المغرب)، وتسخير فكره وقلمه لخدمة الطريقة الزروقية الشادلية.

04- الحظوة الكبيرة والمكانة المرموقة التي نالها الشيخ الخروبي في ظل استقراره بالجزائر، حيث كلفه الأتراك بالوفادة مرتين إلى المغرب في مسألة ترسيم الحدود ، والسفارة لا تسند إلاّ لذوي الصيت الذائع والباع الكبير ؛ والشهرة من العلماء والفقهاء.

05- إن لم يستطع الخروبي تحقيق النجاح المطلوب في حراكه الديبلوماسي ، فإنه نجح في خلق تواصل ثقافي علمي. حيث اهتم الناس بمساجلاته وآرائه الجريئة؛ وردّ عليها عدد من فقهاء المغرب وعلمائه.

06- أنّ محاورات ومساجلات الفقيه الخروبي امتدت عبر العصور المتعاقبة ؛ حيث تناولت بعض من المصادر أخباره ورسائله، وعقّبت على ردوده بالتحليل والدراسة ، من ذلك " رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس"، التي ناقشها

بشيء من التفصيل الحسن اليوسي(ت 1690) في كتابه "مشرب العام والخاص من كلمة الإ خلاص"، ورسالة أحمد ابن أبي محلى في الردّ على آراء الفقيه الخروبي (مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط).

07- أنّ الغاية السامية والهدف النبيل لم يتحقق مع الأسف، ويتجلى حسب اعتقادنا في الاستمرارية والإ سهام بشكل فعّال في إعادة ربط شرق المغرب العربي بغربه، أي تجسيد مشروع الوحدة المغاربية الذي ظل حلما يدغدغ آمال ومشاعر المجتمع المغاربي، وبالتالي توحيد صفه وقواته ضد الأخطار التي تهدده من الخارج ، ولعل هذا ما يفسر تكليفه على رأس الوفادة بلسم السلطان العثماني في حراكه الديبلوماسي، لاستكمال إلحاق المغرب الأقصى بدول الشمال الإفريقي.

انطلاقا مما تقدم نستشف :

- وجود علاقات ثقافية بين النخب العلمية المغاربية، ميزها الترابط والإنفتاح على بعضها البعض ، رغم الجو السياسي المشحون.

- أنّ وضع الثقافة المغاربية لم يكن يختلف كثيرا عمّا كان سائدا في هذا العصر؛ مقارنة بأقطار العالم العربي الإسلامي.

- أنّ العلاقات الثقافية بين الأقطار المغاربية؛ لم تتأثر بالعلاقات السياسية المتوترة في بعض الأحيان.

- أنّ التواصل الثقافي يعدّ ركيزة من الركائز القاعدية للتعاون المثمر؛ وعاملا من عوامل الازدهار الاقتصادي والاجتماعي.

- خطل مزاعم القائلين بأنّ المجتمع المغاربي مستهلك للثقافة المشرقية، فالثقافة المغاربية ذاتية أصيلة متأصلة، لها رجال فطاحل وعلماء جهابذة وفقهاء أفذاذ، وإن كانت لها امتدادات مشرقية وتأثر بارز بحكم الانتماء إلى الأمة الإسلامية.

هذه الاستنتاجات التي توصلنا إليها تبقى مجرد محاولة متواضعة ؛ للوقوف على حركية النخب المغاربية خلال القرن 16م، ويبقى باب المبادرة مفتوحا والمجال واسعا ورحبا أمام الباحثين والمختصين؛ لسد الثغرات والتصحيح والنقد والدراسة والإثراء، وتسليط الضوء على الكثير من الجوانب الخفية المتعلقة بحراك النخب وأدوارها ؛ في تمتين العلاقات الثقافية بين أقطار بلاد المغرب.

والله من وراء القصد .

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

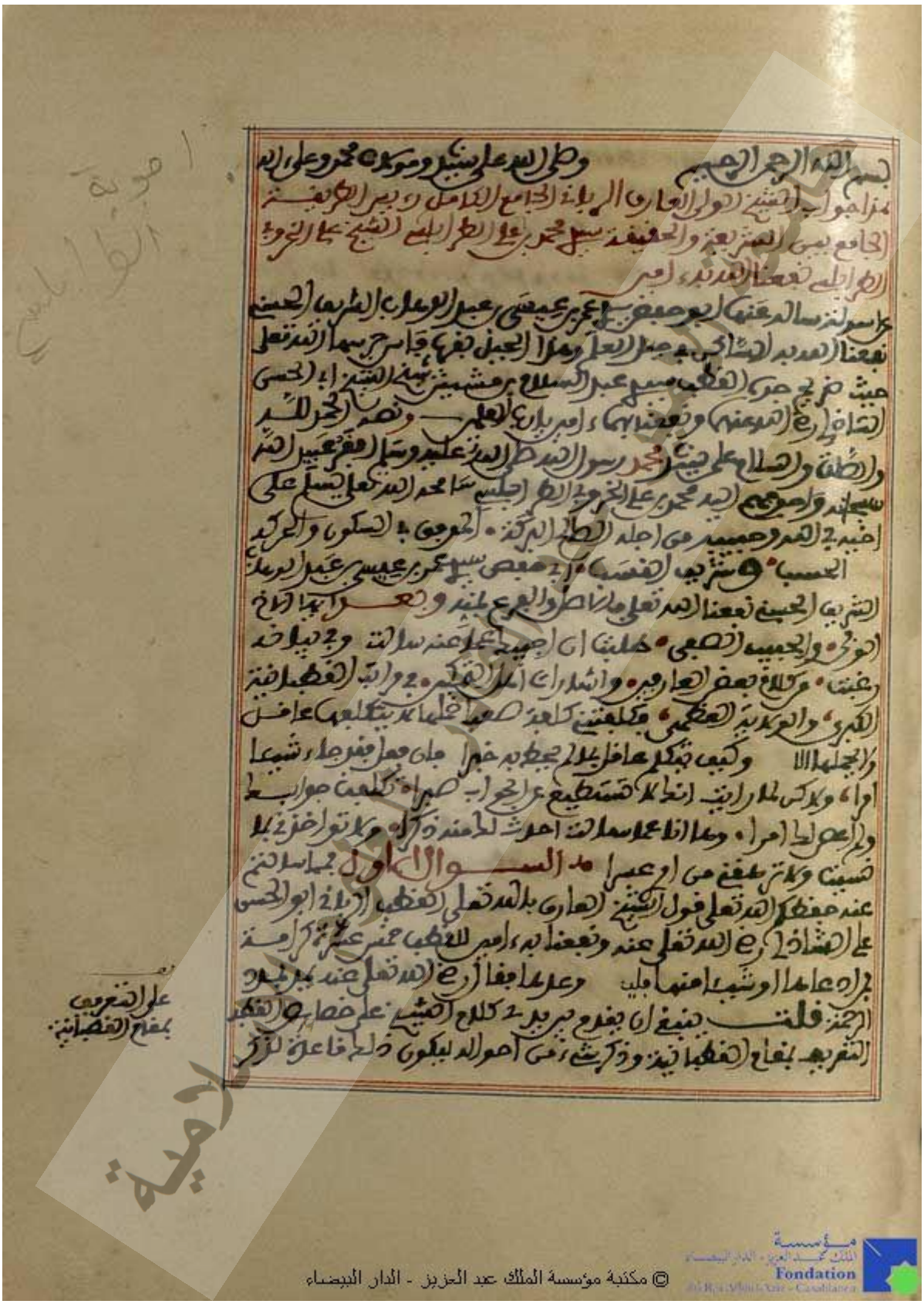
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من مخطوط أجوبة الخروبي: الصفحة الثالثة

مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم (M16.htm-329).

من مخطوط أجوبة الخروبي ، على أسئلة الشيخ أبوحفص بن عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الفاسي

« بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله هذا جواب الشيخ الولي العارف الرباني الجامع ولي الطريقة بين الشريعة والحقيقة سيدي محمد بن علي الطرابلسي الشيخ علي الخروبي نفعنا اله به آمين عن أسئلة سأله عنها أبوحفص سيدي عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسني نفعنا الله به الساكن في جبل العلم بقرب فاس حرسها الله تعالى حيث ضريح جده سيدي عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبي الحسن الشادلي رضي الله عنهما ونفعنا بهما آمين يا رب العالمين ونصه : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفقر عبيد الله سبحانه وأحوجهم إليه محمد بن علي الخروبي الطرابلسي سامحه الله تعالى يسلم على أخيه في الله وحبيبه من أجله الصالح البركة المرفق في السكون والحركة الحسب وشريف النسب أبي حفص سيدي عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسني نفعنا الله تعالى به الأصل والفرع بمنه وبعد أيها الأخ الولي والحبيب الصفي .طلبت أن أجيبك عما أنت عنه سألت وفي بيانه رغبت من كلام بعض العارفين وإشارات أهل التمكين في مراتب القطبانية الكبرى والولاية العظمى فكلفتني كلفة صعبة حملها لا يتكفلها غافل ولا يحملها إلا ...وكيف يتكلم غافل بما لم يحط به خبرا فإن فعل فقد جاء شيئا إمرا ، ولكن لما رأيت أنك لا تستطيع عن الجواب صبرا .تكلفت جوابها ولم أعص لك أمرا وها أنا عما سألت أحدث لك منه ذكرا ولا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا .السؤال الأول : فمما سألتم عنه حفظكم الله تعالى ، قول الشيخ العارف بالله تعالى القطب الرباني أبو الحسن علي الشادلي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين .للقطب خمسة عشر كرامة فمن ادعاها وشيئا منها فلي ...وعدها فقال رضي اله تعالى عنه يمد بمدد الرحمة قلت ينبغي أن يقدم بين يدي كلام الشيخ على خصائص القطب التعريف بمقام القطبانية وذكر شئ من أحواله ليكون ذلك قاعدة لذكرخصائصه.»

الصفحة : 03

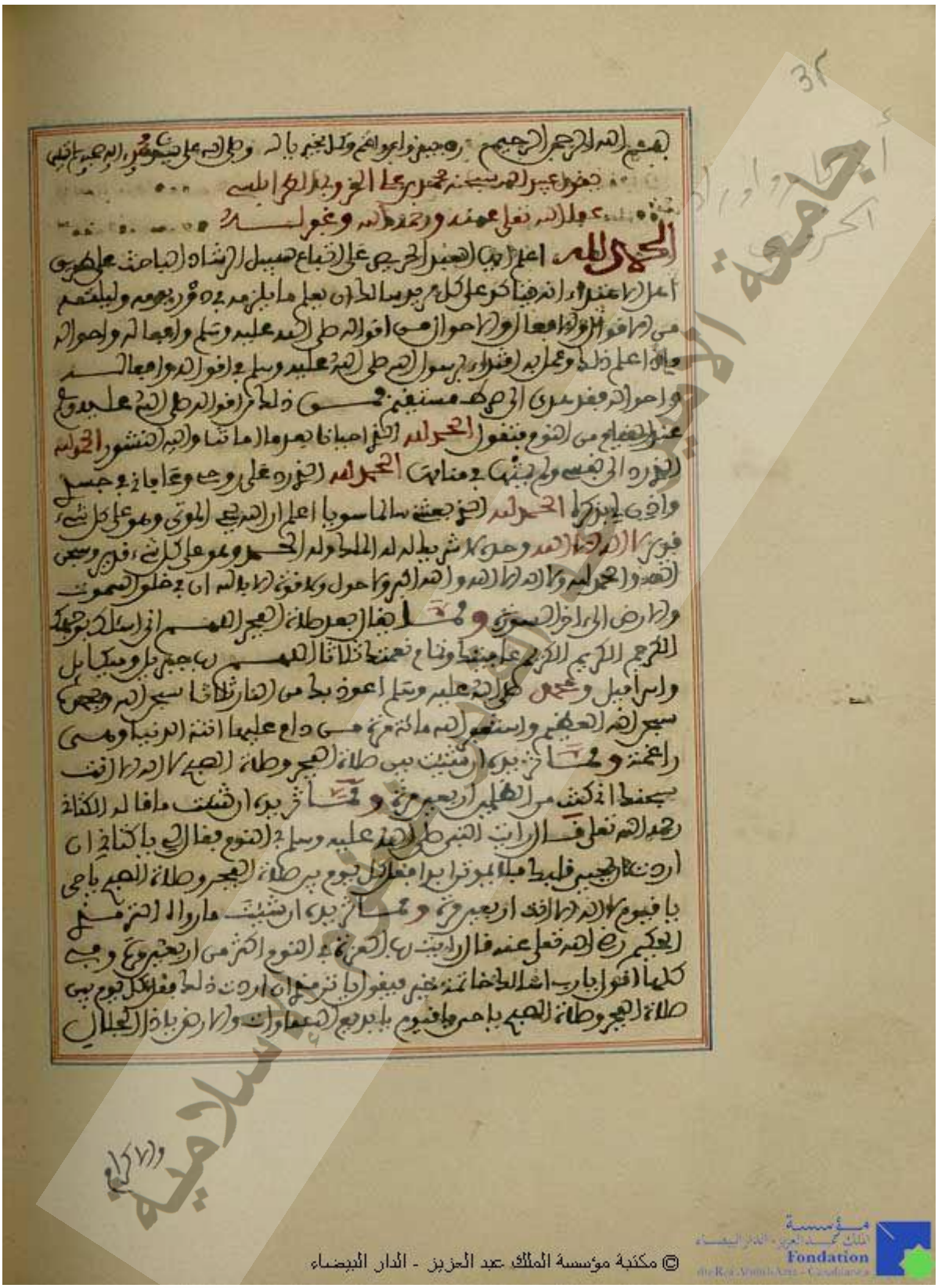
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من مخطوط أذكار وأوراد للخروبي: الصفحة الثالثة

مؤسسة الملك عبد العزيز ، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم(MS 329-M18.htm).

من مخطوط أذكار وأوراد للشيخ أبي عبد الله الخروبي

« بسم الله الرحمان الرحيم رب ..وأعن وأتمم وكمل بخير يالله وصلى الله على سيدنا محمد وآلهة وصحبه وسلم تسليما يقول عبيد الله سبحانه محمد بن علي الخروبي الطرابلسي عفا الله تعالى عنه وغفر له .الحمد لله أعلم أيها العبد الحريص على إتباع سبيل الرشاد الباحث على طريق أهل الإهتداء أنه يتأكد على كل مريد سالك أن يعلم ما يلزمه في دور يومه وليلته من الأقوال والأفعال والأحوال من أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله فإذا علم ذلك وعمل به اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله فق د هدي إلى صراط مستقيم فمن ذلك، من أقواله صلى الله عليه وسلم عند القيام من النوم فتقول الحمد لله الذي أحيانا بعما أماتنا وإليه النشور الحمد لله الذي رد إلي نفسي ولم يمتها في منامها الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره الحمد لله الذي بعثني سالما سويا أعلم أن الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده لا شريك لهله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إن في خلق السماوات والأرض إلى آخر السورة ومما يقال بعد صلاة الفجر اللهم إني أسألك بوجهك الكريم الكريمالكريمعافيتك وتمام نعمتك ثلاثا اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار ثلاثا سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأستغفر الله مائة مرة من دام عليها أتته الدنيا وهي راغمةومم ا تزيده إن شئت بين صلاة الفجر والصبح لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أربعين مرة ومما تزيده إن سئت ما قاله الكتاني رحمه اله تعالى قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا كتاني ’ن أردت أن يحيي قلبك فلا يموتن أبدا فقل كل يوم بين صلاة الفجر وصلاة الصبح يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت أربعين مرة ومما تزيده إن شئت ما رواه الترمذي الحكيم رضي الله تعالى عنه قال رأيت رب العزة في النوم أكثر من أربعين مرة وفي كلها أقول أسألك خاتمة خير فيقول يا ترمذي إن أردت ذلكفقل كل يوم بين صلاة الفجر وصلاة الصبح يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام »

الصفحة :03

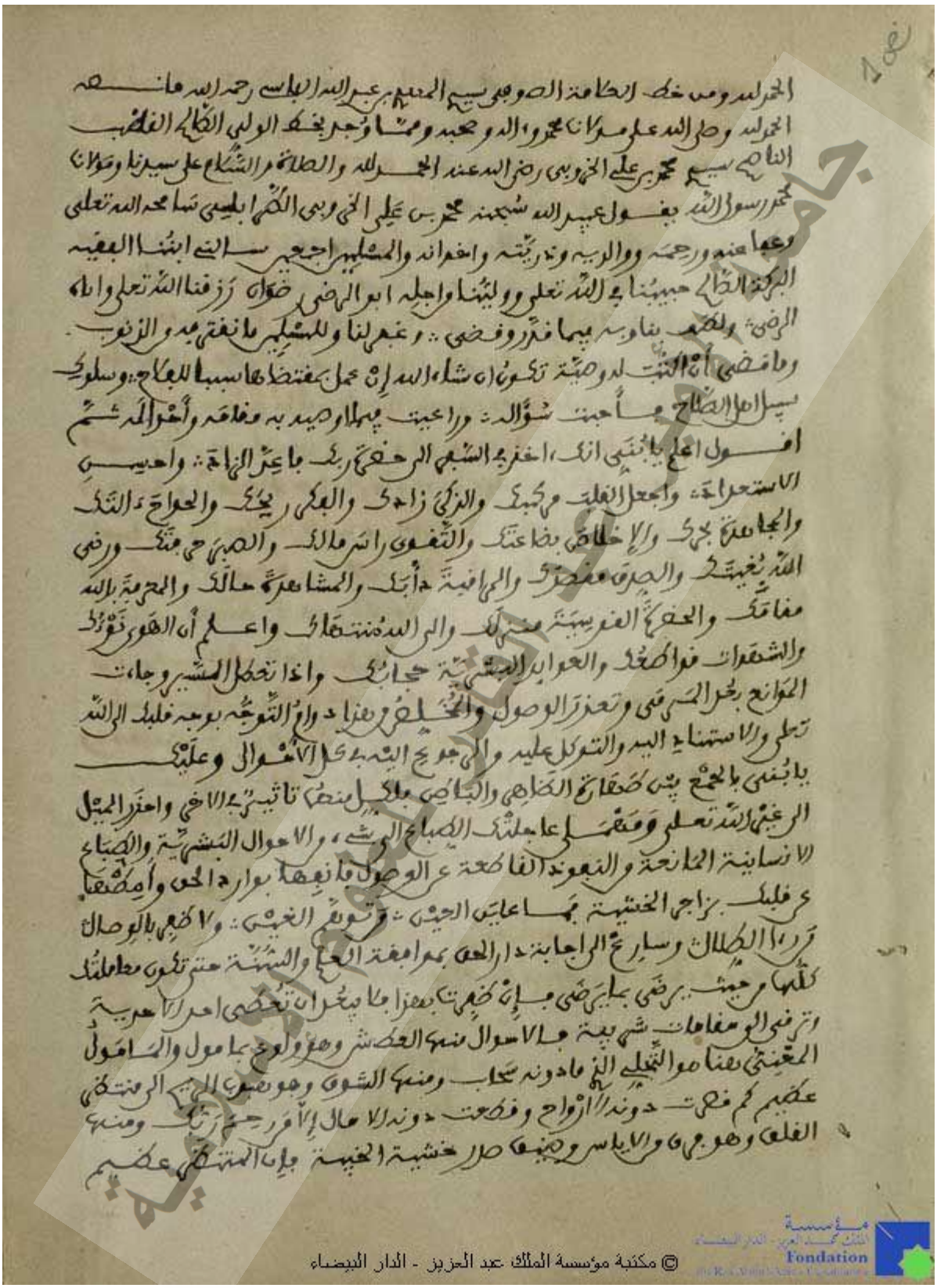

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من مخطوط وصايا ونصائح محمد بن علي الخروبي الطرابلسي و أبو الحسن علي الحرالي و أبو الحسن الشاذلي: الصفحة الثالثة.

وصايا الشيخ الخروبي لتلميذه أبو النعيم سيدي رضوان الجنوي.

«الحمد لله ومن خط العلام ة الصوفي المهدي بن عبد الله الفاسي رحمه الله ما نصه : الحمد لله وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه .ومما وجد بخط الولي الصالح القطب الناصح سيدي محمد بن علي الخروبي الطرابلسي سامحه الله تعالى وعفا عنه ورحمه الله ووالديه وذريته وإخوانه والمسلمين أجمعين سألني إبننا الفقيه البركة الصالح حبيبنا في الله تعالى وولينا من أجله أبو الرضى رضوان رزقنا الله تعالى وإياه الرضى، ولطف بنا وبه فيما قدر وقضى . وغفر لنا وللمسلمين ما نقترفه من الذ نوب وما قضى أن أكتب له وصية تكون إن شاء الله إن عمل بمقتضاها سببا للفلاح وسلوك سبيل أهل الصلاح فأجبت سؤاله وراعيت فيما أوصيه به مقامه وأحواله ثم أقول : يا بني إنك آخذ في السفر الى حضرة ربك فأعد الزاد وأحسن الإستعداد، واجعل القلب مركبك والذكر زادك والفكر ريحك والحرام دالتك والمجاهدة بحرك والإخلاص بضاعتك والتقوى رأس م الك والصبر حرفتك ورضى الله بغيتك والصدق مقصدك والمراقبة دأبك والمشاهدة حالكوالمعرفة بالله مقامك والحضرة القدسية منزلك والى الله منتهاك واعلم أن الهوى نوءك والشهوات قواطعك والعوائد البشرية حجابك وإذا تعطل المسير وجاءت الموانع بحرى المرقى وتعذر الوصول المخلص من هذا دوام التوجه بوجه قلبك الى الله تعالى والاستناد إليه والتوكل عليه والرجوع إليه في كل الأحوال وعليك يا بني بالجمع بين طهارة الظاهر والباطن فلكل منهما تأثير في الآخر واحذر الميل الى غير الله تعالى ومهما عاجلتك الطباع الى شيء من الأحوال البشرية والطباع الانسانية المانعة من النفوذ القاطعة عن الوصول ، فأنفها بوارد الحق وأمطها عن قلبك بزاجر الخشية .... وترقى الى مقامات شريفة فالأحوال منها العطش وهو ولوع بمأمول والمأمول المعني هنا هو التجلي الذي ما دونه سحاب ومنها الشوق وهو هبوب الريح الى منتظر عظيم كم قصّرت دونه الأرواح وقطعت دونه الآمال إلاّ من رحم ربك ومنها القلق وهو فرق من الإ ياس وضيق صدر خشية الخيبة فإن المنتظر عظيم ».

من مخطوط وصايا ونصائح محمد بن علي الخروبي الطرابلسي وأبو الحسن علي الحرالي و أبو الحسن الشادلي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم(ms296_M1.htm).

الصفحة الثالثة

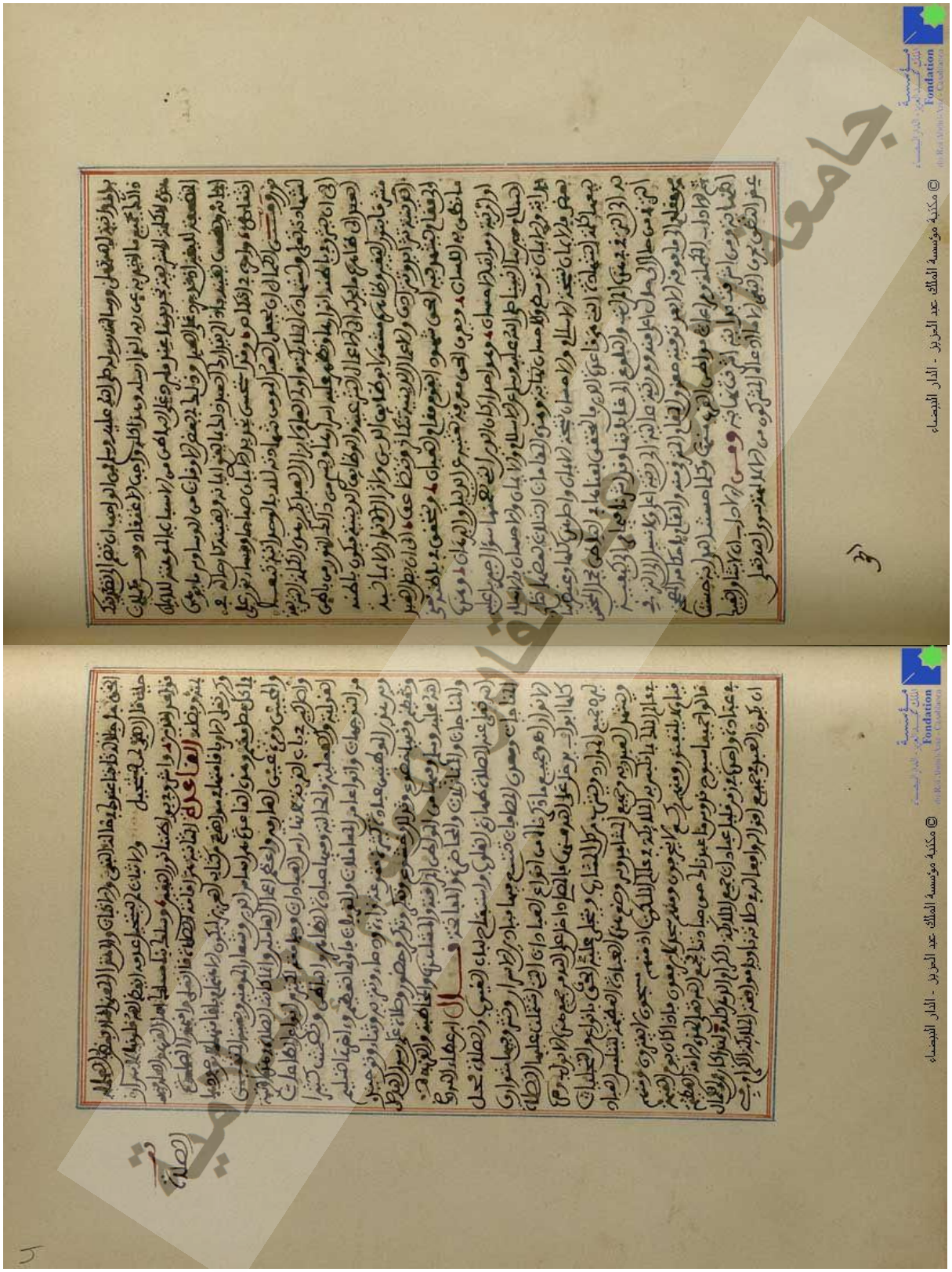
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من مخطوط مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس للخروبي: الصفحة الخامسة والسادسة

مقتطفات من مخطوط مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس للخروبي

" قضية النفي من كلمة الإخلاص"

« بوحدانية الله تعالى ورسالة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن الواجب أن تضم إلى تصديقك ذلك بجميع ما أخبر به عن ربه الذي أرسله وهذا كله من واجب الإعتقاد ومن مكملات هذه الكلمة تجديدها عندما يرد على الباطن من الأسباب الموهنة للإيمان المضعفة لليقين: إذ قد يرد على العبد من ذلك في بعض الأوقات من الوسواس ما يوهن إيمانه ويضعف يقينه، فإذا لم يتدارك العبد ذلك بما يقوي إيمانه ويقينه كان حاله في انتقاص وأمره في إنتكاص وقد أستحسن تجديد الإيمان صباحا ومساءا (**نور على نور**) ومن الكمال أن يجعل العبد المؤمن شهادته لله بالوحدانية تبعا لشهادته تعالى ولشهادة الملائكة وأولي العلم، ولا زال العبد يكرر هذه الكلمة الشريفة إلى أن يشرق في باطنه أنوارها وتظهر عليه أسرارها ويسري من ذلك النور من باطن العبد إلى ظاهر ما يحركه إلى الأعمال السرعية والوظائف الدينية فيكون باطنه مشرقا بنور اليقين وظاهره مشعولا بوظائف الدين ولا تزال الأنوار الإيمانية تترداف، والأعمال الدينية تتكاثر وتتضاعف إلى أن يصل العبد إلى مقام يشهد فيه الحق شهودا يقوم مقام العيان، ويتحقق في باطنه معنى ما نطق به اللسان، ويعرف الحق معرفة تغنيه عن الدليل والبرهان. وهذه أول مرتبة من مراتب الإحسان ، وهو لأحد أركان الدين التي تضمنها سؤال جبريل عليه السلام حين سأل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإحسان نهاية. وهذهالمقومات الثلاث بعضها نتائج، فالإيمان نتيجة الإسلام، والإحسان نتيجة الإيمان، وأصل هذه كلها وعنصر ينابيعها كلمة الشهادة التي قاعدة الدين، فالتحقيق بمعناها في الباطن يحمل المتحقق به إلى الترقي في هذه المراتب والبلوغ إلى غاياتها وقد أشرنا فيما مر إلى كيفية الترقي من حال إلى حال أعلا منه، ومن رتبة حالية إلى رتبة أعلا ولا سبيل إلى الترقي من مقام إلى ما فوقه إلا بعد توفية حقوق المقام المترقى منه والقيام بأحكامه المصححة ثم الآداب المكملة، ومراعاة مواطن القرب منها وكلما حسنت البداية حسنت النهاية ومن أشرقت بدايته أشرقت نهايته. **ومن الآداب ألا يتناول نفيك عند النطق بحرف النفي إلا ما إدعاه المشركون من الألوهية سوى الله تعالى وليكن الحق جل جلاله ثابت عندك في حالة النفي والإثبات وإلى هذا المعنى أشار بعض العلماء حيث قال : النفي لمن يستحيل كونه والإثبات لمن يستحيل عدمه. أيقظ الله قلوبنا لأسرار قواعد الدين وأشرق في بواطننا نور اليقين ، وسلك بنا مسلك أهل القرب والعارفين بمنه وفضله »**

الصفحة : 05-06

رسالة الولي الصالح سيدنا ووسيلتنا سيدي محمد بن علي الطرابلسي الخروبي بعث بها إلى الشيخ أبي عمر القسطلي المراكشي .

« من العبد الفقير إلى رحمة مولاه إلى من تكلم في حالة الطفولية ، وإدعى البلوغ قبل إنفطامه وقال بلإشد قبل الكهولة ، وأتى بالإشارة قبل كلامه المغلوب عليه الملعوب به ، من تعد طوره ولم يعرف قدره ، الفاني عمره في الإستدراج ، وقال رجعت من السفر ولم يعرف المنهاج ، إن كنت فيما إدعيت صادقا فأنت عبد حال لا محالة وإن كنت كاذبا فقد بؤت بالخسران إذ رب حال ملك الوجود ولم يملكه . وتصرف فيه ولم يقلقه ورفع همته عنه ولم يشغله، قد بان لنا منك أن ما إدعيته لم تكن له أهلا بمن حيث فرحك بحالك وسكونك إلى إشارتك وتفويهك بما تتلمع وتتلمح من البوارق واللوامع والتخيلات هيهات هيهات ، متى مت حتى حييت ، ومتى غبت حتى حضرت؟ لكن هذا حال أهل الجرأة المدعين ما ليس لهم ، خلفاء مسيلمة (يحسبون أنهم على شيء ألا ’نهم هم الكاذبون) ويحك ، هل اتاك آت بحسن الخاتمة أو ببراءة الأمان ؟ لوكان هذا يكون لما قال : (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) .

ويا عجبا لجهول سعى في حتف أنفه و (إتخذ إلهه هواه وأضله الله على) طريقه ، وأين غاب عنك (وما تكون في شأن ، وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) وقوله (وهو القاهر فوق عباده) وهو (شديد العقاب) (وهو شديد المحال) تالله لوخسيته لما إدعيت ما ليس لك لو خفته .لكنت له أشد خشية "أتقاكم لله أشدكم لله خشية "الحديث وقال: (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) وأين أنت من جبريل وميكائيل. إذ قال لهما " فلا تأمنا مكري " القصة بطولها .

ليس هذا حال أرباب المكنة والدراية، إن كنت من أرباب الجذب الذين غايتهم البهته فقد أخرسهم وأبكمهم عن تغير الحال وكشف المقال غيرة م نه عليهموهم عارفون بكشفه وبيانه (أولئك الذين هدى الله فبهداهم إقتده) وإن كنت من أرباب المعاملات الذين غايتهم المواصلة والمحادثة فقد حفظهم بسر الإستقامة والمتابعة (إنا نحن نزلنا الذكرى وإنا له لحافظون)، وإن لم تكن من الفريقين فدعواك باطل وأنت مستدرج مغرور هالك تبور.....والكلام كثير والنية لجامة والقصد الإختصار والسلام على من ينصف الحق ولم يتعد طوره إنتهت بحمد الله سبحانه».

من كتاب:العوائد المزرية بالموائد لمحمد بن سعيد المرغتي ،ج2،ص 492-496.

إجازة الشيخ محمد شقرون بن هبة الله الوهراني لمحمد بن عسكر الشفشاوني

يقول **ابن عسكر** في كتابه :

« وأجازني في جميع مروياته وكل ما تحمله وذللك سنة تسعة (كذا) وستين وتسعمائة. ونص الإجازة الأولى هو هذا : الحمد لله أجزت الفقيه، الوجيه المحترم النزيه، الحسيب الأصيل ذا الأصل الصميم ، والنسب الفاضل العميم، العلم الحجة القاضي الأعدلأبو عبد الله محمد بن سيدي علي عسكر جميع مروياتي وكل مسموعاتي عن أشياخي تغمدهم الله برحمته وأسكنهم فسيح جنته ، فليرو عني ما رويت ، وليحدث بما سمعت ، على شرط الإجازة ووصفها ، إجازة صحيحة ثابتة كما يجب ، والله الموفق، قال ذلك وكتبه اصغر عبيد الله محمد بن شقرون بن هبة الله بن ابراهيم لطف الله به . وأجازني سنة اثنين (كذا) وسبعين في عقائد السيخ السنوسي وشروحاتها ، ومحصل المقاصد للسيخ ابن زكري ، حسبما اجازه في ذلك شيخه ابو عثمان المنوني كما أخذه عن الشيخين بإجازتهما له جملة وتفصيلا. وكنت سألته عن جملة أشياخه سنة ثلاثة (كذا) وثمانين بمكناسة، فقيد لي أسماءهم وعلومهم، إلا أن التقييد خرج عن يدي .توفي رحمه الله في آخر سنة ثلاثة (كذا) وثمانين بفاس »

من كتاب دوحة الناشر لابن عسكر ، صفحة : 117-118.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع المعتمدة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البيبليوغرافيا:

أولا: قائمة المصادر المخطوطة.

01- محمد الخروبي : **مخطوط أجوبة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي** ، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم (329-M16.htm).

02- محمد الخروبي : **مخطوط في السلوك** ، المكتبة الوطنية الفرنسية للمخطوطات، تحت رقم (5627)، موقع الكتروني: gallica.bnf.fr.

03- محمد الخروبي : **مخطوط أذكار وأوراد محمد بن علي الخروبي الطرابلسي** ، مؤسسة الملك عبد العزيز ، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم(MS 329-M18.htm).

04- محمد الخروبي : **مخطوط مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس للخروبي** ، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم(ms329_m17.htm).

05- محمد المهدي الفاسي : **مخطوط تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية و الزروقية** ، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، رقم(ms 299.M2HTM).

06- المهدي الفاسي : **مخطوط ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع** ، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم(ms178-p1.html).

07- المهدي بن عبد الله الفاسي : **مخطوط وصايا ونصائح محمد بن علي الخروبي الطرابلسي وأبو الحسن علي الحرالي وأبو الحسن الشادلي** ، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المغرب، تحت رقم(ms296_M1.htm).

ثانيا: قائمة المصادر المحققة.

01. ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ.

02. ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأ مان، ج2، ط2، الدار التونسية، تونس، 1977.

03. ابن أبي جمعة الوهراني محمد شقرون بن أحمد : الجيش والكمين لقتال من كفّ عامة المسلمين، تحقيق ومراجعة : دار الصحابة للتراث، ط1، طنطا، مصر، 1992.

04. ابن عسكر : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق : محمد حجي، ط 2، الرباط، المغرب، 1977.

05. ابن عظوم أبي القاسم : كتاب الأجوبة، تحقيق وتقديم : محمد الحبيب الهيلة، ج 1، ط 1، مطبعة علامات، قرطاج، تونس، 2004.

06. ابن علي سحنون أحمد بن محمد : الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تحقيق : المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973.

07. ابن عيشون الشراط أبي عبد الله : الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق : زهراء النظام، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، 1997.

08. ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق : الطاهر أحمد الزاوي، ط 1، دار الكتب بنغازي، ليبيا، 2002.

09. ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية في كشف حال من إدّعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

10. ابن قاسم الكوهن أبي علي الحسن إبن محمد : طبقات الشادلية الكبرى المسمى جامع الكرامات العليّة في طبقات السادة الشاذلية، ط2، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005.

11. إبن القاضي المكناسي : جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس،ج 1+ج2، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973.

12. ابن القاضي المكناسي: درة الحجال في أسماء الرجال، ج1+ج2+ج3، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ط. و.ت).

13. ابن القاضي المكناسي : المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق : محمد رزوق، ج 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1986.

14. ابن محمد المغربي محمد بن محمد: بغية الطالبين بما تضمنته أم البراهين، تحقيق: أحميدة عميراوي، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2011.

15. ابن مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج 1+ج2، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، (د.ط.و.ت).

16. ابن مريم: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق : عبد القادر بوباية، ط 1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2011.

17. ابن ميمون محمد : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في الجزائر المحمية، تحقيق : محمد بن عبد الكريم، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

18. ابن يوسف الفهري أبي حامد العربي : مرآة المحاسن من أخبار أبي المحاسن، دراسة وتحقيق : الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، (د.ط.و.ت).

19. الإفراني محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله المراكشي : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق : السيد هوداس، مطبعة مدينة أنجي، 1988.

20. الإفراني محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله المراكشي : صفوة من إنتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 2004.

21. التمجروتي أبو الحسن علي: النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتعليق: سليمان الصيد المحابي، ط1، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1988.

22. التنبكتي أحمد بابا : نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج 1+ج2، ط 1، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ليبيا، 1989.

23. الحضيكي محمد بن أحمد : طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق : أحمد بومزكو، ج 1+ج2، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

24. الحفناوي أبو القاسم: تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق : خير الدين شترة، ج 1، ط1، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2012.

25. الحموي ياقوت: معجم البلدان، مج4، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط.و.ت).

26. الخروبي محمد: مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمسة، دراسة وتحقيق : جمعة مصطفى الفيتوري، ط 1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2002.

27. الروداني محمد بن سليمان : صلة الخلف بموصول السلف، تحقيق : محمد حجّي، ط 2، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2008.

28. السجلماسي عبد الواحد : الإتمام ببعض من لقيته من علماء الإسلام، تقديم وتحقيق : نفيسة الذهبي، ط 1، مطبعة الرباط نت، المغرب، 2008.

29. السراج الوزير: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة، ج 1، القسم الثالث، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970.

30. السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 5، دار الكتاب، الدارالبيضاء، المغرب، 1955.

31. السملالي العباس بن ابراهيم : الإعلام بمن حلّ بمراكش واغمات من الأعلام ، مراجعة: عبد الوهاب إبن منصور، ج5، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1993 .

32. العدواني محمد بن محمد بن عمر : تاريخ العدواني، تحقيق : أبو القاسم سعد الله، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2005.

33.. العياشي عبد الله بن محمد : الرحلة العياشية "ماء الموائد" (1661م-1663م)، مج1، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

34. القشيري أبوالقاسم عبد الكريم بن هوازن : الرسالة القشيرية، ج1، ط1، شركة القدس للتجارة، القاهرة، مصر، 2008.

35. الكتاني محمد: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق : عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2004.

36. الكتاني عبد الحميد بن عبد الكبير : فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمستنسخات والمسلسلات، اعتناء: إحسان عباس،ج1، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1982.

37. المجهول: تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تقديم وتحقيق : عبد الرحيم بنحادة، ط 1، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، 1994.

38. المرغتي محمد بن سعيد: العوائد المزرية بالموائد، تقديم وتحقيق: محمد العربي الشريفي، ج2، ط2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2007.

39. المقري أحمد بن محمد التلمساني : روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق: محمد سالم هاشم، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

40. المنجور أحمد بن علي: فهرسة أحمد المنجور، تحقيق: محمد حجي، (د.ط)، دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، المملكة المغربية، 1976.

41. المهدي محمد الفاسي: الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع، تقديم وتحقيق : عبد المجيد خيالي، ط1، مركز التراث المغربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2011.

42. النائب الانصاري أحمد : المنهل العذب في تاري خ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، ليبيا، (د.ط.و.ت).

43. النائب الأنصاري أحمد : نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1994.

44. الورتيلاني محمد الحسين : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تعليق: إبن مهنا القسنطيني، مج1+مج2+مج3، طبعة خاصة، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

45. الوزان: وصف افريقيا، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1983.

46. اليوسي أبي الحسن علي بن مسعود : فهرسة اليوسي، تحقيق: زكرياء الخثيري، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، 2004.

47. كاربخال مارمول : افريقيا، ترجمة : محمد حجي وآخرون، ج 2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1984.

48. مذكرات خيرالدين، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

49. مقديش محمود: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق : علي الزواري و محمد محفوظ، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

ثالثا: قائمة المراجع باللغة العربية.

01. أعراب سعيد: القرّاء والقراءات بالمغرب، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

02. أنساعد سميرة: الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، الجزائر، 2009.

03. ابن خروف عمار: العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، دار الأمل للطباعة، الجزائر ، 2008.

04. ابن عبد الرحمن رحيم عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517-1798م)، ط1، منشورات المجلة التاريخية المغاربية، تونس، 1882.

05. ابن عبد القادر عبد السلام وآخرون : دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، 1997.

06. ابن عبد الكريم محمد: المقري وكتابه نفح الطيب، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (ب.ط.و.ت) .

07. ابن عبد الكريم محمد : حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1981.

08. ابن علي شعيب محمد : أم الحواضر في الماضي والحاضر- قسنطينة - ، مطبعة البعث، قسنطينة ، الجزائر، 1980.

09. ابن عمارة خليفة: سيرة البوبكرية، ترجمة: محمد قندوسي، (د.ط)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1999.

10. ابن عمر بشير ضيف الجزائري: فهرسة معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مراجعة عثمان بدري، ط2، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007.

11. أبو فارس حمزة: أضواء على جوانب من حياة ليبيا العلمية، (د.ط)، منشورات ألقا، فاليتا، مالطا، 2001.

12. الأرقش دلندة وآخرون : المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجا معي، ميديا كوم، تونس ، 2003.

13. الأرقش دلندة : جدلية التجديد والتواصل في الحياة الفكرية التونسية، من كتاب: الحياة الفكرية في الولايات العربية للأستاذ عبد الجليل التميمي، ج1، منشورات مركز الدراسات، زغوان، تونس، 1990 .

14. الباروني عمر محمد: الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة ماجي، طرابلس، ليبيا، 1952.

15. التازي عبد الهادي: رحلة الرحلات، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، السعودية، 2005.

16. التر عزيز سامح : الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تحقيق: محمود علي عامر، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989 .

17. الترغي عبد الله المرابط : الرحلة الفهرسية نموذج للتواصل، من كتاب : السفر في العالم العربي الإسلامي، ط 1، المغرب، 2003.

18. التميمي عبد الجليل: الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات مركز الدراسات، زغوان، تونس، 1990.

19. الجمل شوقي عطا الله: المغرب الكبير في العصر الحديث، ط1، مكتبةلانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1977.

20. الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج3، (د.ط)، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1980.

21. الزاوي الطاهر: أعلام ليبيا، ط3، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004.

22. الزاوي الطاهر: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004.

23. الزبيري محمد العربي: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985.

24. الزريقي جمعة محمود: تراجم ليبية " دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديما وحديثا "، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2005.

25. الشادلي عبد اللطيف: الحركة العياشية " حلقة في تاريخ المغرب في القرن 17 م "، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1982.

26. الشريف محمد الهادي : تاريخ تونس، تعريب : محمد الشاوش، محمد عجيبة، ط2، سراس للنشر، تونس، 1985.

27. الصغير عبد المجيد : من أجل إعادة تقويم الحدث الصوفي بالمغرب، من كتاب : الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، الرباط، المغرب، 1997.

28. الطويلي أحمد: في الحضارة التونسية، منشورات دار المعارف، سوسة، تونس، (د.ط.و.ت).

29. العجم رفيق: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1999.

30. العروسي محمد: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

31. العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ج3، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، 2007.

32. العسلي بسام: الجزائر والحملات الصليبية (1547-1791م)، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980.

33. العقبي صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2009.

34. القاسمي الحسني عبد المنعم : أعلام التصوف في الجزائر، ط 1، دار الخليل القاسمي، بوسعادة المسيلة، الجزائر ، 2005.

35. القدروي عبد المجيد : المغرب وأوروبا ما بين ق 15م و ق 18م ،ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، 2012 .

36. القدوري عبد المجيد : إبن أبي محلى ورحلته الإصليت الخريت، (د.ط)، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1991.

37. الكاشاني عبد الرزاق : معجم إصطلاحات الصوفية، تح قيق: عبد العال شاهين، ط 1، دار المنار، القاهرة، مصر، 1992.

38. الكعاك عثمان: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 الى 19 م، معهد الدراسات العربية العالية، المطبعة الكمالية، القاهرة، مصر، (د.ط.و.ت).

39. المدني أحمد توفيق : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1792)، ط1 ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

40. المصراتي علي مصطفى : مؤرخون من ليبيا " مؤلفاتهم ومنهاجهم"، ط2، دار الكتب الوطنية ، بنغازي، ليبيا، 2002.

41. المنوني محمد: لقطات من "معيار الونشريسي عن الحياة العلمية في فاس المرينية " من كتاب: التاريخ وأدب النوازل، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، الرباط، المملكة المغربية، 1995.

42. الميلي مبارك إبن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد الميلي، ج4، ط2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011.

43. اليوبي لحسن: الفتاوى الفقهية في أهم القضايا في عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، (د.ط)، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1998.

44. بالحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

45. بروتسين. ن . إ: تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف ق 16 م حتى مطلع ق 20 م، ترجمة: عماد حاتم، ط2، مركز دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2001.

46. بل ألفرد: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة : عبد الرحمن بدوي، ط 3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

47. بنحادة عبد الرحيم : المغرب والباب العالي من منتصف القرن 16 الى نهاية القرن 18م، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1998.

48. بنوجيت يوسف: قلعة بني عباس إبان القرن 16 م، ترجمة: سامية سعيد عمار، تقديم: محفوظ قداش، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2009.

49. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

50. بوغفالة ودان: التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينتي المدية وملیانة في العهد العثماني، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

51. بوقرة بلقاسم: من الإ ستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

52. بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ و 7هـ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004.

53. بينيت طوني وآخرون : معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة : سعيد الغانمي، ط 1، عالم المعرفة، بيروت ، لبنان، 2010.

54. جغلول عبد القادر: مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ترجمة : فضيلة الحكيم، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982.

55. حجي محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، (د.ط)، مطبعة فضالة، المغرب، 1977.

56. حجي محمد: الزاوية الدلائية، (د.ط)، المطبعة الوطنية الرباط، المغرب، 1964.

57. حركات إبراهيم : المغرب عبرالتاريخ، مج2، ط2، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1978.

58. خشيم علي فهمي: أحمد الزروق والزروقية، ط3، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2002.

59. داود محمد: تاريخ تطوان، مج1، ط2، مطبعة كريماديس، تطوان، المغرب، (د.ت).

60. درنيقة محمد أحمد: الطريقة الشادلية وأعلامها، (د.ط)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان 2009.

61. روز بنرجي برنار وآخرون : المجاعات والاوبئة في مغرب القرنين 16-17 م، ترجمة: عبد الرحيم حزل، ط 2، منشورات دار الامان، الرباط، المغرب، 2010.

62. روسي أتوري: ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، تقديم وتحقيق: خليفة محمد التلهسي، ط2، الدار العربية للكتاب، 1991.

63. سبنسر وليم: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب و تقديم : عبد القادر زبادية، (د.ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

64. سعد الله أبو القاسم: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ط1، دار العرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2003 .

65. سعد الله ابو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، ج1، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009.

66. سعد الله أبو القاسم : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 5، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

67. سعيدوني ناصر الدين : من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإ سلامي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1999.

68. سعيدوني ناصر الدين وآخرون: الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .

69. شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب : محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج 2، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.

70. شويتام أرزقي: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري (1519-1830)، ط 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.

71. شويتام أرزقي : المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)، ط 1، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2009.

72. طمار محمد: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

73. عامر محمود علي وآخرون : تاريخ المغرب العربي الحديث، ج 1، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق ، سوريا، (د.ط.و.ت).

74. عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، ط3، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 .

75. عبد الرحمن عبد الهادي : التاريخ والأسطورة الحراك الثقافي في المنطقة العربية قديما، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994.

76. عبد الوهاب حسن حسني: خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية، تونس، (د.ت).

77. عثمان هندي عثمان حسين : الحراك السياسي " مفاهيم وقضايا "، ج1، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، (د.ط.و.ت).

78. عمر أحمد مختار : النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإ سلامي حتى العصر التركي، (د.ط)، كلية التربية، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، 1971.

79. عميراوي أحميدة : قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة ، الجزائر، 2005.

80. عميراوي أحميدة : علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2002.

81. عميراوي أحميدة: مواقف نضالية وإصلاحية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2009.

82. عميراوي أحميدة: جوانب من السياسة الفرنسية، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005 .

83. عميراوي أحميدة: بحوث تاريخية، ط2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.

84. عودة محمد عبد الله وآخرون: تاريخ العرب الحديث، (د.ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1989.

85. غلاب عبد الكريم: قراءة جديدة في تاريخ المغرب، ج2، ط1، دارالغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005.

86. غنيمي عبد الفتاح مقلد: موسوعة المغرب العربي، مج3، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1994.

87. فارس محمد خير: تاريخ الجزائر الحديث، ط2، مكتبة دار الشرق، دمشق، سوريا، 1979.

88. فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18 و 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

89. فكاير عبد القادر : الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505-1792م)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012.

90. فلنزي لوسات: المغرب العربي قبل إحتلال الجزائر (1790-1830)، ترجمة: محمد الساحلي، (د.ط)، سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1994.

91. فيرو شارل : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإ يطالي، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قارس يونس، بنغازي، ليبيا، 1994.

92. فيلالي مختار الطاهر: نشأة المرابطين والطرق الصوفية ، ط1، دار الفن القرافيكي، باتنة ، الجزائر، 1976.

93. قاسم أحمد: إيالة تونس على ضوء فتاوى إبن عظوم (1574-1600م)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004.

94. كريم عبد الكريم : المغرب في عهد الدولة السعدية، ط 3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط ، المملكة المغربية، (د.ت).

95. كنون عبد الله: النبوغ المغربي، ج1، ط2، طنجة، المغرب، 1960.

96. مارشال جوردون: موسوعة علم الإجتماع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، مج2، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 2007.

97. مجموعة باحثين: معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، ط 1، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، 2008.

98. محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1985.

99. محمد الشريف ناصر الدين : الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ط1، دار البيارق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999.

100. مريوش أحمد وآخرون : الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، (د.ط)، منشورات المركز الوطني للأبحاث، مطابع دار القصبة، الجزائر، 2007.

101. مزين محمد : فاس وباديتها "مساهمة في التاريخ السعدي "، ج2، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1986.

102. نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، (د.ط)، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2006.

103. نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإ سلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف، بيروت، لبنان، 1980.

104. هلال عمار: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإ سلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

105. هلايلي حنيفي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.

106. وولف - ب- جون: الجزائر وأوروبا (1500-1830م)، ترجمة و تحقيق : أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد، الجزائر، 2009.

رابعا: القواميس والمعاجم.

01. ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، ت:عبد الله العلايلي، مج1(أ- ر)، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ت).

02. البستاني بطرس: **محيط المحيط**، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987.

03. العدناني محمد: **معجم الأخطاء الشائعة**، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1985.

04. الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005.

05. مجموعة مؤلفين: **المنجد الأبجدي**، ط5، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1986.

خامسا: الرسائل الجامعية .

01. إبن خروف عمار: العلاقات بين الجزائر والمغرب، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب، دمشق، سوريا، 1983.

02. بعارسية صباح: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 16 م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر02، 2005-2006.

03. جلول المكّي: مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 1235-1847م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993.

04. حماش خليفة: العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، الإسكندرية، مصر، 1988.

05. زدك إبراهيم: الفتوى عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، الجزائر، 2011-2012.

06. شدري معمر رشيدة : العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005.

07. علي جذور محمود سالم : أثر التعليم في الحراك الإ جتماعي بالمجتمع الليبي، أطروحة دكتوراه في علم الإ جتماع، جامعة الجزائر 02، 2004-2005.

08. غويني ليلى: التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر02، 2010-2011 .

09. كبيش عبد الحكيم : التمدد الحضري والحراك التنقلي في النطاق الحضري لمدينة سطيف، أطروحة دكتوراه في تهيئة المجال، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011.

10. لبصير سعاد : هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني (1516-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007.

11. لزعم فوزية : الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2005-2006.

12. مغاوري عبد الكريم: العلاقات الثقافية بين المغرب الأقصى ومصر خلال العصر الحديث (1429-1822م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر،2010/2011.

سادسا: المجلات.

01- مجلة الأصالة تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشوؤن الدينية –الجزائر.

01. البوعبدلي المهدي: الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها، مجلة الأصالة، العدد 19، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1974.

02. البوعبدلي المهدي: عبد الرحمن الأخضري و أطوار السلفية في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد 53، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1978.

03. بالحميسي مولاي: مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية، مجلة الأصالة، العدد 08، وزارة الشؤون الدينية،الجزائر، ماي . جوان 1972.

04. حركات إبراهيم: الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1975.

02- مجلة الثقافة (وزارة الثقافة الجزائر).

01. البوعبدلي المهدي: وحدة المغرب العربي عبر التاريخ، مجلة الثقافة، العدد 70، وزارة الثقافة، الجزائر، أوت 1983.

02. حاجيات عبد الحميد: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العصر السنوسي، مجلة الثقافة، العدد 14، وزارة الثقافة، الجزائر، 1987.

03- مجلة سيرتا- الجزائر.

01. مسعود العيد: حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا العدد 03، قسنطينة، الجزائر، 1980 .

04- مجلة الدراسات التاريخية (الجزائر) .

01. شارف رقية: تشكل الكيانات السياسية للمغرب العربي في إطار الدولة العثمانية (الفترة الحديثة)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2011.

02. شويتام أرزقي: العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية "الفترةالعثمانية "، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2011.

03. غويني ليلى: التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2012.

04. هلال عمار: العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين 10 و 20م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 09، بوزريعة، الجزائر، 1995.

05- مجلة الهجرة (قسنطينة).

01. فيلالي كمال: الحراك السوسيوتاريخي للفاعلين وتطور مفهوم النخب في تاريخ الجزائر الحديث، مجلة الهجرة والرحلة، العدد الأول، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2005.

02. فيلالي كمال: هجرة علماء غرناطة وتلمسان إلى فاس في نهاية ق 15م ومطلع ق 16م، مجلة الهجرة والرحلة، العدد 03، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، أفريل 2010.

06- مجلة الدراسات المواقف (معسكر).

01. بوشنافي محمد: هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني، مجلة المواقف، العدد 04، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة معسكر، الجزائر، 2009.

07- مجلة الدراسات الإسلامية (الجزائر).

01. عنابي سليمان: الحركة الصوفية إبان العهد العثماني في الجزائر، مجلة الدراسات الاسلامية، العدد 07، الجزائر، جوان 2005.

08- المجلة التاريخية المغربية – تونس.

01. أبو القاسم إبراهيم: الخلفيات التاريخية للهجرة الليبية إلى الإيالة التونسية خلال القرنين 18 و19م، المجلة التاريخية المغاربية، العددان85-86، منشورات مؤسسة التميمي، زغوان، تونس، 1997.

02. التميمي عبد الجليل: أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1591م، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 06، تونس، جويلية 1976.

03. الشابي علي: العلاقات بين الشابية والأتراك بتونس بين أواخر القرن 16م ونهاية القرن 17م، المجلة التاريخية المغاربية، العددان 17-18، تونس، جانفي 1980.

09- مجلة الكراسات التونسية.

01. رزوق محمد: العلاقات المغربية الإسبانية خلال القرن 16 م (العهد السعدي الأول نموذجا)، مجلة الكراسات التونسية، العددان 157-158، تونس، 1991.

10- مجلة الزيتونة (تونس).

01. النيفر محمد البشير: تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة، المجلة الزيتونية شهرية (10 أشهر)، ج1، مج1، تونس، سبتمبر 1936.

11- مجلة البحوث التاريخية (ليبيا).

01. الحسناوي حبيب وداعة: أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي " الفقيه الصوفي: حياته ونشاطاته الفكرية والسياسية "، مجلة البحوث التاريخية، العدد 02، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، الجماهيرية العربية الليبية، 1981.

12- مجلة الجامعة الأسمرية- ليبيا.

01. الحسناوي حبيب وداعة: الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا وأثرها في نشوء الطرق والزوايا الصوفية، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد 11، الجماهيرية الليبية العظمى، 2009.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

13- مجلة الجامعة المغاربية (ليبيا).

01. أنبية عبد الله: هجرة بعض العلماء الليبيين إلى تونس في العهد الحفصي، مجلة الجامعة المغاربية، العدد الأول، السنة الثانية، طرابلس، ليبيا، 2007.

سابع: الملتقيات والندوات.

01- أعمال ملتقيات مخبر الهجرة والأبحاث (قسنطينة).

01. فيلالي كمال: الحراك والرحاب والواقع الحضري في قسنطينة القديمة، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات حول الرحلة والهجرة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009.

02. لبصير سعاد: درافع الهجرة الدينية والعلمية في العهد العثماني (1516-1830)، أعمال الملتقى الأول حول "سوسيولوجية الهجرة الجزائرية"، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009.

03. لبصير سعاد: المدينة المنورة مركز إستقطاب العلماء الجزائريين، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الهجرة والأبحاث، جامعة منتوري، مطبعة ألكسندر، قسنطينة، الجزائر، 2009.

02- أعمال ندوة التواصل الثقافي (ليبيا) (من كتاب أعمال ندوة التواصل الثقافي لعبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، 2005).

01. أبوراس علي محمد إبراهيم: لمحات عن الحياة الثقافية في ليبيا خلال القرنين 9 و 10هـ.

02. أبوزيد أحمد: منهج الخروبي في تفسيره " معالم كاشفة ".

03. الترغي عبد الله المرابط: الإمام الخروبي و المواجهات الفكرية في مغرب القرن العاشر للهجرة " رسالته في انتقاد الشيخ أبي عمرو القسطلي.

04. الحسناوي وداعة حبيب: الصراع التركي السعدي 1549-1557م وسفارة الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي للمغرب عام 1952م بشأنه.

05. القذافي محمد حسين: حياة ابي عبد الله الخروبي في طرابلس وتونس والجزائر والمغرب.

06. رفيدة إبراهيم: أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي " فكره الصوفي وتفسيره رياض الأزهار وكنز الأسرار".

07. شقور عبد السلام: التواصل العلمي بين بلدان المغرب العربي من خلال التراث الصوفي للشيخين أبي العباس زروق و أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي.

08. مختار الهادي ابن يونس: محمد بن علي بن مصطفى الخروبي، افادات عن سيرته ومؤلفاته.

ثامنا: الصحف والمقالات الإلكترونية (الإنترنت).

01. بالروين محمد: من الحراك السياسي، انترنت، منتدى ليبيا للتنمية البشرية و السياسية، أوت 2008.

02. جاكو محمد الشريف: الحراك الفكري وإضطراب الثوابت، صحيفة الرشاد الإلكترونية، أنترنت، بتاريخ: 17 يناير 2013.

03. شوقي عبد الرحمن محمود: الحراك الاجتماعي، موقع الأولوكة، أنترنت، بتاريخ: 2008/06/24.

تاسعا: المحاضرات.

01. عميراوي أحميدة: محاضرة بعنوان " النخب والحراك الاجتماعي"، ألقيت على طلبة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، بتاريخ: 2012/06/27.

عاشرا: قائمة المصادر والمراجع االأجنبية.

01- Berque Jacques : **L'intérieur du Maghreb**, Edition Gallimard, France, 1978.

02- Belhamissi Moulay : **Histoire de la marine Algérienne (1516-1830)**, 2ed, E.N.L, Alger, 1986.

03- De Grammont : **Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830)**, Ed 28 : Ernest loraux, paris 1987.

04- Eugene Vayssette : **Histoire de constantine sous la domination turque de (1517-1838)**, pre:ouarda siari, ed: media-plus, blida, Alger, 2010.

05- Hoedo Diego: **Histoire des rois D'Alger**, trad: de Grammont, Ed(G.A.L), Alger 2004.

06- Hoedo Diego: **Topographie et Histoire générale d'Alger**, 3ed, G.A.L, Alger.

07- Kaddache Mahfoud: **L'Algérie durant la période ottomane**، O.P.U, Alger, 2002.

08- Moulay Belhamissi : **Histoire de Mostaganem**, Centre Nationale d'étude historique, Alger : 1976.

الحادى عشر: الدوريات.

Revue africaine :

01- Braudel Fernand : **l'espagnols en Afrique du Nord**, de (1492-1577) in. R.A, Volume : 69, paris, 1928.

02- Bouabdelli El Mahdi: **Le cheikh Mohamed El Kharoubi**, In. R.A, volume : 96, paris, 1952.

03- Primaudaie (E.de la) : **Document inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574)**.in, R.A , volume :20, paris, 1876.

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس العام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

01 فهرس الأعلام

ـ أ ـ

- أبي إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي :79.
- أبو إسحاق (إبراهيم الشاوي المراكشي):86.
- أبي حامد بن العربي بن يوسف الفهري:138، 151.
- أبي حزوز المكناسي:30.
- أبي الحسن البكر:87.
- أبي حسون الوطاسي:28، 29، 32.
- أبوحمو موسى الثالث:16.
- أبي زكريا الوطاسي:ف2،22.
- أبي زكريا يحي الثالث:ف1، 31.
- أبو زيان:16.
- أبوزيد:112.
- أبي زيد القيرواني:79.
- أبي زيد عبد الرحمان بن إبراهيم:144.
- أبي سعيد أحمد:72.
- أبو العباس أحمد البجائي الشريف: 67.
- أبي العباس أحمد بن عيسى البرنسي: 83.
- أبو العباس أحمد التواتي:163.
- أبو العباس أحمد بن ودة:90.
- أبي عبد الله ابن الرفيع:80.
- أبي عبد الله البرتغالي الوطاسي:26، 27
- أبو عبد الله إبن القوطية: 68.
- أبو عبد الله الغالب: 61، 77
- أبي عبد الله محمد الشريف:86 .
- أبو عثمان المنوئي:77.
- أبي عثمان المقري:142.
- أبو علي بن القداح: 71.
- أبي عمران موسى بن علي الوزاني : 72.
- أبي عمرو عثمان: 34، 80.
- أبا الفتح بن عبد السلام الخروبي:43.
- أبو القاسم بن سلطان القسنطيني:75، 87.
- أبو القاسم سعد الله: 22، 54، 109، 121، 122، 130.
- أبي مدين شعيب : 65، 81، 168، 169.
- احمد (السلطان الحفصي):82،40.
- أحمد بن أبي محلى:ف158، 161. 164.
- أحمد الأعرج(أبو العباس):26، 27.
- أحمد إبن القاضي (أبو العباس):16، 17.
- أحمد البجاوي:ف21.
- أحمد البوني:60.
- أحمد توفيق المدني:120.
- أحمد بن جيدة الوهراني:79، 85.
- أحمد بن سليطن:89.
- أحمد بن عطاء الله السكندري:102، 103، 125، 141.
- أحمد بن عروس:82، 83.
- أحمد بن محمد الحاج البجائي التلمساني:68.
- أحمد بن محمد الشريف الحسني،77.
- أحمد بن مخلوف الشابي:83.
- أحمد بن يوسف الملياني:83، 89.
- أحمد زروق:52، 81، 92، 93، 98. 122، 123، 125 139، 140، 141.
- أحمد العيسى:43.
- أحميدة عميراوي:57.
- أحمد النائب الأنصاري:131.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أحمد المنصور الذهبي:30، 32، 34.
- أحمد الورنيدي التلمساني:72.
- أحمد الوطاسي (المريني):27، 70، 73.
- أحمد الونشريسي:60، 68، 71، 74.
- ألفاري سان: 14.
- أندري دوريا : 17، 39 .
- أندري ريمون: 65.
- أنس بن مالك:112.
- الأنصاري السجلماسي:61.
- أويس القرني:166.
- الإفراني: 26، 133، 151.
- إبراهيم التازي:81، 108، 109.
- إبراهيم الزواوي:92.
- إبراهيم السملالي:108، 129، 131، 138، 141.
- ابن أبي شنب :129.
- إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي:84.
- ابن أبي دينار:35، 39، 43.
- ابن أبي الضياف: 38، 39، 43.
- ابن أبي قحافة(أبابكر):166.
- ابن بطوطة : 64.
- ابن تاغروت:85.
- ابن جبير: 64.
- ابن دهاق:169.
- ابن زكري: 63، 68، 76.
- ابن زكريا المغراوي:108.
- ابن عسكر: 76، 79، 85.
- ابن عطية الأندلسي (أبي عبد الحق: 78.
- ابن عظوم المرادي : 70.
- ابن غلبون:82.
- ابن نويرة:45.
- إدريس الثاني:73.
- إسحاق أبوطفيش:93.
- إيزابيلا :12.

- ب

- البابا:24، 47، 48.
- البرشكي: (أبا القاسم): 89.
- بروديل: 12، 13.
- بدرو نافارو: 13، 14، 35، 45، 46.
- البرزلي:70، 88.
- البرموني كريم الدين:93.
- البرموني محمد:82.
- بلقاسم المفتي:62.
- البلوي:81.
- البيدري (أحمد بن بن الحاج): 66.
- بيتريم سوروكين:55.

. ت .

- التمجروتي(أبو الحسن علي بن محمد الدرعي):22،67، 73، 79، 90.
- التملي محمد بن عيسى السوسي:144.
- التنسي:69، 86.
- التيجاني: 81.
- التباع عبد العزيز: 92.

. ج .

- جار الله أبا عبد الله خروف: 43.
- الجديدي (الشيخ): 39.
- الجزولي محمد بن سليمان:25، 82،151، 153.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- جعفر باشا: 44.
- جون ستيوارت ميل: 55.
- جيوفاني دي كاردونا: 49.

- ح -

- الحاج محمد بن الحاج تمام: 82، 102، 107.
- الحافظ الإشبيلي: 141.
- حبيب وداعة الحسناوي:134.
- حجاج:44.
- حسن آغا: 17.
- حسن باشا: 17، 18، 29، 116، 117، 118.
- حسن قورصو: 29.
- حسين باشا:45.
- حسن العجمي:104، 106، 123.
- الحسن الزياني:116.
- الحسن الحفصي: 35، 38، 40، 47.
- الحضري الوزروالي:110، 141.
- الحضيكي: 97، 114، 131، 133.
- الحطاب الكبير(محمد بن عبد الرحمان الرعيني): 103، 105، 107، 122.
- الحفناوي:151.

- خ -

- الخروبي(علي بن مصطفى):99، 100، 101، 103.
- الخروبي(محمد بن علي):53، 68، 72، 82، 83، 94، 97. 103، 135. 137.
- خروف التونسي(محمد الأنصاري):70، 77، 90، 91.
- خزيمناس:13.
- خضر باشا: 59.
- خليفة أبو غرارة: 100، 105.
- خير الدين: 14، 16، 17، 37، 38، 39، 42، 46، 47، 48.
- خير الدين كرمان:47، 60.

- د -

- الدقون(أحمد بن محمد):76، 84.
- درغوث:36، 40، 48، 49، 50.
- درنيقة محمد أحمد:132.
- دون سباستيان:30.
- الدوكالي : 52.
- دون خوان:40.
- الدهماني أحمد:103.
- دييجو القرطبي: 45، 46.

- ر -

- الرشيد:38.
- الرصاع: 68.
- رمضان باشا: 40.
- رمضان تشولاق: 59.
- رضوان بن عبد الله الجنوي(أبو النعيم):110، 127، 158.
- رفيدة إبراهيم:98، 99، 132، 149.
- الروداني:112، 140، 142.

- ز -

- الزاوي:130، 134.
- الزرهوني بن عبد الله الخياط:90.
- الزعري محمد بن مبارك: 161.
- الزمخشري: 70.
- الزنديوي(محمد بن حسين):88، 89، 91.
- زهرة بنت الحاج محمد البوديكي: 100.
- الزقاق:61، 73، 74، 75، 85، 89، 91، 112، 141

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- زيتون ابو عبد الله:104، 107، 108، 109، 113.
- زيدان: 28.

. س .

- سالم التومي:14، 15.
- السخاوي:142.
- سقين: 91.
- سعيد بن أحمد المقري: 112.
- سعيد قدورة: 112، 130.
- سعيد الماغوسي: 77، 90.
- سعيد المنداسي: 60.
- سليم الأول: 16، 67.
- سليمان القانوني: 38، 46، 92، 117، 119، 120.
- سنان باشا: 18، 40، 43، 48، 49.
- سيدي خالد:65.

. ش .

- الشادلي (أبي الحسن): 81، 82، 126.
- شارل الخامس: 14، 17، 29، 31، 39، 47، 51.
- الشطيبي محمد بن علي: 89، 111.
- شقرون بن أبي جمعة الوهراني: 62، 69، 76، 84.
- شقرون بن هبة الله الوجديجي:76، 85.
- الشماخي: 65، 93.
- الشنقيطي محمد:111.
- الشيخ الأصغر: 74.

. ص .

- صالح رايس: 17، 18، 29، 117، 119.

. ظ .

- الظريف أبو الطيب التونسي: 92.

. ع .

- عادل نويهض:129، 132.
- العبادي (أحمد بن أحمد): 61، 76، 86.
- العبدري:64.
- عثمان بن عفان: 154، 167.
- عبد الله بن عمر المطغري: 33.
- عبد الله بن محمد بن فاضل الغرابلي:81.
- عبد الله الدوكالي:52.
- عبد الله العصنوني:68.
- عبد الله الغالب: 29، 61، 76، 86، 89.
- عبد الله مغوش:43، 61، 88، 89، 92.
- عبد الله المطغري:89.
- عبد الجبار الفجيجي:81.
- عبد الجليل بن محمد الراشدي:108.
- عبد الرحمان الأندلسي: 112.
- عبد الرحمان الأخضري:83، 88، 112، 121.
- عبد الرحمان بن محمد التاجوري:65.
- عبد الرحمان الجيلالي:132، 133.
- عبد الرحمان السلمي:125.
- العروي: 31.
- العربي بن يوسف الفهري:138، 151.
- عز الدين بن عبد السلام:151.
- عبد العزيز القسنطيني:74، 90.
- عبد العزيز اللمطي:80.
- عبد السلام الأسمر:53، 54، 83، 93، 94.
- عبد السلام بن مشيش:81، 111، 125، 131، 164.
- عبد الصمد الشابي:37، 84.
- عبد القادر الجيلاني:81، 82.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عبد الكريم بن يحي الفكون: 64، 90،77.
- عبد الكريم الفلاح:53.
- عبد الملك البرجي:91.
- عبد النبي الجبالي:104، 105، 140.
- عبد الواحد بن حفص:51.
- عبد الواحد بن محمد اللمطي:89.
- عبد الواحد الونشريسي:27، 86، 89، 91.
- عرفة بن نعمون الشابي:36، 37، 75، 83.
- عروج: 14، 15، 16، 18، 37.
- العقباني(أحمد بن محمد):85.
- العقباني(سعيد بن محمد):ف22،2.
- علج علي:18، 30، 40.
- علي بن أبي بكر السكتاني:80.
- علي بن أبي تربة التونسي: 108، 114، 115.
- علي بن أبي طالب:167.
- علي بن البقال الأغصاوي:72، 110.
- علي بن حامد:112، 141.
- علي بن محمد الطبري:78.
- علي بن هارون:77، 78، 86، 89، 91، 92.
- علي المحجوب:82، 83.
- علي الحرالي:126.
- عمر بن الخطاب:104.
- عمر العطاوي الراشدي:108، 109، 115.
- عمر بن زيان المديوني:108، 109، 115.
- عمر بن عبد الرحمان المخزومي:94.
- عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الحسني:111، 126.
- عمر مولود:132، 134.
- العياشي أبو سالم:81.
- العيد مسعود: 60.
- العيسى أبو العباس:61، 91، 92، 43.
- عيسى الثعالبي:60.

. غ

- غاسار دي سانجس:47.
- الغبريني (أبو القاسم أحمد): 70.
- الغزالي (أبي حامد): 123.
- الغزواني:111.

. ف

- فالفريدو باريتو:55.
- فاليير:49 .
- فتح الله العجمي:92، 106.
- الفحل أبي الحسن: 66.
- فرديناند: 13، 15، 21، 45، 46.
- الفشتالي: 90.
- فهمي علي خشيم:98.
- فيليب الثاني:40، 49.
- فليب فلييز:47.
- فيرو:47.

. ق

- قاسم بن قلاع الطرابلسي:94، 104.
- القاسمي عبد المنعم:153.
- القباب:71، 72.
- القسطلي أبي عمرو:125، 131، 132، 151، 158، 161، 162، 163.
- القشاش(أبو الغيث):80.
- القصار أبو عبد الله:91.
- القليعي:35.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

. ك .

- كارل ماركس:55.
- الكتاني:59.
- الكعاك:133، 134.
- الكفيف ابن مرزوق:186.
- كلمنت السابع:47.
- الكمادمحمد بن أحمد القسنطيني):69، 88.

. ل .

- لسلي آدم:48.
- اللقانيين(الشمس والناصر):91.
- لوفريدو:39.

. م .

- مارتين دي فارقاس:17.
- مارمول:51.
- مالتسان:19.
- الماواسي:69.
- المجهول:29، 61.
- محمد أبو السادات:66.
- محمد بن أحمد التلمساني(ابن الوقاد): 87.
- محمد بن أبي بكر التاجوري:100.
- محمد بن أبي الطيب:36، 37.
- محمد ابن جلال التلمساني:86.
- محمد بن الحسن:14، 40، 42.
- محمد بن الرفيع:89.
- محمد بن الطيب القادري:138.
- محمد بن عيسى البطيوي:77.
- محمد بن غازي:73، 77، 78.
- محمد بن مبارك:26.
- محمد بن مخلوف: 109، 132، 133.
- محمد بن مرزوق :108، 109، 115.
- محمد بن موسى الوجديجي:66.
- محمد بنور:ف37.
- محمد بن واضح الشلبي:108، 109.
- محمد بن يوسف الترغي:110، 141.
- محمد بن يوسف السنوسي:63، 69، 74، 76، 78، 79، 83، 85، 143.
- محمد الأندلسي:75.
- محمد البرتغالي:67، 90.
- محمد التجيبي المسراتي:70.
- محمد الجادري:66.
- محمد حجي:149، 162.
- محمود الحران:27، 29.
- محمد الزياتي: 14.
- محمد شان الشان:105
- محمد شكري:16.
- محمد العطار:74، 89، 91.
- محمد القائم:26.
- محمد القصري: 28.
- محمد المتوكل:30.
- محمد المكني:81.
- محمد المنوني:47.
- محمد المهدي(الشيخ):26. 29، 33، 61، 67، 68، 85، 116. 119.
- محمد المهدي الشريف الفاسي: 135.
- محمد النالي:75.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد الهواري:81.
- محمود مقديش:66، 141.
- مخلوف البلبالي:75.
- مراد آغا:48، 49، 51.
- المرسي أبي العباس:167.
- المسعود ابن الناصر:27، 147، 148.
- مصطفى باشا:44.
- المقري:63، 111، 112.
- المنجور:70، 78، 80، 86، 87، 91.
- منصور البجائي:88.
- مولود عبد الحميد:98، 134.
- المهدي البوعبدلي:98، 99، 112، 129، 130..

. ن .

- الناصري:28، 33، 119، 120، 133.
- النفزي عبد الله بن عباد:107.
- النيفر:43.

. هـ .

- هايدو: 18.
- الهبطي(عبد الله بن محمد):69، 72، 99، 110، 125، 131، 143، 144، 145.
- الهروي التادلي(؛مد بن أبي القاسم): 111، 112.
- هيغو دي مونكادا:16، 46.
- الهوازلي(أبو العباس أحمد بن يحيي): 90.

. و .

- الورتيلاني:59، 62، 63، 64، 65، 67.
- الورياجلي(ابي عبد الله):79.
- الوزان(أبو حفص عمر): 74، 75، 77، 88، 89، 90.
- الوزان(الحسن):18، 19، 21، 22، 31، 33، 50، 51.
- الوسلاتي عبد الرحمان:93.

. ي .

- يحي بن تاعفوفت:27.
- يحي الزواوي:87.
- يحي السويدي:44، 45.
- يحي السوسي (ابي زكريا):89.
- يحي الفكون:88.
- اليسيتني(أبو عبدالله): 70، 72، 73، 79، 80، 85، 86، 89، 91، 125، 144، 145.
- يوسف العجمي: 104.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

02- فهرس الأماكن والبلدان:

. أ .

- أبي الرقراق:32.
- أجدابية::52.
- أراغون:24.
- أرفلة:94.
- أزمور: 24، 28، 31، 32.
- أصيلا:24، 28، 32.
- أغادير:23، 24، 26، 28.
- أفوغال: 26.
- ألمانيا:29.
- أم الربيع(وادي):23، 27.
- أنماي:27.
- أوروبا:34، 39، 50.
- إسبانيا:11، 13، 15، 22، 24، 29، 30، 35.
- إسطنبول: 43، 92، 97.
- آسفي:28،27،24، 31.
- إفريقيا:11، 12، 19، 37،33،30، 50، 81، 82، 84، 90.
- إفريقية: 22، 37، 100، 106، 114.
- إيطاليا:47،38.
- إيبيريا:30، 52.
- الأطلس الأوسط:23.
- الأندلس: 12، 22، 31، 81، 85، 86، 99، 113.
- الأوراس:83.
- الآستانة:16، 38، 39، 40، 45، 48، 49.
- الإسكندرية:64.

. ب .

- باب الواد:134.
- باجة:40، 41.
- بادس:28.
- باغاي:83.
- بجاية:13، 14، 15، 18، 20، 35، 45، 66، 90.
- برج منايل: 19.
- برشك: 19.
- بغداد:64، 81.
- بلنسية:22.
- بنزرت38، 41.
- بنطيوس:61، 68.
- بنغازي:49.
- بوبريت(مراكش):81.
- بونة:34.
- بويرة:19.
- البرتغال: 11، 23، 24، 26، 27، 28، 30، 32.
- البندقية:19، 50.

. ت .

- تاجوراء:44، 45، 46، 47، 48، 51، 52.
- تارودانت:26، 32، 86.
- تازة:64.
- تافيلالت:28.
- تبسة:37، 63.
- تركيا:83.
- ترهونة:44.
- تطوان:23، 31، 33، 66، 67، 74، 75، 87.
- تقرت:12.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- تلمسان:12، 14، 16، 17، 19، 20، 21، 29، 35، 60، 61،63، 66، 68، 71، 72، 75، 76، 76، 79، 85، 91، 112، 116، 117، 119.
- تنس:16، 17.
- توات:68، 88.
- تاورغة:93.
- تونس:11، 14، 15، 17، 18، 22، 34، 50، 59، 64، 66، 68، 77، 79، 82، 94، 98، 108، 113، 114، 115، 124، 141، 142.
- تيدسي:26.

ـ ج ـ

- جامع الأزهر:62، 65، 94.
- الجامع الأعظم:104، 116، 121.
- الجامع الأموي:20.
- جامع الزيتونة:20، 38، 43، 62، 67، 88، 92، 94.
- جامع البلاط(تونس):88.
- جامع الناقة:93.
- جامع الأندلس:85،86.
- الجريد:37.
- الجزائر:11، 22، 37، 39، 40، 47، 60، 63، 64، 66، 67، 71، 72، 75، 79، 90، 94، 97، 98، 108، 110، 112، 113، 115، 116، 117، 119، 127، 129، 138، 140، 147، 149، 150، 158.
- جزر البالیار:39.
- الجزيرة العربية: 64.
- جنزور:48، 104.
- جنوة:19، 51 .
- جيجل:15، 17، 18.

ـ ح ـ

- حجر بادس:24، 31.
- الحجاز:26، 63، 66، 83، 88.
- الحضنة:12.
- حلق الوادي:15، 17، 38، 39، 40.

ـ خ ـ

- خربة الكلخ (تونس): 39.

ـ د ـ

- درعة:26، 33.
- درنة: 28، 52.
- دلس:16.
- دمشق: 64.
- الدولة العثمانية:16، 21، 40، 41.

ـ ر ـ

- رأس الرجاء الصالح:19.
- رأس بوجادور:24.
- ربض السويقة(تونس):38.
- روما:48.
- الريف:116، 144.

ـ ز ـ

- الزاب:12، 112، 122.
- الزاوية الأسمرية:52.
- زرهون: 89.
- زغوان:39.
- زليتن:50، 52، 82، 93 .
- زناتة:84.
- زواوة:44، 48، 87.

ـ ش ـ

- شاطبة:22.
- الشام:83، 88.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- شرشال:15، 17.
- ششار:37.
- شفشاون:23، 144.
- شيشاوة:26.

. س –

- ساحل الأحامد:93.
- سانتاكروز:24.
- سبأ: 125.
- سبتة:24، 28، 31.
- سجلماسة:28، 86.
- سلا:24، 31، 32 .
- السودان: 66، 67.
- السودان الغربي:19.
- سور الغزلان :19
- السوس:26، 33، 37.
- سوسة:35، 38، 41، 49.
- سوف:27، 37.
- سوق أهراس:37، 83.
- السينغال:32.

. ص .

- الصابرية(الزاوية):94.
- صفاقس: 39، 47، 49، 97، 114.
- صقلية:45، 46، 48، 50.

. ط .

- طرابلس: 18، 36، 40، 43، 52، 59، 66، 80، 81، 84، 88، 92، 107، 113، 114، 115، 122، 124.
- طنجة: 23، 24، 28، 31.

. ع .

- العالم الجديد:46.
- العرائش: 31.
- عنابة: 14، 17، 19، 35، 37، 39.

- . غ .

- غدامس:50.
- غربي إفريقيا:30.
- غرناطة: 12، 13، 23، 45، 58، 71.
- غريان : 44، 45، 93، 112 .
- غساسة:24.

. ف .

- فاس: 22، 33، 59، 69، 95،71 ، 104، 106، 110، 113، 116، 119، 125، 127، 131، 133، 134، 138، 141، 149.
- فزان:49.
- فلورنسا:50 .
- فونتي:26.

. ق .

- قابس:34.
- القالة:20، 37، 83.
- القاهرة:63، 64، 65، 83.
- القبائل الصغرى:17.
- قرطاج:41.
- قرقارش:98، 99، 101.
- القرويين: 13، 20، 33، 73، 76، 77، 85، 88، 91، 92.
- القسطنطينية:17، 45، 67، 90.
- قسنطينة:12، 13، 17، 19، 21، 35، 37، 59، 60، 74، 77، 88، 89، 90.
- قشتالة:ف13، 24.
- القصر الصغير:24.
- القصر الكبير:23، 30.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- قفصة:34، 49.
- القل: 17.
- قلعة بني عباس:12.
- قلعة البنيون:15.
- قلعة مزاغان:24.
- قلعة فرانكو: 47.
- قلعة قشتالة:28.
- القيروان:35، 36، 38، 39، 40، 49، 62، 70، 75، 82، 114.
- قيسارية(فاس):146، 147.

. ل .

- لشبونة: 27.
- لكتاوة (درعة):161.
- لمتونة: 36.
- ليبانت:18، 40.
- ليبيا:43، 49، 52، 65، 79، 81، 82، 93، 98، 102، 114.

. م .

- مازاغان:24.
- ماسة:31.
- مالطا: 18، 45، 47، 48، 49، 50.
- ماطر:41.
- متيجة:12.
- المتوسط:11، 18، 19، 24، 29، 30، 37، 41، 46، 48، 66.
- المدية:16، 21.
- مراكش:23، 27، 28، 29، 31، 33، 34، 61، 63، 67، 72، 80، 81، 85، 86، 92، 110، 116، 118، 120، 129. 132، 137، 149، 151، 154، 158، 164.
- المرسى الكبير: 13، 45.
- مستغانم:13، 17، 29.
- مسجد المالكية:121.
- مسلاتة: 44 ، 45، 52، 113.
- المشرق:11، 20، 40، 43، 59، 61، 63، 77، 78، 78، 79، 80، 84، 87، 89، 90.
- المشور (فاس):145.
- مصراتة:44، 50، 51، 52، 93.
- المعمورة الجديدة:31.
- المغرب الأقصى:20، 23، 29، 30، 60، 61، 64،73، 83، 86، 87، 88، 89، 90. 94، 116، 118، 120، 137، 150، 151، 153، 164.
- المغرب الأوسط:12، 15، 20، 92، 138.
- مكناس:83، 86، 147.
- مكناسة :28 .
- مكناسة الزيتون:29.
- مليانة:15، 19، 86، 89، 150.
- مليلة:29.
- ميلة:19، 82.
- المنستير:39، 41، 49.
- المهدية:41، 49.

. ن .

- نابولي:39.
- ندرومة:18.
- نوميديا: 50.

. و .

- واد سوف:83.
- الواد المالح: 16.
- وادي المخازن: 30.
- وادي ريغ: 12.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- وادي ملوية121.
- وهران:13، 14، 16، 18، 19، 37، 45، 59، 85، 87، 108، 109.

. هـ .

- هنين:14، 18، 19، 20.
- هوارة: 83.

. ي .

- يفرن:45.
- ينبع:26

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

** فهرس المحتويات **

- مقدمة .....ص1.

- **الفصل الأول** : الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية للأقطار المغاربية خلال القرن16م.

- **المبحث الأول** : أوضاع الجزائر.

أولا :الأوضاع السياسية.....ص 11.

ثانيا:الأوضاع الا قتصادية.....ص 18

ثالثا:الأوضاع الثقافية.....ص20.

- **المبحث الثاني** : أوضاع المغرب الأقصى.

أولا :الأوضاع السياسية.....ص23.

ثانيا:الأوضاع الاقتصادية .....ص30.

ثالثا:الأوضاع الثقافية.....ص32.

- **المبحث الثالث** : أوضاع تونس.

أولا :الأوضاع السياسية.....ص34.

ثانيا:الأوضاع الاقتصادية .....ص41.

ثالثا:الأوضاع الثقافية .....ص42.

المبحث الرابع : أوضاع ليبيا.

أولا :الأوضاع السياسية.....ص44.

ثانيا:الأوضاع الاقتصادية .....ص50.

ثالثا:الأوضاع الثقافية .....ص51.

الفصل االثاني: الحراك الفكري لعلماء بلاد المغرب ومظاهره .

- **المبحث الأول** : الحراك وأنواعه.

أولا:مفهوم الحراك .....ص54.

ثانيا:جذور الحراك .....ص55.

ثالثا:أنواع الحراك.....ص 55.

- **المبحث الثاني** : عوامل حراك علماء بلاد المغرب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا:الدوافع السياسية .....ص58.

ثانيا:الهجرة القسرية.....ص60.

ثالثا:طلب العلم.....ص61.

رابعا:آداء فريضة الحج.....ص63.

خامسا:فقر البلاد وقلة مواردها الطبيعية .....ص65.

سادسا:تردي المستوى المعيشي .....ص66.

سابعا:الدواعي الديبلوماسية.....ص67.

- **المبحث الثالث** : مظاهر الحراك الفكري لعلماء بلاد المغرب.

أولا:الفتاوى .....ص68.

ثانيا:المجالس والمناظرات.....ص71.

ثالثا:المراسلات المتبادلة .....ص72.

رابعا:الأسئلة والردود .....ص74.

خامسا:الإجازات.....ص76.

سادسا:انتقال المصنفات .....ص78.

سابعا:التصوف.....ص81.

- **المبحث الرابع** : نماذج لحركية علماء بلاد المغرب.

أولا:علماء الجزائر .....ص84.

ثانيا:علماء المغرب الأقصى .....ص88.

ثالثا:علماء تونس.....ص90.

رابعا:علماء ليبيا .....ص93.

- **الفصل االثالث**: ترجمة حياة الخروبي .

- **المبحث الأول** : المولد والنشأة.

أولا: نسبه ومولده .....ص97.

ثانيا:الوالد.....ص99.

ثالثا:الوالدة.....ص100.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا:التعليم الأولي.....ص 101.

- **المبحث الثاني** : شيوخه وتلاميذه.

أولا:شيوخه.....ص102

. **ثانيا**:تلاميذه.....ص110.

- **المبحث الثالث** : حركية الخروبي بين الأقطار المغاربية.

أولا :رحلته إلى أقطار المغرب العربي وحراكه الديبلوماسي .....ص113.

ثانيا:أعماله.....ص121.

ثالثا:تأديته لمناسك الحج.....ص122.

- **المبحث الرابع** : نتاجه الفكري ومكانته العلمية.

أولا :مؤلفاته.....ص122.

ثانيا:مكتبته.....ص129.

ثالثا:مكانته العلمية(أقوال العلماء).....ص 130.

رابعا:وفاته.....ص133.

- **الفصل االرابع**: جوانب من الحراك الفكري للشيخ محمد الخروبي.

- **المبحث الأول** : الآثارالعلمية والروحية للشيخ الخروبي.

أولا:السفارة ودورها الفكري .....ص137.

ثانيا:التصوف.....ص139.

ثالثا:الإجازات.....ص 141.

- **المبحث الثاني** : الشيخ محمد الخروبي والمواجهات الفكرية.

أولا:المناظرة حول كلمة الإخلاص .....ص142.

ثانيا:الفتاوى (فتوى التجار).....ص147.

ثالثا:المحاورات العلمية .....ص150.

- **المبحث الثالث** : رسائل ووصايا الشيخ الخروبي.

أولا:رسالة الخروبي في انتقاد الشيخ أبي عمرو القسطلي .....ص154.

ثانيا:وصايا ونصائح الشيخ الخروبي .....159.

- **المبحث الرابع** : الأسئلة والردود المتبادلة بين الشيخ وعلماء المغرب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا:رد ابن أبي محلى .....ص162.

ثانيا:أسئلة الشيخ عمر بن عبد الوهاب وأجوبة الخروبي.....ص162.

- **الخاتمة**.....ص176.

- **الملاحق**.....ص181.

- **قائمة المراجع والمصادر**.....ص192.

_ **الفهرس العام**:

* **فهرس الأعلام**:.....ص 210.

* **فهرس الأماكن**:.....ص 217.

* **فهرس المحتويات**.....ص222.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص

محمد بن علي الخروبي والحراك الفكري المغاربي

لقد اضطلعت النخب العلمية المغاربية في ظل حراكها الفكري بين أقطار بلاد المغرب خلال القرن 16م ، بأدوار رائدة؛ لاسيما على الصعيدين الثقافي والروحي ، لتغيير الواقع وتعديل سلوكيات المجتمع؛ فحراك النخب بمثابة ينابيع وقنوات تتسرب عن طريقها المعارف وتنتشر بواسطتها الأفكار، وهو ما يمكن أن نسميه تجاوزا "الحمل الثقافي"، حيث تظهر العلاقات الحديثة حلقة من حلقات التواصل والإخاء والعلاقة الأبعد الأقوى والأوثق تلك التي كانت بين العلماء والأدباء والرحالة والصوفية.

ومن النخب العلمية التي كان لها حضور متميز في الحراك الفكري ببلاد المغارب، الشيخ محمد بن علي الخروبي(963هـ/1556م)، نزيل الجزائر، الذي أحدث تواصلا وثيقا مع الإخوة المغاربة ، فقد نشأ في رحاب التصوف بين أهل الزهد والورع حيث عرف زوايا المتصوفة وجوامع الزهاد وحلقات الذكر، و تنوعت حياته ونشاطه العلمي، وعرف عنه كثرة الترحال بين أقطار بلاد المغرب ؛ فأصبح من المقدمين في المجتمع الجزائري، وكان صاحب حظوة عند أتراك الجزائر؛ الذين جعلوه على رأس الوفادة الى المغرب مرتين في شأن عقد المهادنة وترسيم الحدود بين البلدين.

إن جوانب الحراك الفكري للشيخ محمد بن علي الخروبي، عكسته نشاطاته وإسهاماته الفكرية والسياسية ، فسهولة اختراقه للفضاء الجغرافي وكثرة حركيته بالدواخل، مكنته من القيام بنشاط فكري وعلمي واسع؛ فعمله في مجال التدريس وتلقين العلوم والمعارف واجازاته للعديد من المشايخ، وتركته العلمية ونتاجه الفكري الذي يدل على غزارة علمه واتساع ملكاته وبعد نظره في طرح أفكاره وآرائه، ومكتبته القيمة التي تمثل تركة علمية ؛ ومطارحاته العلمية ومناقشاته الكلامية وحواراته الفكرية، وفتاويه الدينية ونصائحه ووصاياه التهذيبية ونشره للفكر الشادلي حيث يعتبر وارث سر الشيخ زروق ، وشدة تمسكه بالاحتساب وتغيير المنكرات ومحاربة الابتداع كان له الأثر الايجابي على المناخ العلمي السائد ،كما أثمرت اللقاءات والمحاورات التي قام بها في ظل تواصله مع علماء المغرب عن رسائل عدة وردود مختلفة وتآليف مفيدة دلت على تعمقه في العلوم الفقهية والصوفية . كما أثارت الكثير من القضايا الصوفية والعقدية المناقشات وحركت الأقلام للتأليف فانتعشت بذلك الحياة الفكرية والعلمية ، فكان بحق أحد الروافد الكبرى للثقافة المغاربية سواء بما قدمه من نتاج فكري وعلمي أو بما أثاره من مواقف وآراء، ما أعطى للحراك الصاعد حيوية وديناميكية زادت في استمرارية العلاقات الثقافية والامتداد المجالي لتلك الشبكة العلمية وإحداث نسق تضامني فكري واضح المعالم بين النخب العالمة لبلاد المغرب ، كل

ذلك التواصل احتوى على النفحات والنفائس العلمية والروحية والصوفية التي زادت من القرب الحميمي الصادق الذي يعبر عن عمق التواصل وقوة العلاقات المغاربية.

résumé

Mohammed bin Ali Kharobi et Mobilité intellectuelle Maghreb

Nous avons entrepris un élites scientifiques du Maghreb sous l'intellectuel de la mobilité entre les pays du Maghreb au cours du 16ème siècle, les premiers rôles , surtout à la fois culturelle et spirituelle , pour réellement changer et modifier le comportement de la communauté ; élites Vhrak agissent comme des ressorts et des canaux de s'infiltrer à travers lequel la connaissance se transmet par les idées , c'est ce que nous pourrions appeler intrusion " de grossesse culturelle " , qui montre les relations épisode de communication moderne et la relation de fraternité et de plus le plus fort et celui qui était le plus proche entre les scientifiques, les écrivains et les voyageurs et le soufisme .

Et les élites scientifiques qui ont eu la présence du nord du distincte mobilité intellectuelle à l'ouest , le cheikh Mohammed bin Ali Kharobi (963 AH / 1556 AD) , invité l'Algérie, qui est le dernier moyen de communication en étroite collaboration avec les frères marocains , a grandi dans le mysticisme Rehab parmi les gens de l'ascétisme et de piété où des coins connus des soufis et des mosquées ascètes et zikr , et varier sa vie et son éducation , et est connue pour le grand nombre de sauts entre les pays du Maghreb ; devenus commanditaires de la société algérienne , et était le propriétaire de la mode lorsque l' Algérie Turcs qui l'a mis à la tête de l'hospitalité au Maroc deux fois en ce qui concerne la tenue de l'apaisement et de la démarcation de la frontière entre les deux pays .

Les aspects de intellectuelle Cheikh Mohammed bin Ali Kharobi du mouvement , pris en compte dans ses activités et ses contributions aux , L'espace impénétrable facilité géographiques dynamique fréquentes intellectuelles et politiques Baldoakhl , lui a permis de mener activement un intellectuel et scientifique et une large ; Son travail dans le domaine de

l'enseignement et de l'enseignement de la science et de la connaissance et des vacances pour beaucoup des anciens , et son héritage de la propriété intellectuelle scientifique et descendants qui montre l'abondance de la connaissance et de l'étendue des talents et la prévoyance de mettre ses pensées et ses opinions , et sa valeur bibliothèque qui représente l'héritage de scientifiques et Mtarhath scientifique et des discussions de mots et de dialogues intellectuelle , et ses fatwas et des conseils et commandements religieux Althvebah et la publication de la pensée Chadli où est l'héritier du secret Cheikh Zarrouk , et l'intensité de son engagement à Balaansab et changer le mal et combattre l'innovation a eu un impact positif sur le climat qui prévaut scientifique , et donné lieu à des réunions et des entretiens réalisés en léger contact avec la scientifiques Maroc pour plusieurs messages et les réponses sont différentes et la formation d' utiles indiqué approfondir dans la science de la jurisprudence et du soufisme . a également soulevé beaucoup de questions , de laine et de discussions Streptococcus et déplacé les stylos de l'auteur par la suite récupérés vie afin intellectuelle et scientifique , il était vraiment un des principaux affluents de la culture du Maghreb , à la fois , y compris son produit de la propriété intellectuelle et scientifique , notamment soulevé des positions et des opinions , ce qui a donné la vitalité recrue immobile et dynamisme augmenté dans la continuité des relations culturelles et l'extension Majali à celles réseau scientifique et de faire une solidarité intellectuelle coordonnée claire entre les élites scientifique pour le Maghreb , tous de cette communication contenait une bouffée d'objets de valeur et scientifique , spirituelle et mystique , qui a augmenté la proximité intime sincère qui exprime la profondeur de la communication et les relations de pouvoir du Maghreb .